

بحر الكلام

للإمام أبي المعين ميمون بن محمد النسفي

المتوفى سنة ٥٠٨ هـ

مقابلاً على تسع نسخ خطية

دراسة وتحقيق
محمد السيد البرسيجي



دار الفتح
للدراستات والنشر

بحر الكلام
للإمام أبي المعين ميمون بن محمد النسفي
دراسة وتحقيق : محمد السيد البرسيجي
الطبعة الأولى : 1435 هـ - 2014 م
جميع الحقوق محفوظة ©
قياس القطع : 17 × 24
الرقم المعياري الدولي : 3-286-23-9957-978 ISBN
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (2013/9/3059)



دار الفتح للدراسات والنشر

هاتف : 6 4646199 (00962)

فاكس : 6 4646188 (00962)

جوال : 799038058 (00962)

ص.ب : 183479 عقان 11118 الأردن

البريد الإلكتروني: info@daralfath.com

الموقع على الشبكة الإلكترونية: www.daralfath.com

الدراسات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي سابق من المؤلف.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing from the publisher.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل:

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضلُ الصَّلوات على سيّد الكائنات سيدنا ومولانا محمد ﷺ الذي أرسله الله تعالى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم، وعلى آله وأصحابه الذين حرسوا حياض الدِّين، وارض اللهمَّ عمن سار على نهجهم إلى يوم الدِّين.

وبعد،

فبين يديكم نشرةٌ جديدةٌ لكتاب «بحر الكلام» للإمام الحجة ميمون بن محمد بن محمد النسفي المكحولي رحمه الله المتوفى ٥٠٨ هجرية.

وقد سبق أن نُشرَ هذا الكتاب من قبل أربع نشراتٍ، ولكن - للأسف - كلها تفتقر إلى الإخراج العلمي الدقيق الذي تطمئن النفس له، ويليق بمكانة الكتاب ومؤلفه.

وقد صدرت النشرة الأولى عام ١٨٨٦ ميلادية ببغداد من غير تحقيق، والثانية عام ١٣٢٩ هجرية، والثالثة عام ١٣٤٠ هجرية بمصر، والرابعة أصدرتها مكتبة دار الفرفور بدمشق بدراسة وتحقيق الدكتور وليّ الدين محمد صالح الفرفور، وصدرت هذه النشرة عام ١٤٢٠ هجرية.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مساوى طبعة الدكتور الفرفور:

بذل الدكتور ولي الدين جهداً طيباً في إخراج الكتاب لكنه لم يستوف، فاعتمد في نشرته تلك على نسخة مخطوطة واحدة فقط من مكتبته الخاصة، ولم يُشر إلى أي وصف لها سوى أنها كُتبت بخط فارسي!

وعندما نظرت في صورة الورقة الأولى التي وضعها بصدر كتابه وجدت أنها بخط نسخي جيد وليست بالخط الفارسي كما ذكر، وناسخها هو محمد بن سريفي أفندي (كذا بآخر الصورة المخطوطة) ويرجع تاريخها - تقديراً - للقرن الثاني عشر الهجري، وتشتمل على حواشٍ وتعليقات كثيرة جداً - كما هو في الصورة - لم يذكر الدكتور ولي الدين منها شيئاً في تحقيقه للكتاب!

فرايت أن الكتاب يحتاج إلى إعادة تحقيق مرة أخرى؛ ليلحق بكتب الإمام النسفي الأخرى التي خدمها العلماء جزاهم الله خيراً، ومنها: كتاب «تبصرة الأدلة» الذي نشره كلود سلامة وصدر عن المعهد العلمي الفرنسي للدراسات الإسلامية بدمشق ١٩٩٠ ميلادية، ونشره أيضاً الدكتور حسين آتاي وصدر عن رئاسة الشؤون الدينية بالجمهورية التركية عام ١٩٩٠ ميلادية، وكذلك كتاب «التمهيد لقواعد التوحيد» والذي حققه ونشره الدكتور جيب الله حسن أحمد، وقدّم له الدكتور محمد ربيع محمد جوهرى وصدر عن دار الطباعة المحمدية عام ١٤٠٦ هجرية.

ومع ما قام به الدكتور ولي الدين من جهد طيب إلا أن الكتاب لم يخلو من الأخطاء التي تؤثر في سلامة النص، وأكتفي بذكر أهم النقاط التي تتمثل فيما يلي:

١- الاعتماد على نسخة وحيدة لإخراج العمل: ويُعدّ هذا قصوراً كبيراً جداً، مع توفر نسخ هذا الكتاب في كثير من مكتبات العالم.

٢- سوء قراءة النسخة المخطوطة في بعض المواضع: ومن أمثلة ذلك:

رقم الصفحة	الخطأ	الصواب
٥٦	وهو أعظم من أن يسع المكان.	وهو أعظم من أن يسعه المكان.
٩١	هذا ممتنع والله الهادي وهو الله تعالى.	هذا ممتنع والله الهادي.
٢٦٥	أضيف بن قيس.	أحنف بن قيس.

٣- إهمال الحواشي والتعليقات التي بالنسخة المخطوطة الوحيدة التي اعتمد عليها.

٤- قصور التعليق في مواضع كانت لابد من التنبيه عليها مثل: قوله المؤلف ص ١٠٩:

«ومعنى الخبر: «يضع الجبار قدمه» بكسر القاف وهو الصحيح من الروايات! فلم يعلق الدكتور ولي الدين على هذا الموضع ولا أمثاله من المواضع التي كانت تحتاج إلى تعليق.

كما لم ينبّه على الأمور التي غفل عنها أو وهم فيها الإمام النسفي رضي الله عنه مثل قوله ص ٢٢٨: «والأصول الخمسة: العدل، والتوحيد، والوعد والوعيد، ومسألة بين بين» فأسقط الإمام النسفي رحمه الله تعالى الأصل الخامس للمعتزلة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم يعلّق المحقق الدكتور الفرفور على هذه المسألة رغم أهميتها، وكذلك ص ١٢٧ حيث يقول المحقق معلقاً في هامش رقم (٦) على حديث الرؤية ما صورته: «ونقل حديث الرؤية أحد وعشرون رجلاً من كبراء الصحابة وعلمائهم رضي الله عنهم أجمعين، وكفي هذا العدد لأن يكون مشهوراً لا يسع إنكاره!».

قلت: وصف حديث الرؤية بأنه حديث مشهور غير دقيق، والصحيح أنه حديث متواتر، وهذا هو الاصطلاح السليم الذي كان يجب على الدكتور أن يذكره، فالحديث المشهور كما هو معروف في مصطلح الحديث: هو ما رواه ثلاثة فأكثر في كل طبقة ما لم يبلغ حد التواتر.

وحديث الرؤية كما ذكر الدكتور رواه عددٌ كبيرٌ من الصحابة رضوان الله عليهم، وهذا العدد يستحيل تواطئهم على الكذب، فهو حديثٌ متواتر.

٥- الاهتمام والانشغال الزائد بترجمة الأعلام بما لا طائل من ورائه، فنراه مثلاً يترجم أعلام الصحابة بشكل مطوّل جدّاً، وبلا أدنى فائدة، فنراه يترجم لعلي بن أبي طالب عليه السلام في أحد عشر سطرًا، وأبو بكر في ٢١ سطرًا، بل ترجم للنمرود بن كنعان في ٢١ سطرًا، ولم يعلّق كما ذكرنا ولو بسطرٍ واحدٍ على مسائل عدة، كانت في حاجة للشرح والإيضاح.

٦- كثرة الأخطاء المطبعية، وإهمال علامات الترقيم التي تُعين على قراءة النصّ قراءة صحيحة.

٧- إهمال ضبط الكلمات المشكلة التي كانت تحتاج إلى ضبطٍ بالحركات ليتضح المعنى، وذلك منشّرٌ في كلّ الكتاب.

لذلك رأيتُ أن أقوم بإعادة تحقيق ونشر الكتاب مرةً أخرى مستفيدًا من جهود من سبقني ومضيفًا إليها ما يزيد العمل قوةً ومنهجيةً، فقامت بتتبع نسخ الكتاب كما سأذكر بعد قليل، وقد وفّقني الله تعالى واهتديت لتسع نسخٍ خطية من مكّتبات مختلفة سأبيّنها لاحقًا، وحاولت أن أصل بالكتاب - قدر علمي وطاقتي - إلى صورةٍ تليق بترائنا الإسلامي العظيم عامة، وبتراث الماتريدية خاصة.

وقبل أن أختم حديثي أحبُّ أن أنبّه إلى أن إعادة تحقيق ونشر كتاب «بحر الكلام» تأتي في إطار مواجهة محاولة تشويه أهل السنة والجماعة من الماتريدية والأشعرية من قبل بعض المتسبين إلى السلف الصالح.

وأضيف أن مؤلفات الإمام النسفي لم يُنشر منها إلا هذه الكتب السابقة فقط، فلذلك أدعو كلّ المشتغلين بعلم الكلام - خاصة الماتريدية منهم - إلى إحياء ونشر هذه الكتب والمؤلفات التي طواها الزمان فصارت حبيسة الخزانات والمكتبات.

وقد قدمت لهذا العمل بمقدمة جعلتها ثلاثة فصول: الفصل الأول: علم الكلام بين الدراسة المنهجية والواقع الحالي، والفصل الثاني: ترجمة المؤلف رحمه الله، والفصل الثالث: نسبة الكتاب لمؤلفه، ووصف النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق، وعمل في الكتاب.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي، وأن يجزي أشياخي وأساتذتي خير الجزاء، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وكتبه

محمد البرسيجي

٢٠١٢/٥/٢

m.elbarsege@gmail.com

الفصل الأول

علم الكلام بين الدراسة المنهجية والواقع الحالي

لم يكن للمسلمين على عهد رسول الله ﷺ معرفة بعلم الكلام بصورته التي ندرسه عليها اليوم.

وفي نفس الوقت لا يستطيع أحد أن ينكر أن نصوص القرآن تدعو إلى النظر واستخدام العقل للوصول إلى الحقائق الكونية والدينية معاً فيقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩-٢٠] وكذلك تدعو إلى مجادلة أصحاب العقائد المخالفة بالتي هي أحسن ودعوتهم إلى الإسلام يقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وعلى أسس النظر والاستدلال والجدل يقوم علم الكلام.

وكذلك لا ينكر أحد أن الاحتكاك الذي كان يحدث بين المسلمين وغيرهم من يهود ونصارى كان يولد في بعض الأحيان مناقشات ومباحثات حتى وإن كانت في صورة أولية بسيطة، وقصة اليهودي الذي جاء النبي ﷺ وقال له: «إن الله يحمل الأرضين على إصبع....» معروفة ومشهورة وسيأتي ذكرها في الكتاب والتعليق عليها بإذن الله تعالى.

وبعد انتقال النبي ﷺ حدثت أول الخلافات بين المسلمين في مسألة الإمامة، هذه

المسألة التي صارت بعد ذلك من أهم أبواب علم الكلام، وكان لها دورٌ كبير في انقسام الأمة المحمدية، ثم ما تلى ذلك من فتنٍ ضربت الصِّفَّ الإسلاميَّ، وأحدثت فيه صدعًا لم ينجبر إلى الآن.

ثم اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، والتقى المسلمون بثقافات وأفكارٍ ومعتقدات أجنبية عن طبيعة التفكير العربيِّ الإسلاميِّ الذي ساد في شبه الجزيرة العربية.

فالتقى المسلمون بالفرس والروم وعاشوهم، وانتقلت فلسفاتٌ جديدة إلى العرب، وتُرجمت كتبُ الفلسفة إلى اللغة العربية، وهنا وجد المسلمون أنفسهم أمام أفكارٍ جديدةٍ تتدفق تتدفق مع الأيام إلى عقولهم حتى وصلت هذه الفلسفات والنظريات الأجنبية إلى عقائدهم^(١).

فكان لابد من مواجهة هذه الأفكار الجديدة التي أصبحت تثير التساؤلات والاستفهامات حول العقيدة الإسلامية، فطبيعة المجتمع تغيرت، ولم يعد المجتمع العربي هو ذلك المجتمع البسيط.

(١) يقول الإمام عبد الغني الميداني في «شرح العقيدة الطحاوية» ص ٤٤ ما ملخصه: «إن النبي ﷺ لم يطالب العرب في مخاطبته إياهم بأكثر من التصديق، ولم يفرق بين أن يكون ذلك بإيمانٍ وعقيدٍ تقليديٍّ، أو بيقينٍ برهانيٍّ، والجافي الغليظ الضعيف العقل الجامد على التقليد المصِّر على الباطل لا تنفع معه الحجة والبرهان، وإنما ينفع معه السيفُ والسنان، والشاكُّون الذين فيهم نوع ذكاء ولا تصل عقولهم إلى فهم البرهان العقلي المفيد للقطع واليقين ينبغي أن يُتَلَطَّفَ في معالجتهم بما أمكن من الكلام المقنع المقبول عندهم، لا بالأدلة اليقينية البرهانية، لقصور عقولهم عن إدراكها، لأن الاهتداء بنور العقل المجرد عن الأمور العادية لا يخص الله تعالى به إلا الآحاد من عباده، والغالب على الخلق القصور والجهل، فهم لقصورهم لا يدركون براهين العقول كما لا تدرك أنوار الشمس أبصار الخفافيش، بل تضرهم الأدلة العقلية البرهانية كما تضر رياح الورد الجعل، ...، وأما الفطنُ الذي ينفعه الكلام الخطابي فيجب المحاجة معه بالدليل القطعي البرهاني».

لذلك هبَّت الأمة لدراسة ومعرفة هذا الفكر الجديد الوافد عليها، والذي يتمثل في الفلسفة اليونانية وما تحويه من علم المنطق والجدل وغيرهما، وفي بعض العقائد والملل الأخرى.

فلم يكن تعرُّف الأمة على هذه الأفكار ودراستها من باب التَّرف الفكري، ولا من باب الانصراف عن مائدة الكتاب والسنة إلى موائد الكفر والإلحاد كما يحاول بعضهم أن يصور لنا اليوم، بل كان تعلُّم هذا العلوم ضرورةً لمواجهة الأخطار التي تحدق بالعقيدة الإسلامية، فكان الخصوم يثيرون الشبهات العقلية حول ذات الله وأسمائه وصفاته ورُسُله وملائكته وكتبه وقضايا الموت والبعث والحساب إلى غير ذلك.

ولم يكن المنهج القائم على نصوص الكتاب والسنة المجردة عن دعم الدليل العقلي لينجح في مواجهة هؤلاء القوم، فالحجج العقلية البحتة لابد أن تواجهها بنفس طريقتها وإلا ستصير فتنٌ كبرى، الله أعلم بها.

فلجأ المسلمون إلى تعلُّم هذه العلوم وتدريسها والكتابة فيها، ونشأت مدارس كلامية مختلفة كمدرسة الاعتزال، والمدرسة الأشعرية والماتريدية، فلم يكن القوم مبتدعة في هذا.

ويلخص لنا مبدأ علم الكلام تقي الدين المقرئ في «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»^(١) فيقول ما ملخصه: «اعلم أن الله تعالى لما بعث من العرب محمداً ﷺ رسولاً إلى الناس جميعاً وصف لهم ربهم سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه الكريمة في كتابه العزيز...، فلم يسأله ﷺ أحدٌ من العرب بأسرهم قروئهم وبدويهم عن معنى شيء

من ذلك كما كانوا يسألونه ﷺ عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك... بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات... فأثبتوا بلا تشبيه، ونزّهوا من غير تعطيل... فمضى عصر الصحابة رضي الله عنهم على هذا إلى أن حدث في زمنهم القول بالقدر... وكان أول من قال بالقدر معبد بن خالد الجهنّي... ولما بلغ عبد الله ابن عمر بن الخطاب مقالة معبد في القدر تبرأ من القدرية... وحدث أيضاً في زمن الصحابة رضي الله عنهم مذهب الخوارج، وصرّحوا بالتكفير بالذنوب والخروج على الإمام وقتاله، فناظرهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فلم يرجعوا إلى الحق^(١) وقتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتل منهم جماعة كما هو معروف... وحدث في زمن الصحابة رضي الله عنهم مذهب التشيع لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه والغلو فيه، فلما بلغه ذلك أنكره وحرّق بالنار جماعة منهم ممن غلا فيه... ثم حدث بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم مذهب جهم بن صفوان ببلاد المشرق، فعظمت الفتنة به، فإنه نفى أن يكون لله تعالى صفة، وأورد على أهل الإسلام شكوكاً أثرت في الملة الإسلامية آثاراً قبيحة تولّد عنها بلاء كبير، وكان قبل المئة من سني الهجرة، فكثر أتباعه على أقواله التي تؤول إلى التعطيل... وفي أثناء ذلك حدث مذهب الاعتزال منذ زمن الحسن بن الحسين البصري رحمه الله بعد المتين من سني الهجرة، وألّفوا في مسائل العدل والتوحيد وإثبات أفعال العباد وأن الله تعالى لا يخلق الشر، وجهروا بأن الله لا يرى في الآخرة، وأنكروا عذاب القبر على البدن، وأعلنوا بأن القرآن مخلوق محدث، إلى غير ذلك من مسائلهم، فتبعهم خلائق في بدعهم... ثم حدث مذهب التجسيم المضاد لمذهب الاعتزال، فظهر محمد بن كرام بن عراق السجستاني زعيم الطائفة الكرامية... وأثبت الصفات حتى انتهى فيها إلى التجسيم والتشبيه... إلى آخر كلامه رحمه الله.

(١) أي جميعهم، وإلا فقد رجع منهم طائفة بعد مناظرة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لهم.

فهناك محن وأسباب دعت الأمة إلى الخوض في هذا الفن حفاظاً على الشريعة وقوامها وبقائها، ولم يكن الاشتغال بهذه العلوم نوعاً من الانصراف عن الله ولا عن رسوله ﷺ.

وكان من أوائل من اشتغل بهذا الفن تعلمًا وتعليماً وردّاً على المبتدعة في زمانه الإمام أبي حنيفة المتوفى ١٥٠ هجرية^(١).

ويُسجّل لنا التاريخ مناظرات الإمام أبي حنيفة النعمان المتوفى ١٥٠ هجرية للملاحدة والدهرية، ويُعدّ الإمام من أوائل المشتغلين بعلم الكلام، وتعدّ مؤلفاته المنسوبة إليه من أمثال «الفقه الأكبر» و«العالم والمتعلم» و«الوصية» من بواكير ما سُجّل في هذا الباب.

ويذكر المتقي المكي في «مناقب أبي حنيفة»^(٢) ما صورته: «قال أبو حنيفة: ما تقولون في رجل يقول لكم: إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال مملوءة بالأمّعة، وقد احتوشتها في لجة البحر أمواج متلاطمة، ورياح مختلفة، وهي من بينها تجري مستوية ليس فيها ملاح يجريها ويقودها ويسوقها، ولا متعهد يدفعها، هل يجوز ذلك في العقل؟ فقالوا: لا. هذا لا يقبله العقل، ولا يبيّزه الوهم.

فقال لهم أبو حنيفة: فيا سبحان الله! إذا لم يجوز في العقل وجود سفينة تجري مستوية من غير متعهد، فكيف يجوز قيام الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أمورها، وسعة أطرافها، وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ومحدث لها؟!»

(١) راجع «التبصرة» للإمام البغدادي ص ٩، و«إشارات المرام من عبارات الإمام» للبيضاوي ص ١٩.

(٢) ص ٥١.

ولا يخفى على أي متأمل أو دارس لعلم الكلام وتاريخه أن علم الكلام شأنه شأن باقي العلوم الإسلامية التي نشأت بعد انتقال النبي ﷺ، وهو علم مؤسس على الكتاب والسنة وليس علماً مبتدعاً.

فعلم الكلام كما عرّفه الجرجاني في «شرح المواقف»: «هو علم يُقْتَدَر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه»^(١) فأَيُّ بدعة في هذا العلم؟!

دفع شبهات حول علم الكلام:

تجددت في العصر الحديث دعواتٌ تُلْحِقُ علمَ الكلام بالبدع المنكرة، وأن الاشتغال به حرامٌ لأنه مبنيٌّ على غير الكتاب والسنة، وأن استمداده من آراء الفلاسفة والوثنيين، وأن الاكتفاء بالكتاب والسنة هو الحصن لطالبي العقيدة الصحيحة.

ومن ثمَّ رُمِيَ أهلُ السُّنَّةِ والجماعة من الأشاعرة والماتريدية بأنهم أهل التعطيل أو أهل التأويل المذموم أو أنهم جهمية، إلى غير ذلك من ألقاب، في محاولة لصرف المسلمين عامة وطلبة العلم خاصة عن مذهب أهل السنة والجماعة، وتعلّقت هذه الدعوات بشبهات أوْهَى من بيت العنكبوت.

يحاولون أن يصوّروا لنا علمَ الكلام كأنه من العلوم المذمومة التي لا تحل دراستها، ولا تحل القراءة فيها، وأن الاكتفاء بنصوص الكتاب والسنة المجردة هي الأصل الأصيل الذي لا بديل عنه ولا سبيل سواه.

ويتقلون عباراتٍ للسلف الصالح فيها النهي عن الخوض الكلام ويحملونها على علم الكلام الذي عرّفناه سابقاً، وللأسف فهذه طريقتهم دائماً في تناول النصوص،

(١) «شرح المواقف» (١: ٣٤).

يحملونها على غير وجهها إما لجهلٍ أو لإضلال الناس عن المقاصد الصحيحة لهذه النصوص والعبارات.

معنى قول الشافعي: «لو عَلِمَ الناسُ ما في الكلام من الأهواء لفرّوا منه كما يفرون من الأسد»:

ومن أمثلة الأقوال التي يستدلون بها قول الإمام الشافعي الشهير: «لو عَلِمَ الناسُ ما في الكلام من الأهواء لفرّوا منه كما يفرون من الأسد، ولأن يلقى الله تعالى العبد بكل ذنب سوى الإشراف بالله خير له من أن يلقاه بشيء من الكلام».

وكلام الإمام هنا محمولٌ - كما يقول الإمام البيهقي - على كلام المبتدعة كحفص الفرد، وهو من الجبرية، بدليل أن الإمام نفسه قد ناظرهم وجادلهم وأقام الحجة عليهم.

يقول الإمام أبو القاسم ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» ما صورته: «كان الشافعي يحسن الكلام، وقد قال: أحكمنا ذلك قبل هذا، أي الكلام قبل الفقه، وتكلم مع غير واحد ممن ابتدع، وأقام الحجة عليهم وقطع»^(١).

وكذلك كلُّ ما ورد عن السلف من أمثال هذه الأقوال محمولٌ على كلام من خالف أهل السنة من القدرية والجبرية والمشبهة والمجسمة وغيرهم، فلا تغترّ بكلام المهولين والمدّعين.

وإنني أتسأل كيف لك أن تثبت صحة عقائدك وتثبت صحة كتابك من خلال نصوص الكتاب والسنة لشخص لا يؤمن بعقيدتك ولا يرى كتابك صحيحاً؟ هل ستحتجُّ عليه بنصوص الكتاب الذي لا يؤمن به أصلاً؟ أم ماذا ستفعل؟

(١) انظر «تبيين كذب المفتري» ص ٣٣٣ وما بعدها.

إذن لابد من وجود نقطة مشتركة للانطلاق منها، وهذه النقطة هي استخدام الأدلة العقلية والمنطقية السليمة للوصول إلى إثبات صحة الدين وأصوله.

ونحن لا ننكر أن علم الكلام قد اشتمل في بعض مباحثه وأبوابه على الفلسفة، وهذا شيء طبيعي إذا نظرنا إلى ظروف نشأة هذا الفن.

وحول هذا يقول الإمام التفتازاني في شرحه على «العقائد النسفية»: «ثم لما نُقلت الفلسفة إلى العربية، وخاض فيها الإسلاميون، حاولوا الردَّ على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة، فخلطوا بالكلام كثيرًا من الفلسفة ليتحققوا مقاصدها فيتمكنوا من إبطالها وهلم جرا، إلى أن أدرجوا فيه معظم الطبيعيات والإلهيات...»^(١).

فلم يكن اشتغال علماء الكلام وإطلاعهم على مباحث الفلسفة من باب الانصراف عن الكتاب والسنة أو الإعراض عنها - حاشاهم من ذلك - ولكنه من باب استعمال الأدلة العقلية (الفلسفة) في إثبات الشريعة والاحتجاج على المنكرين من أهل الفلسفة أنفسهم.

لذلك أسس علماء المسلمين هذا الفن، لكي يدفعوا به شبهات المعارضين والمشككين في الإسلام، والذين لا يؤمنون بالكتاب ولا يقرون بنبوّة محمد ﷺ، ولا البعث والاحساب.

ولا يمنع هذا أن هناك تحولاً حدث في علم الكلام، فالأصل في نشأته هي ما أخبرتك به، ثم تحوّل الأمر إلى أن ترد الفرق الإسلامية المختلفة بعضها على بعض حسبما أدّى إليه اجتهادهم، كما يحدث في سائر فروع العلوم الإسلامية.

وأشير هنا إلى أن اتساع هذه المناقشات في فترة من فترات - خاصة بين المعتزلة

والأشعرية، أو بين الأشعرية والحنابلة - لم يكن له أن يصل إلى هذا لولا ظروف خارجة عن إطار علم الكلام نفسه، مثل الظروف السياسية والعصبية المذهبية التي كان لها بالغ الأثر في حدوث كثير من النزاعات والصراعات^(١).

ولكن هذه الأمور لا تطعن في صحة علم الكلام، ولا تؤثر في دراسته خاصة للمشتغلين بعلم العقيدة، والذي ننكره بحق تبديع بعض الفرق الإسلامية بعضها بعضًا، بزعم أن الفرقة الفلانية هي التي تمثل منهج الإسلام الصحيح، أو أنها الفرقة الناجية، وما سواها بدع وضلالات.

معنى قولهم: «عليكم بدين العجائز»:

ومن جملة الأقوال التي يستدلون بها قوله: «عليكم بدين العجائز» كأنه يقصد أن ما عليه العوام الذين لا معرفة لهم بعلم الكلام أفضل من الاشتغال بهذه العلوم.

وللأسف فهذه من باب سابقتها، أعني أن هذا القول من باب وضع الأمر في غير محله، وقد نسب بعضهم هذا القول للنبي ﷺ، وهذا لم يثبت، وما ورد من قوله ﷺ: «إذا كان آخر الزمان واختلفت الأهواء، فعليكم بدين أهل البادية والنساء» فقد صرح أئمة الحديث بأن سنده واه^(٢).

(١) أفردت دراسة مستقلة لبحث هذه المسألة بتوسع تحت عنوان: «المدخل إلى علم الكلام الجديد» تصدر قريباً بإذن الله تعالى.

(٢) أورده الديلمي في «فردوس الأخبار» (١: ١٥٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وأورده الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٦: ٢٢٤) في ترجمة محمد بن عبد الرحمن بن البيهقي بسنده عن أبيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وابن البيهقي ضعّفه، قال البخاري: «منكر الحديث» وقال الدارقطني وغيره: «ضعيف» وقال ابن حبان: «حدّث عن أبيه بنسخة شبيهة بمثني حديث كلها موضوعة» وأورده ابن الجوزي في =

والمقولة المحتج بها هي من كلام سفيان الثوري حين ادعى عمرو بن عبيد المنزلة بين المنزلتين، فقالت عجوز قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِّمُكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] فلم يجعل الله تعالى من عباده إلا الكافر والمؤمن فبطل قولك، فسمعه سفيان فقال تلك الكلمة مستحسناً لردّها عليه.

فكما ترى هذا هو سبب قول هذه الكلمة التي حُملت بعد ذلك على إطلاقها، وأخرجت عن السياق التي قيلت فيه، فضلاً بذلك كثير من الناس، ولو كان قولهم صحيحاً فأني وجه في تخصيص العجائز؟! بل هو محض لغو كما يقول الإمام البيضاوي في «إشارات المرام»^(١).

والذين ينكرون على أهل السنة والجماعة من الأشعرية والماتريدية اشتغالهم بعلم الكلام ماذا يريدون منهم؟

هل يردون منهم أن يتركوا علم الكلام الذي ينزه الحق تبارك وتعالى عن صفات المخلوقات والمحدثات، ويشغل بكلام المشبهة والمجسمة من الذين يتسبون زوراً إلى السلف، والذي ينفر منه كل ذي طبع سليم، فأين كلام هؤلاء المشبهة والمجسمة من كلام أئمة أهل السنة والجماعة؟!

يقول الإمام الماتريدي متحدّثاً عن ذات الله تعالى: «وإذا ثبت القول بوحدانية الله تعالى والألوهية له - لا على جهة وحدانية العدد، إذ كل واحد في العدد له أنصاف

= «الموضوعات» (١: ٢٧١)، والسيوطي في «اللائي المصنوعة» (١: ٢٣٢) وقال: «وقال في «الميزان» هذا الحديث من عجائبه، والله أعلم» والحديث المذكور يُعرف من قول عمر بن عبد العزيز، كذا ذكر ابن الجوزي.

وأجزاء - لزم القول بتعاليه عن الأشباه والأضداد، إذ في إثبات الضد نفى إلهيته، وفي التشابه نفى وحدانيته، إذ الخلق كلهم تحت اسم الأشكال والأضداد، وهما علما احتمال الفناء والعدم ونفي التوحيد عن الخلق.

والله تعالى واحد لا شبيه له، دائم قائم لا ضد له ولا ند، وهذا تأويل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]...^(١).

وانظر إلى قول اللامشي في كتابه «التمهيد لقواعد التوحيد» متحدّثاً عن نفى الجسم والصورة عن الله تعالى حيث قال ما صورته: «وإذا ثبت أن الله تعالى لا يوصف بالجسم، فلا يوصف بالصورة أيضاً؛ لأن الصورة لا وجود لها بدون التركيب. وقال بعض المجسّمة ممن ذكرنا أساميهم: إن الله تعالى على صورة الآدمي، وله من الأعضاء ما للآدمي، وإنه على صورة شيخ أبيض اللحية، وقال بعضهم: «إنه على صورة غلام أمرد له شعر جعد قطط». وحكي عن هشام بن الحكم أنه قال: إنه كالسيكة الصافية يتلأأ وفي كل ما قالوا إثبات كونه محدثاً. وقد نفينا ذلك بحمد الله تعالى»^(٢).

فقارن بين كلام أهل السنة والجماعة من الماتريدية والأشعرية وكلام غيرهم من المجسّمة لتعرف الفرق ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١]^(٣).

وقد اشتغل بعلم الكلام كبار علماء الأمة من أمثال الإمام أبي حنيفة، والإمام الشافعي، والإمام أبي الحسن الأشعري، والإمام أبي منصور الماتريدي، والإمام أبي إسحاق الإسفرايني، والإمام عبد القادر البغدادي، والإمام البيهقي، والإمام القشيري، والإمام

(١) «كتاب التوحيد» للإمام الماتريدي ص ٨٩.

(٢) ص ٦٠.

(٣) وقد عرضت لنماذج من هذه الأقوال الشاذة، ورددت عليها بحمد الله تعالى، كما ستراه مبسوطاً في مواطن عديدة من الكتاب.

الجويني، والإمام أبي المعين النسفي، والإمام أبي حامد الغزالي، والإمام الآمدي، والإمام ناصر الدين البيضاوي، والإمام الرازي وغيرهم من أئمة هذا الدين الحنيف.

فنخلص من ذلك كله إلى أن علم الكلام شأنه شأن سائر علوم الشريعة الغراء، يجب على المسلمين وجوباً كفاً أن يتعلموه حتى يتمكنوا من دفع شبهات المشككين، وما أكثرهم في كل زمان.

وأختم هذه المسألة بكلام نفيس للإمام الكبير علاء الدين السمرقندي المتوفى ٥٣٩ هجرية من كتابه «ميزان الأصول» ص ٣٥٨ في (مبحث المتشابه) حيث قال بعد تعريف المتشابه لغةً واصطلاحاً ما صورته:

«وقد قال بعض مشايخنا رحمهم الله: المتشابه هو الذي يتشابه معناه على السامع، بحيث خالف موجب النص موجب العقل قطعاً، فتشابه المراد بحكم المعارضة، بحيث لم يحتل زواله بالبيان، لأن موجب النص بعد رسول الله ﷺ لا يحتل التبديل، وموجب العقل لا يحتل التبديل، فيجب فيه التوقف.

وهذا ليس بصحيح، لأن الشرع لا يرد بخلاف موجب العقل، لما فيه من مناقضة حُجج الله تعالى، وإذا تراءى التعارض يكون الدليل العقلي قاضياً على الدليل السمعي، لأن الدليل السمعي يحتل الإضمار والحذف والكنية، والدليل العقلي لا يحتل التغير بحال.

وعلى هذا خرّجنا جميع الآيات الواردة في باب التشبيه والجبر والقدر. قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] والاستواء في ظاهر اللغة هو الاستقرار، والدليل العقلي ينفي القول بالمكان في حقّ الباري جلّ وعلا، فعلمنا بالدليل العقلي وحملنا الدليل السمعي على خلاف الظاهر، توفيقاً بين الدليل السمعي والعقلي انتهى.

بين الماتريدية والأشعرية:

المذهب الماتريدي نسبة إلى الإمام الزاهد أبي منصور الماتريدي المتوفى ٣٣٣ هجرية، والمذهب الأشعري نسبة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري المتوفى ٣٢٤ هجرية، ولا يخفى أن هذين المذهبين هما جناحا أهل السنة والجماعة، وهذا أمر لا سبيل إلى مصادرتة أو التشكيك فيه، لأن الحقائق التاريخية قبل الحقائق الدّينية والكلامية تؤكد ذلك، فقلماً وجدّ عالم من علماء الإسلام إلا وتجدّه إما أن يكون ماتريدياً أو أشعرياً.

وغلبت الماتريدية على أصحاب المذهب الحنفي، وغلبت الأشعرية على أصحاب المذهب الشافعي، ولعل لذلك أسبابه التاريخية والسياسية، خاصة فيما يتعلق بالمذهب الأشعري.

بدأ أبو الحسن الأشعري طريقه في العلم على يد أبي علي الجبائي إمام المعتزلة، ففضى دهرًا من عمره كمعتزلي يدرس الاعتزال، وينظر من أجله، وينافح عنه، إلى أن تحول عن الاعتزال وسلك طريق أهل السنة والجماعة، بل إنه ناظر المعتزلة وصنّف في الرد عليهم، وأصبح إماماً من أئمة أهل السنة.

ويشير كثير من أهل العلم إلى أن المسائل الخلافية التي بين الماتريدية والأشعرية مسائل يسيرة والخلاف في جلّها لفظي، وقد صنّف عدد من أهل العلم في حصر هذه المسائل والكلام عليها منها: «الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية» للحسن بن عبد المحسن الشهير بأبي عذبة كان حياً ١١٧٢ هجرية، و«مسائل الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية» لابن كمال باشا، وغيرهما.

ويقول الإمام البيضاوي: إن من يرى أن الخلاف بين الماتريدية والأشعرية لفظي فقط مخطئ حيث يقول في «إشارات المرام» ما صورته: «وما قيل: إن معظم خلافه - يعني

الأشعري - من الخلافات اللفظية وَهَم، بل معنوي، ولكنه في التفاريع التي لا يجري في خلافها تبديع، ولأن الماتريدي مفضل لمذهب الإمام وأصحابه المظهرين قبل الأشعري لمذهب أهل السنة^(١).

ويُلَمِّحُ المقرئ إلى طرفٍ من هذا المعنى فيقول في «المواعظ والاعتبار»: «هذا وبين الأشاعرة والماتريدية أتباع أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي... من الخلاف في العقائد ما هو مشهور في موضعه، وهو إذا تُبِعَ يبلغ بضع عشرة مسألة، كان بسببها في أول الأمر تباينٌ وتناقضٌ، وقدَحَ كُلُّ مِنْهُمْ في عقيدة الآخر إِلَّا أن الأمر آلَ آخِرًا إلى الإغضاء والله الحمد»^(٢).

وللإمام الماتريدي السُّبْقُ في حمل لواء الدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد من خالفها من المبتدعة، و«كتاب التوحيد» للإمام خير شاهدٍ على قوة علم الإمام، ودِقَّةَ نظره، وعمق فكره، واتساع معارفه، إِلَّا أن بعض الباحثين يستسهل الأمر، ويُقَلِّدُ مَنْ قبله دون وعيٍّ أو إدراك.

وقد عدَّ المسائل التي اختلف فيها الماتريدي والأشعري الإمام عبد الرحمن بن علي الشهير بشيخ زاده في كتابه «نظم الفرائد وجمع الفوائد»^(٣) فأوصلها إلى أربعين مسألة، ناقش في جميع هذه المسائل الأشعرية وردَّ عليهم.

وقد فصلَ كُلَّ هذه الأمور الإمام النسفي في كتابه الجليل القدر «تبصرة الأدلة» وهو من أفضل ما كُتِبَ في علم الكلام على الإطلاق، ومثله كتاب «أصول الدين» للإمام الحجة فخر الإسلام البزدوي، ولكن ضعفَ هِمَمِ بعض الطلبة وتكاسلهم تدفعهم إلى

(١) ص ٢٣.

(٢) (٢: ٣٥٩).

(٣) أقوم بحمد الله تعالى بتحقيقه على ثلاث نسخٍ يَسَّرَ الله إخراجَه.

التقليد والاقتصار على المتون المتأخرة، فلا يتعدونها إلى المطبوعات والشروحات التي فيها العلم كُلُّه.

فترى جمهور الطلاب ربما لا يتعدى في دراسته لعلم الكلام «أُمُّ البراهين» و«جوهرة التوحيد» مع بعض الشروح والخواشي عليهما!! وتلك آفة كبرى تجعل كلامي يبدو غريبًا على كثير من الباحثين أو القراء، لكنها الحقيقة التي لا يمكننا مصادرتها أو طمسها، فمن أراد التعرف على حقيقة الأمور عليه أن يعاني ويبحث، ويُعْمَلْ عقله ويجتهد؛ حتى تنكشف له الحقائق والدلائل والبراهين، ولا يكتفي بمجرد اتباع من قبله فقط، فتلك عادة الكسالي.

ومن مسائل الخلاف بين الماتريدية والأشعرية مسألة العقل، ومسألة التكوين والمكوّن، ومسألة القوة على الطاعة وعلى المعصية، ومسألة حدوث صفات الأفعال، ومسألة تعلق صفة السمع والبصر بالمسموعات والمبصرات، ومسألة تكليف ما لا يُطاق^(١)، وغيرها من المسائل التي يطول ذكرها.

(١) يقول الإمام أبو بكر بن العربي في كتابه «أحكام القرآن» (١: ٥٠٤) في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩] ما صورته: «قال الأستاذ أبو بكر: في هذه الآية دليلٌ على جواز تكليف ما لا يطاق، فإن الله سبحانه وتعالى كلف الرجال العدلَ بين النساء، وأخبر أنهم لا يستطيعونه، وهذا وَهَمٌ عظيم، فإن الذي كلفهم من ذلك هو العدل في الظاهر، الذي دلَّ عليه بقوله: ﴿ذَلِكَ أَذَقَ الْأَنْعَامَ﴾ [النساء: ٣] وهذا أمر مستطاع، والذي أخبر عنهم أنهم لا يستطيعونه لم يكلفهم قَطُّ إياه، وهو النسبة في مِيلِ النفس، ولهذا كان النبي ﷺ يعدل بين نسائه في القَسَمِ، ويمجد نفسه أَمِيلًا إلى عائشة في الحبِّ فيقول: «اللهم هذا قدرتي فيما أملك، فلا تسألني في الذي تملك ولا أملك» يعني قلبه، والقاطع الحاسم لهذا الإشكال أن الله سبحانه وتعالى قد أخبر أنه رفع الحرج عنا في تكليف ما لا نستطيع فضلًا، وإن كان له أن يلزمنا إياه حقًا وخلقًا انتهى.

ولعلّ الاتصال التاريخي بين الشافعية وبين الأشعرية أثر تأثيراً كبيراً جداً في تحول المذهب الأشعري، ويتضح ذلك بتتبع أقوال الإمام أبي الحسن نفسه، فنجد أن الإمام رضي الله عنه يذهب مذهباً وترى المتأخرين يذهبون مذهباً آخر يخالف مذهب إمامهم، وذلك بسبب تأثر الأشعرية بالشافعية الذين ارتبطوا بالحديث والأثر.

فمثلاً: مسألة نقصان الإيمان، يذكر الإمام ابن فورك - وهو من متقدمي الأشعرية - في كتابه «مقالات الأشعري» أن مذهب الأشعري في الإيمان أنه لا ينقص، عكس ما اشتهر عند متأخري الأشعرية، وكذلك مسألة نبوة النساء، فيرى أبو الحسن الأشعري أنه في النساء أربع نيات، وذلك عكس ما اشتهر عند المتأخرين، وذلك من تأثير الشافعية على المذهب، فإن التلازم الذي حدث بين الشافعية من الفقهاء والمحدثين وبين الأشعرية صاغ بعض مسائل المذهب كما هو مشاهد صياغة جديدة.

ومن المسائل التي تأثر بها الأشعرية بالشافعية مسألة دخول الأعمال في أصل الإيمان، فالمحفوظ عن الأشعري أن الإيمان هو التصديق بالقلب وهو الاعتقاد فحسب كما ذكر ذلك ابن فورك في «مقالات الأشعري» حيث ذكر أن الأعمال لا تدخل في أصل الإيمان إلا من باب التوسع المجازي فقط، وقد ذكر مثله البزدوي في «أصول الدين» وهو بذلك يوافق الماتريدية.

ولكن المشهور عند المتأخرين من الأشعرية أن الأعمال رُكنٌ من أركان الإيمان، وهذا هو مذهب الشافعية وأصحاب الحديث كما نصّ عليه البزدوي وغيره، فانتقال هذا القول إلى مذهب الأشعرية حدث بفعل التقارب والتلازم بين المذهبيين، لذلك لازماً على دارسي علم الكلام أن لا يكتفوا بكتب المتأخرين، وأن يتجاوزوها إلى كتب المتقدمين وكتب أرباب المذهب حتى يكون الدارس على بينة من أمر هذا الفن.

علم الكلام والتأثيرات السياسية:

لا يمكننا حينها ندرس تاريخ الفرق الإسلامية أو آراء الإسلاميين أن نغفل الجانب السياسي، فوقت أن كان الخليفة المأمون معتزلياً كان مذهب الدولة الرسمي الاعتزال، ولما تحوّلت الأمور في عهد المتوكل، وانتهت دولة المعتزلة، تغيّرت الأمور، وصار لأهل السنة وأهل الحديث مكانة كبرى وانتشر مذهبهم، وأصبح هو مذهب الدولة الرسمي.

ومع مجيء الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي واعتناقه للمذهب الأشعري أنشأ له عديداً من المدارس، وبذل جهداً كبيراً في نشره في مصر والشام، حتى أصبحت الدولة للأشعرية على حساب غيرها من المذاهب، ومنها مذهب الماتريدية، وهذه العوامل أدت إلى اتساع رقعة المذهب الأشعري مقارنةً بالمذهب الماتريدي صاحب السبق والمتقدم عليه تاريخياً، والأصفي منه في رأي بعض الباحثين.

ولقد كان للسياسة أثر كبير في كثير من مسائل هذا الفن، فيتعين على طالب هذا العلم أن لا يغفل دور السياسة والصراعات السياسية والمذهبية في انتشار بعض المذاهب دون بعضها.

ومن مظاهر تأثير السياسة على مباحث هذا الفن دخول مسائل ليست من علم الكلام وأصول الدين لتصبح من أهم مباحثه وأكثرها جدلاً، من ذلك باب الإمامة، فمبحث الإمامة ليس من أركان هذا العلم، ولا من أركان الإسلام أصلاً، رغم ذلك تجد مبحث الإمامة في كلّ كتاب من كتب علم الكلام ويطول الكلام حوله، وتتعدد الأقوال، وما ذلك إلا بفعل السياسة التي فرّقت بين المسلمين.

يقول الإمام كمال الدين بن الهمام في «شرح المسامرة»^(١) ما صورته: «ومباحث

الإمامة ليست منه بل هي (من المتممات) وبيان ذلك أن مباحث الإمامة في الفقه بالمعنى المتعارف لأن القيام بها من فروض الكفايات، وذلك من الأحكام العملية دون الاعتقادية، ومحل بيانها كتب الفروع وهي مسطورة فيها....» إلى آخر كلامه رضي الله عنه.

وكم من دماء أريق وأعراض استبيحت تحت ستر الإمامة والولاية العظمى، وباسم العقيدة والشرع الحنيف، والشرع في جوهره وأصله براءً من ذلك كله!!

يقول المقرئ في «المواعظ والاعتبار»: «فلما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب ديار مصر، كان هو وقاضيه صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني على هذا المذهب، قد نشأ عليه منذ كانا في خدمة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق، وحفظ صلاح الدين في صباه عقيدة ألقها له قطب الدين، أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري، وصار يحفظها صغار أولاده، فلذلك عقدوا الخناصر، وشدوا البنان على مذهب الأشعري، وحملوا في أيام مواليتهم كافة الناس على التزامه.

فتهادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب، ثم في أيام مواليتهم الملوك من الأتراك، واتفق مع ذلك توجه أبي عبد الله محمد بن تومرت أحد رجالات المغرب إلى العراق، وأخذ عن أبي حامد الغزالي مذهب الأشعري، فلما عاد إلى بلاد المغرب وقام في المصامدة يفتيهم ويعلمهم، ووضع لهم عقيدة لقفها عنه عامتهم، ثم مات فخلفه بعد موته عبد المؤمن بن علي القيسي، وتلقب بأمر المؤمنين وغلب على ممالك المغرب هو وأولاده من بعده مدة سنين، وتسموا بالموحدين، فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت، إذ هو عندهم الإمام المعلوم المهدي المعصوم، فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلأ لا يحصيها إلا الله خالقها سبحانه وتعالى، كما هو معروف في كتب التاريخ، فكان هذا هو السبب في اشتها مذهب

الأشعري وانتشاره في أمصار الإسلام، بحيث نسي غيره من المذاهب، وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه^(١).

وبعد أن كانت مسألة الإمامة من أوائل الأمور التي فرقت صف الأمة الإسلامية، وشغلت فكرهم فترة من الزمان، وقامت بسببها فتن ومعارك كبرى، وكانت من كبرى المسائل الكلامية، بدأت في الانحسار والتراجع أمام مسائل الإلهيات والعقليات الأخرى. فأخذت مباحث الإلهيات والمباحث العقلية الفلسفية في ازدياد واتساع في كتب الكلام، بل أصبحت تنصدر كتب علم الكلام، وأُخِرَت مسألة الإمامة لتكون من أواخر أبواب علم الكلام تناولاً وكلاماً وبحثاً.

وهذا التراجع الذي أصاب مسألة الإمامة سببه الأول كما ذهب إليه عدد من الباحثين السياسة، فبعد أن انتهى عصر خلافة منهاج النبوة، وتم إحكام السيطرة على الخلافة من قبل الملوك، كان لابد من صرف النظر والعقل عن مسألة الإمامة ومناقشتها بين صفوف طلبة العلم، فتم تراجع هذه المسائل، وازدياد حجم مسائل العقل والإلهيات والنظر، مثل: الهيولى، والجسم، والعرض، والكل والجزء، وطبيعة الكون إلى غير ذلك من مسائل الفلسفة^(٢).

وختاماً أقول: ليس معنى كلامي هذا أنني أنتقص من سادتنا الأشاعرة ولا من مذهبهم ولا من عقائدهم، بل هم كما قلت في البداية فرقة كبيرة جداً من أهل السنة والجماعة، ولكنني في هذا البحث أحاول أن أتحدث بلسان الباحث المتجرد عن التمدد، وقد بينت أن السياسة والحكم لعبا دوراً كبيراً في هذا الأمر، ما أدى إلى تراجع مذهب

(١) (٢: ٣٥٨).

(٢) انظر كتاب «المعرفة والسلطة» للدكتور عبد المجيد الصغير ص ٧١، وما بعدها، طبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب، سنة ٢٠١٠ م.

الماتريديّة على حساب انتشار المذهب الأشعريّ وسيطرته، فأردت أن ألفت نظر الباحثين إلى هذه المسألة حتى نكون واعين بتاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا ولا نكون مجرد مرددين لكلام السابقين دون وعي أو فهم أو إدراك.

وقد سبق وأشرت أنني أقوم بإعداد دراسة موسعة حول تاريخ علم الكلام، وأثر السياسة في مسأله ومباحثه، وضرورة التجديد فيه؛ حتى يتوافق مع متطلبات العصر الحديث الذي شهد تطوراً علمياً كبيراً لا بد أن نواكبه ونسايره، يسر الله تعالى إخراجها.

وأختم هذا الفصل بكلمات نورانية عرفانية من كلام سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني المستشهد بفاس عام ١٣٢٧ هجرية قدس الله سره حيث يقول: «...، ومُدَّ اللَّهُمَّ عَقْلِي مِنْ أَمْدَادِ عَقْلِهِ الْمُحَمَّدِيِّ إِلَى أَنْ لَا يَقَيِّدَ الْحَقَّ جَلَّ جَلَالُهُ فِي مَظْهَرٍ أَوْ تَجَلَّى، أَوْ يَحْكُمَ عَلَيْهِ جَلَّ قُدْسُهُ بِقَاعِدَةٍ أَوْ حُكْمٍ أَوْ ضَابِطٍ، فَإِنَّ الضُّوَابِطَ وَالْقَوَاعِدَ وَالْأَحْكَامَ إِنَّمَا جَاءَتْ لِتُحَجِّرَ الْعُقُولَ عَنْ تَنْطَعَاتِهَا بِمَا لَيْسَ لَهَا فِيهِ نَصِيبٌ، فَإِنَّ الشَّرْعَ الْكَرِيمَ نَفْسُهُ جَاءَ لِيُخَوِّ التَّطَلُّعَاتِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالتَّحَكُّمَاتِ الْحِسَابِيَّةِ، وَالْعَمَلِ بِشَمْسِ الشَّرْعِ صِرْفًا، فَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ بُرُوعِ شَمْسِ النُّبُوَّةِ حُكْمٌ لِمُقْتَضَى الْعَقْلِ وَلَا لِتَحْدِيدَاتِهِ وَتَوْقِيفَاتِهِ.

فَجَلَّ اللَّهُمَّ لَنَا حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ عَنْ سَرَيَانِ الْعَقْلِ الْمُحَمَّدِيِّ إِلَى أَنْ نَعْرِفَ الْحَقَّ بِالْحَقِّ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ بِهِ، وَنُعَايِنَ الْحَقَائِقَ كَمَا هِيَ دُونَ عِقَالِ الْعُقُولِ الظُّلُمَانِيَّةِ الْمَبُودَةِ بِالْعَرَاءِ وَصَاحِبِهَا الْمُتَحَكِّمَةِ فِيهِ طَرِيحٍ سَقِيمٍ بِالْجَهْلِ لَا يَرْتَاخُ لِرُوحٍ.

وَطَهَّرَ اللَّهُمَّ عُقُولَنَا مِنْ سَرَيَانِ الْعَقْلِ الْمُحَمَّدِيِّ حَتَّى لَا نَقَعَ فِي شَبَكَاتِ أَوْ حَالِ التَّوْحِيدِ التَّقْيِيدِيِّ، وَأَشْهَدْنَا الْجَمَالَ الْمُطْلَقَ بِهِ يَبْنِي سُجُفِ الْأَسْمَاءِ الْمُحَمَّدِيَّةِ حَتَّى لَا نَجْهَلَهُ جَلَّ اسْمُهُ فِي مَظْهَرٍ أَوْ رُتْبَةٍ أَوْ تَعَرُّفٍ أَوْ حَضَرَةٍ مِنَ الْحَضَرَاتِ، فَأَكُونُ مِنْ أَهْلِ التَّنْزِيهِ الْمُطْلَقِ الَّذِينَ لَا يُنْكِرُونَ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ فِي رُتْبَةٍ أَوْ مَظْهَرٍ ظَهَرَ فِيهِ جَلَّ حُكْمُهُ بِشُؤْنِهِ، فَيَقْرُونَهُ فِي جَمِيعِ صُورِ التَّجَلِّيَّاتِ الَّتِي يَتَجَلَّى فِيهَا أَوْ بِهَا.

فَإِذَا وَرَدْنَا الْقِيَامَةَ وَتَجَلَّى لَنَا جَلَّ وَجْهُهُ بِمَا شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ، لَا تُنْكِرُهُ كَمَا يُنْكِرُهُ أَقْوَامٌ لَا حَتِجَابَهُمْ بِالتَّحَكُّمَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَغَلْبَةِ عَدَمِ التَّنْزِيهِ الْمُطْلَقِ عَلَى عُقُولِهِمْ، فَكَانُوا يُنْكِرُونَ رَبَّهُمْ جَلَّ أَمْرُهُ فِي الدُّنْيَا إِذَا تَعَرَّفَ هُمْ بِتَعَرُّفٍ جَلَالِيٍّ، أَوْ تَجَلَّى هُمْ بِمَا لَا يُلَائِمُ طِبَاعَهُمْ، فَيَظْلُمُونَ فِي الْمُنَازَعَاتِ وَالرُّدُودِ وَالْمُنَاقَضَاتِ مَعَ أَحْكَامِهِ، ...، فَإِنَّ كُلَّ رَأْيٍ يَرَى رَبَّهُ جَلَّ عِزُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَلْتَدُّ بِرُؤْيِيهِ حَسْبَمَا كَانَ يَغْلِبُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ ضُرُوبِ اللَّذَازَاتِ وَغَلَبَاتِ الْمُشْتَهَاتِ، فَلِذَلِكَ حَصَرَ الْمُحَقِّقُونَ اللَّذَّةَ فِي الْمَعَارِفِ يَا كَرِيمُ. وَخُذْ إِلَيْكَ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ يَا اللَّهُ جَوْهَرَ عَقْلِي مِنْ بَيْنِ اشْتِبَاكِ الْأَوْهَامِ وَتَضَادِّ الْأَفْكَارِ فِي كُلِّ نَازِلَةٍ إِلَى أَنْ تَهْدِيَهَا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، يَا هَادِي أَهْدِنَا صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ»^(١).



(١) «صلاة فتوح الجوارح» ص ٥٠.

الفصل الثاني

ترجمة المؤلف^(١)

الاسم:

هو الإمام العلامة المتكلم أبو المعين ميمون بن محمد بن محمد بن معتمد بن محمد ابن مكحول بن الفضل النسفي المكحولي.

المولد:

لم تحدد كتب التراجم مولده إلا ما ذكره الزركلي في الأعلام أن مولده عام ٤١٨ هجرية، وكذا عمر كحالة في معجم المؤلفين.

ويذكر ابن قطلوبغا في «تاج التراجم»^(٢) أن وفاة الشيخ أبي المعين كانت عام ٥٠٨ وله سبعون سنة فعلى هذا يكون مولده عام ٤٣٨ هجرية.

التلاميذ:

١- نجم الدين، عمر بن محمد بن أحمد النسفي صاحب «العقائد النسفية» المتوفى ٥٣٧ هجرية.

(١) لخصت هذه الترجمة من ترجمة الدكتور جيب الله حسن أحمد للإمام النسفي، والتي صدر بها تحقيقه لكتاب «التمهيد لقواعد التوحيد» ولم أتوسع في الكلام عن الإمام النسفي لاشتهاره رضي الله عنه.
(٢) ص ٧٨.

٢- علاء الدين، محمد بن أبي أحمد أبو بكر علاء الدين السمرقندي، صاحب كتاب «تحفة الفقهاء» وغيرها من المؤلفات النافعة المتوفى عام ٥٧٥ هجرية.

٣- أبو بكر بن مسعود الكاشاني، صاحب كتاب «بدائع الصنائع» المتوفى ٥٧٨ هجرية.

٤- صدر الأئمة، أبو المعالي، أحمد بن محمد بن محمد بن الحسين البزدوي، صاحب المؤلفات النافعة، المتوفى عام ٥٢٤ هجرية.

وغيرهم من الأعلام الذين يشار لهم بالبنان.

المؤلفات: منها:

١- «تبصرة الأدلة». مطبوع.

٢- «بحر الكلام». وهو ذا.

٣- «التمهيد لقواعد التوحيد». مطبوع.

٤- «قصيدة القواعد في علم العقائد»، وتوجد منه نسخة بجامعة استانبول رقم:

٢٦٨.

٥- «إيضاح المحجة في كون العقل حجة». ذكره في «تبصرة الأدلة» و«التمهيد».

٦- «خَلَقُ الْفِعْلُ الْقَبِيحُ» ذكره في التبصرة.

٧- «الإفساد لخدع أهل الإلحاد» ذكره في التبصرة.

الوفاة:

تجمع المصادر أن أبا المعين النسفي رحمه الله تعالى توفي عام ٥٠٨ هجرية.

الفصل الثالث

نسبة الكتاب لمؤلفه، ووصف النسخ الخطية

المعتمدة في التحقيق، وعمل في الكتاب

نسبة الكتاب لمؤلفه:

ذكر هذا الكتاب حاجي خليفة في «كشف الظنون» (١: ٢٢٥) وإسماعيل باشا البغدادي في «هدية العارفين» (١: ٤٨٧) وكارل بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» القسم الثاني ص ٢٨٥ وغيرهم.

وصف النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق:

نال كتاب «بحر الكلام» للإمام النسفي رحمه الله تعالى حظاً وافراً، فقد تعددت نسخه في مكتبات العالم الإسلامي وغير الإسلامي بما يقرب من ٣٤ نسخة، ذكرها كارل بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» القسم الثاني ص ٢٨٥، ولا يخفى أن الوقوف على جميع نسخ الكتاب لتحقيقه أمرٌ ضروريٌّ مهم، ولكن في حالة كتابنا هذا يعد الوقوف على جميع النسخ عملٌ شاقٌّ جداً ومكلفٌ أيضاً ولا أستطيعه على ضعف قدراتي وإمكاناتي الحالية.

وقد وفقني الله تعالى وتمكنت - بعد جهدٍ طويل - من الوقوف على تسع نسخٍ خطية للكتاب، ورأيت أن هذا العدد من النسخ المخطوطة كافٍ لإعادة تحقيق الكتاب

مرة أخرى بشكل تطمئن له النفس ويتوافق مع قواعد التحقيق العلمي الرصين، وبيان النسخ التي اعتمدت عليها كالتالي:

١- النسخة (أ): نسخة مكتبة الاسكوريال:

وهي نسخة جيدة، برقم ١٥٦٥، تقع في ١٠٠ ورقة، كتبت في أواخر القرن الثامن أو أوائل التاسع الهجري، بأولها تملك باسم الأمير يلغا الناصري، ووقف على أولاد حمزة الموصلية الثلاثة، كتبت هذه التملكات بخط قطبغا الصارمي، بها سقط يسير في بعض المواطن، عليها تعليقات يسيرة، بها آثار رطوبة وأرضية، وقد اتخذت هذه النسخة أصلاً للعمل.

٢- النسخة (ب): مصورة مكتبة الملك سعود:

وهي من مصورات مكتبة الملك سعود من المكتبة التيمورية برقم ١٦:٤، وهي نسخة جيدة، تقع تحت رقم: ١٤٤٠ / أصول دين، مقابلة، بأولها تملك مطموس، كتبت عناوينها بمداد أحمر، بها فواصل ملونة بمداد أحمر، كتبت في القرن الثاني عشر، كتبها الأستاذ الشيخ أحمد الدلنجاوي المالكي الأشعري المتوفى عام ١١٢٣ هـ وهو شاعر وأديب له ديوان شعر محفوظ بمكتبة الملك سعود أيضاً تحت رقم ٥٦٤٣، بها آثار رطوبة وأرضية، عليها تعليقات يسيرة، عدد ورقاتها ٤٧ ورقة.

٣- النسخة (ج): نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية:

وهي نسخة جيدة، تقع تحت رقم: ١٩٦ / فنون متنوعة، مقابلة، فهرسة، ضمن مجموع [من ورقة ٨٥ أ: ورقة ١٤٩ ب] عدد ورقاتها ٦٥ ورقة، كتبت بخط نسخي جميل، كتبت عناوينها بمداد أحمر، كتبها عبد القادر بن قاسم كمال أدلبي عام ١١٥٤ هجرية، عليها تعليقات وحواش كثيرة، بها آثار رطوبة وأرضية.

٤- النسخة (د): نسخة مكتبة بلدية الإسكندرية:

وهي نسخة جيدة، تقع تحت رقم: ٧٣ / فنون متنوعة، مقابلة، كتبت بخط نسخي، بأولها نقول بالفارسية، والعربية، فهرسة، ضمن مجموع [من ورقة ١ ب: ورقة ٣٩ أ]، بها فواصل ملونة، عليها تصويبات، بها آثار رطوبة وأرضية.

٥- النسخة (هـ): نسخة مكتبة بلدية الإسكندرية:

وهي نسخة جيدة، مقابلة، تقع تحت رقم: ٦٠ / فنون متنوعة، ضمن مجموع [من ورقة ١٤ ب: ٥٥ ب]، كتبت عناوينها بمداد أحمر، عليها، كتبت في القرن الثاني عشر تقديراً، لا يوجد بها اسم ناسخ ولا تاريخ نسخ، بها آثار رطوبة وأرضية.

٦- النسخة (و): نسخة المكتبة البريطانية:

وهي نسخة جيدة، تقع تحت رقم: ٤٤٣٦٢، تقع في ٣٤ ورقة، كتبت بخط فارسي معتاد، كتبت عناوينها بقلم مختلف، كتبت في القرن الثاني عشر تقديراً، بها آثار رطوبة وأرضية، عليها تعليقات وحواش.

٧- النسخة (ز): نسخة المكتبة البريطانية:

وهي نسخة جيدة، تقع تحت رقم: ١٠٣٠٧، مقابلة، تقع في ١٦ ورقة، كتبت بخط فارسي دقيق، بها آثار رطوبة وأرضية، عليها تعليقات يسيرة جداً.

٨- النسخة (ح): نسخة المكتبة المركزية للأوقاف المصرية بمسجد السيدة زينب

عليها السلام:

وهي نسخة جيدة، تقع تحت رقم: ١، غير مكتملة، تنتهي عند قوله: «فصل: ولا يجوز أن يوصف الله بالمجيء والذهاب...»، تقع في ١٩ ورقة، مؤطرة، كتبت في القرن الثاني عشر تقديراً، بها آثار رطوبة وأرضية.

٩- النسخة (ط): مصورة مكتبة الملك سعود:

وهي نسخة جيدة، رقم: ٣٧١٩، وهي عبارة عن شرح كتاب «بحر الكلام» المسمى «غاية المرام في شرح بحر الكلام» للإمام العلامة حسن بن أبي بكر بن أحمد القدسي الحنفي المتوفى ٨٣٦ هجرية، وقد ألف هذا الشرح عام ٨٣٢ هجرية، كتبت بخط درويش مصطفى عام ١١١٩ هجرية، تقع في ١١٥ ورقة، وقد كتب المؤلف نص كتاب «بحر الكلام» ثم أتبعه بالشرح، وهو شرح مختصر جداً، ولكنني استفدت منه في مقابلة متن الكتاب، وفي بعض المواطن من الشرح يسيرة.

عملي في التحقيق:

١- قمت بنسخ المخطوط معتمداً على النسخة (أ) كأصل للعمل.

٢- أثبت فروق النسخ المهمة فقط، ولم أثقل الهوامش بالفروق البسيطة التي لا تؤثر على نص الكتاب من تقديم وتأخير أو اختلاف في حروف العطف من واو أو فاء، وأمثال ذلك.

٣- سبق وأن أشرت أن النسخة (أ) بها سقط في مواطن يسيرة، فما كان مثبتاً في جميع النسخ وساقطاً من (أ) أشرت أنه ساقط من (أ) ووضعت بين معقوفتين، كما قمت بوضع ما أضفته من النسخ الأخرى بين معقوفتين هكذا: [...] مع بيان موضع الزيادة من أي نسخة هو.

٤- قمت بالتعليق على متن الكتاب بما رأيته يحتاج إلى توضيح أو شرح أو تصويب.

٥- قمت بتخريج الأحاديث تخريجاً متوسطاً بلا تطويل أو إسهاب.

٦- ترجمت المؤلف ترجمة مختصرة.

٧- كتبت مقدمة تحدثت فيها عن علم الكلام وأهميته وبعض القضايا التي تتعلق به، ومذهب أهل السنة والجماعة من الماتريدية والأشعرية.

٨- صنعت فهرساً تفصيلياً للموضوعات.

* * *

صور المخطوطات المعتمدة في التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ الْأَعْمَاءُ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَالصَّلَاةُ عَلَى
 رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ وَآلِهِ وَاصْحَابِهِ الْأَكْرَامِ
 قَالَتِ الشَّيْخَةُ الْأَمَامَةُ الْأَجَلُ فِي بَيْتِ أَهْلِ
 الشَّيْخَةِ وَاجْتِمَاعِهِ سَيْفُ الْحَقِّ أَبُو الْمُعِزِّ الْمُنْشِي
 رَحِمَهُ اللَّهُ أَعْلَمُوا أَنِّي أَعْتَقِدُ مَعْرِفَةَ اللَّهِ تَعَالَى
 وَالنُّوحِيدِ وَأَقُولُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ مُرَدُّ
 قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ وَأَنَّهُ صَمَدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا مِثْلَ
 لَهُ لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا شَكْلَ لَهُ وَلَا مِثْلَ لَهُ وَلَا
 نِدَاءَ لَهُ لَمْ يَزَلْ أَحَدًا صَمَدًا وَفَرْدًا وَتَرَدُّدًا وَلَا يَزَالُ
 كَذَلِكَ أَبَدًا وَهُوَ الْكَامِلُ فِي ذَاتِهِ الْأَزَلِيُّ
 بِصِفَاتِهِ الْمُنَزَّاهِ عَنِ النِّقْصَانِ الْعَالِمُ الْغَالِبُ
 الْغَنِيُّ لَا يَزَالُ لَمْ يَزَلْ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْمَكَانَ

٣.

وقبل ان خلق الوقت والزمان ثم انه خلق الوقت
والعرش واستوى على العرش وهو مستغفر عن
العرش وليس العرش له بمستنق ولا بمكان
بل هو منك العرش والمكان وهو اعظم من ان
يشعه المكان وهو فوق كل مكان علم ما يكون
قبل ان يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون
قد سبق علمه في الاشياء قبل كونها ولا يكون
في ملكه شيء الا بعلمه ومشيتته ونفديته
وقضايه وهو كما وصف نفسه في كتابه من
غير صورة وكما عرف نفسه من غير رؤية
واحاطة فقتال جل جلاله ان ينوله على
الله علم وشلم فل هو الله احد الى آخر السورة
وهو اشارته الى الوجود نقض على المحاطة

صورة الصفحة الأولى (ب) من النسخة (أ)

وتمكن ان يميل الى ما هو خير له ويحترز
عما هو شر له ويعلم متى يموت وقال
اهل السنة والجماعة هذه البروج والنجوم
والشمس والقمر والنيرات مستخرات ليس
لها من التدبير شيء ^{او التدبير المستعار} ومندبر الامور هو الله
تعالى كما قال الله تعالى والشمس والقمر
والنجوم مستخرات باسمه فان قيل علم
النجوم كان حقاً في زمن ادريس علم السلام
ومن قال بالله نسخ فعليه الدليل يدك
عليه قوله تعالى خبرا عن ابراهيم علم السلام
فتنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم
استدل بالنظر الى النجوم انه سيقم
والجواب قلنا ان ابراهيم علم السلام

صورة الصفحة الأخيرة (أ) من النسخة (أ)

علم الله يموت وامسا في زمن ادرس علم
السلام قلنا ليس التدبير بالنجوم ولكن
الله تعالى اخبرهم في كتابهم ان نجم كذا
اذ بلغ موضع كذا فاعلم انه سيكون كذا
وكذا فعرفوا ذلك بتعريف الله تعالى
آية ثم نسخ من وقت سليمان على السلام
حين غابت الشمس بعد ما دخل الليل
فلشوش عليهم ذلك الحساب والله
الهادي فصل قال اهل النجوم الشمس والقمر
والنجوم في السماء الرابعة وقال اهل النفس
سما الدنيا يدلع على قوله تعالى انا ربنا السما الدنيا
بمصايح ولذلك قوله تعالى في قصه ذي القرنين
حتى اذ بلغ مغرب الشمس وجده توتى بغير حية وهو ثم

وايه الهادي
افهم الله و
صلواته على
الانبياء

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

صورة الصفحة الأخيرة (ب) من النسخة (أ)



صورة الصفحة الأولى (أ) من النسخة (ب)

صورة الصفحة الأخيرة (ب) من النسخة (ب)

صورة الصفحة الأولى (أ) من النسخة (ج)

صورة الصفحة الأولى (ب) من النسخة (ج)

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة (ج)

بالله العظيم ولقد اسبغ من رخص الغيم فصل قال اهل النجوم امور اسبل
 الارض متعلقة بالروح الاثني عشر وبالنجوم السبعة رجل ومنح والمشرق
 والزهرة وعطار والقمر والشمس وقالوا ان هذه النجوم موزعة اسبل الارض
 فكل اسبل النجوم يعرف صلاح نفسه ويعلم ان يعمل الى ما هو خير له ويحترز
 عما هو شر له ويعلم متى يموت وقال اهل السنة والجماعة هذه البروج والنجوم
 والشمس والقمر وجميع النيرات مسخرات ليس لهن من الله شيء ومردود
 الاثني عشر لله تعالى كما قال الله تعالى والشمس والقمر والنجوم مسخرات لينا
 فانه قيل علم النجوم كان حقا في زمان ادريس عليه السلام ومن قال بان
 نسخ فعليه السلام يدل عليه قوله تعالى خبرنا عن ابراهيم عليه السلام في نظر
 في النجوم فقال اي شيء استدل بالنظر في النجوم انه يستقيم والحرارة قلنا
 ان ابراهيم عليه السلام علم النبوت فكل من علم النبوت انه يستقيم ويجوز كونه
 سفيها كما قال النبي عليه السلام لا تعلم الا من لا يعلم عن قلته او علمه او له واما
 في زمان ادريس عليه السلام قلنا ليس التنبؤ بالنجوم ولكن الله تعالى اجاز
 في كتابهم النجاة اذا اذبح موضع كذا فاعلم انه يكون كذا وكذا فعرفوا ذلك
 الله اياهم ثم نسخ من وقت سليمان عليه السلام حين عادت الشمس بعد ما
 مضى الليل فتشبهت عليهم ذلك الحساب والاداء اليه وقد قال عليه السلام
 ان الله تعالى عادة جملة في كذب الخبيث وقد قيل ان النجاة كالحاسب والآلة
 كالساحر والساحرة كالحافز والحافز في النار والليل على بطلان النجوم
 قوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض والخلق انهم وما
 كنت متخذ المصلين عضدا ولان العلم لا يحصل الا بشيئين اما بالآلة
 او بالخبر الصادق والنبي عليه السلام لم يخبر بها والناس في العاقل

صورة الصفحة الأخيرة (أ) من النسخة (د)

كلهم سواء الا ان بعض الناس وكلوا ابراهيم وخذلوا بقولهم فصلوا اضلا البعيدة
 وخسروا خسرا كبيرا وقيل من اعتصم بما فصل ومن اعتصم بعقله
 ومن اعتصم بخلقته فل من اعتصم برجل ومن حصل شيء ان النجوم لم يهتدي
 وليس له عن حال جيبه في بيته خبر فصل قالت اهل النجوم الشمس والقمر
 والنجوم في السماء الرابعة وقال اهل السنة والجماعة واهل التفسير
 في السماء الدنيا يدل عليه قوله تعالى ولقد زيننا السماء الدنيا زينة للراغبين
 وكذلك قوله تعالى في قصة ذي القرنين حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجد
 تغرب في عين حمئة وبهولم يبلغ الى السماء الرابعة والاداء اليه الي
 سبيل الرشاد ثم اقول ان ابن العربي بن محمد المكي النسي نور الله وجهه
 بفضلهم وصلى الله عليه سيدنا محمد الذي ارسله رحمة وقوله حكمة وعلي
 الدومجحة جمع بين الي يوم الدين

السماء بجملة النجوم

صورة الصفحة الأخيرة (ب) من النسخة (د)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الجلال والإكرام والصلوة على رسوله محمد خير
الأنام وعلى آله وأصحابه أكرام قال الشيخ الأمام الأجل
الآية لسان الحق والى النظم والنثر أبو المعين النسفي رجم
اعلموا اني اعتقد موقفة الله تعالى والتوحيد واقول بان الله تعالى
واحد قديم اذني وانه الصمد لا يشرك له ولا من له ولا يشبه
ولا شكل له ولا ضد له ولا تد له لم يزل احد قدا صمد اوترا
ولا يزال كذلك ابد ابد هو الحامد له اذ في صفاته المنزه
عن التقصان العالم الغائب بلا سبيلان لم يزل كان قبل ان خلق
المكان وقبل ان يخلق الوقت والزمان ثم انه خلق الوقت
والعرش واستوى على العرش وهو مستقيم على العرش وليس
العرش له يستقر ولا مكان له ولا عظم من ان يسبح المكان وهو
فوق كل مكان علم ما يكون قبل ان يكون وما لا يكون ان لو كان كغيره
يكون قد سبق عليه الاشياء قبل كونه لما يكون في ملكه شيء الا
بعد ومشيته وتقدره وقضائه ويحكمه صفة نفسه كتابه
من عجز عبوده وكما عجز قهره من عجز ربه واعاطه كما قال
جل جلاله لم يزل عليه السلام قبله الله احد الى آخر السور
اشارة الى الموجود نقض على المعطلة والباطنية احدا اشار

صورة الورقة الأولى (أ) من النسخة (هـ)

الى حدة نقض على الشركين والثنوية الصمد نقض على المشبهة
لم يلد ولم يولد نقض على اليهودي والنصارى ولم يكن له كفوا احد
نقض على المجوسية يقولهم يزدان وآخر من كانا لم يلد بشي
وهو الجميع البصر فلما تبين وظلم اعتقاده سئل عن معتقده و
قبل الممقنة وما التوحيد وما الاسلام وما الامانة وما الدين
اما الممقنة ان تعرفه بالوحدانية واما التوحيد ان تعرفه
الشرك والامتنان والاضداد واما الايمان الاخر اذ بانك
والنصير بنى بالقلب بوحدانية الله تعالى واما الاسلام ان تعبد
الله تعالى بوحدانية واما الدين فالتباعد على هذه الحصان الاذني
الى الموت قال الله تعالى من يتبع غير الايمان ديني فلي يضل منه
وهو في الآخرة من الخاسرين فصل اعلم ان المناظرة والحجرات
في الدين جائرة بخلاف المشقة حيث قالوا اننا لا نحجز واما تكلم
اذ كانت للعلماء وطلب الحناء والاشياء والديانات قبل ما جده العلم
قال اهل السنة والجماعة موقفة المعلوم على ما هو به وهو علم الخلق
وعلم الله تعالى الاحاطة والجنس على ما هو به لانه لا يوجد صفة بالمعرفة
لانه لم يزل عالما لما بيننا قال الله تعالى وقد احطنا بما لديه خبرا
وقالت الممقنة حدة العلم معرفة الشيء على ما هو به وهو باطل لان
المعروف ليس بشي والابنوع عليه اسم الشيء لانه الله تعالى خلق الاشياء
لان شيء يقول بانك فيكون وعندنا بالوضع لا بالقول فلو قلنا
قالت الممقنة خلق الاشياء

صورة الورقة الأولى (ب) من النسخة (هـ)

ولقد رتبنا السماء الدنيا بمرية الكواكب وكذا كقولنا في قصة
 ذي القرنين حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدنا تغرب في عين حمئة
 و هو لم يبلغ الى السماء الرابعة والتمسها في سبيل الرشاد
 ثم اصول ابني المعين بن محمد المكي في نسخ توراته مضمومة
 بفضل الله صلى الله عليه وسلم سيدنا محمد الذي ارسله رحمة للعالمين
 وعلى آله وصحبه الى يوم الدين تم الكتاب

صورة الورقة الأخيرة من النسخة (هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل في كتابه الحكيم ما لا يحصى من العجائب والبركات
 والامام الاجل رئيس الامة سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم
 اعلم اننا اعتقد بحقيقة الله تعالى والتوحيد واول ما في الله تعالى واحد فرد قديم أزلي
 واحد لا يشركه في الالهة ولا شريك له ولا شريك له ولا شريك له ولا شريك له ولا شريك له
 صمد فرد وتو ولا يزال كذلك ابدا وهو الكامل في ذاته الا ان في بعض المراتب من الصفات
 العالم الغائب بلا نسبنا لم يزل كان قبل ان خلق المكان وقبل ان يخلق الوقت والزمان
 ثم ان خلق الوقت والعرش والعرش على العرش وهو مستغن عن العرش وليس العرش
 مستقر ولا مكان بل هو محسوس العرش والمكان وهو اعلم من ان يسمع المكان وهو فوق
 كل مكان علم ما يكون قبل ان يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون قد سبق علم في الاشياء
 قبل كونها ولا يكون في ملكه شيء الا بعد ان يشيئ وتقدره وقضاة وهو كما هو في نفسه
 في كتابه مما هو ضرورة وكما عرف نفسه من غير رؤية واحاطة فقال جل جلاله رسول
 صلي الله عليه وسلم قل هو الله احد الى تمام السورة وهو اشارة الى الجود ونقص على
 المعطية والباطنية احداثيات وحدته ونقص على المشركين والثنوية انهم نقص
 على المشبهتهم به ولم يولد نقص على اليهود والنصارى ولم يكن له كفوا احد نقص على
 الجحوس بقولهم يزاد فيهم من حيث كان الله تعالى ليس كشيء وهو السميع البصير قل
 يتبين وظهور اعتقاده سئل عن معتقده وقيل المعرفة وما التوحيد وما الايمان

THE BRITISH LIBRARY
 ORIENTAL AND INDIA OFFICE COLLECTIONS

1	2	3	4	5	6
1	2	3	4	5	6

صورة الورقة الأولى (أ) من النسخة (و)

وما الا لاسلام واما الدين واما المعروف ان تعرف بالوحدانية واما التوحيد
ان تنفي عنه الشرك والاشغال والاضداد اما الديات الاقرار باللسان ونسبة
بالقلب بوحدة الهية نعم اما الاسلام ان تعبد الله نعم بالوحدانية نعم
الاثبات على هذه الخصال الاربع الى الموت قال الله نعم ومن يتبع غير الاسلام
ويتأفلن يقبل عذابي وهو في الآخرة فيلبي سري ^{فيصل} اعلم ان المنقولة والبدل
في الدين جازي بخلاف ما قالت المستعممة انه لا يوجد وانما كره للارادة وطلب الجاه
والنقاء والدنيا فان قيل ما هذا العلم قال اهل السنة والجماعة معرفة المعلوم
على ما هو به وهو علم المتخلقين وعلم الله تعالى الاعاظم والخبر على ما هو به لانه لا يرضى
بالمعرفة لانه لا يزل عال لما بيننا تعالى الله عما يشركون وقد احطنا بما لديه خبرا وقالت
المعتزلة هذا العلم معرفة الشيء على ما هو به وهذا باطل لان المعلوم ليس شيئا
ولا يقع عليه اسم الشيء لان الله تعالى خلق الاشياء واعنى شيء بقوله كن فيكون
وعندنا بالاصح لا بالقول فلو قلنا معرفة الشيء على ما هو به يرد على ايا قدم
الاعميان مع الله تعالى وذلك مذهب الدهرية الكفرة الخيرة لان عندهم العلم قديم
والله تعالى عالم بكل العلم من صفاته الالهية بخلاف ما قالت المعتزلة ان ذاك
عليه والله تعالى علم بذاته على ما ذكرنا وعندنا هو عالم بكل العلم من صفاته الالهية
علم ما يكون قبل ان يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون قد سبق علمه في الاشياء
قبل ان تكونها قال الله تعالى قل لا يعلم عن السواك والارض الغيب الا الله وقالت

قبر سوانح و لا و ام المومنین
والاجساد منزهة
ابو امير

[illegible]

لما نظر الى امرأة اوريا فعاث به الله تعالى بذلك وروى عن عائشة رضي الله عنها
 انها قالت ما شيع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام متواليات من غير مرة
 مرتين حتى قبضوا اذ كان روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مات سبعون نبيا
 في يوم واحد من الجمع والقيل نسك قال اهل التجوم اوريا اهل الارض
 متعلقة بالبروج الاثني عشر والنجوم السبعة وقالوا باء هذه البروج والنجوم
 مدبرات لاهل الارض فكل من علم يعرف صواب نفسه ويكف عن ان يعبد الى ما هو غير له
 ويحذر زعماء يوشركه ويعلم حق عبودته وقال اهل التثنية والجمجمة هذه البروج
 والنجوم والنسب والقر والقيرات مسخرات ليس لاهل التثنية شيء ومدبر ذلك
 هو الله تعالى كما قال الله تعالى والنسب والقر والنجوم مسخرات بامره فان قيل علم النجوم
 كان حقا في زمن ادريس عليه السلام ومن قال باءه شيع فعليه لعن الله قوله تعالى خبر
 عن ابراهيم عليه السلام فلما نظر في النجوم فقال يا سقيم استدبل بالنظر الى النجوم
 انه سقيم والجواب قلنا ان ابراهيم عليه السلام علم انه يموت علم انه سقيم واما في زمن
 ادريس عليه السلام قلنا ليس التدبير بالنجوم ولكن الله تعالى اعزهم به كتابهم
 ان يخجلوا اذا علموا موضعا كذا فاعلم انه سيكون كذا وكذا اقر فواذك بتعريف
 ثم شيع من وقت سلطنة عليه السلام حين غابة الشمس بعد ما دخل
 الليل فتنشوش عليهم ذلك الحجاب والله الهادي فمن
 قال اهل النجوم الشمس والقر والنجوم في السماء الرابعة وقال اهل التثنية

5

صورة الورقة الأخيرة (أ) من النسخة (و)

صورة الورقة الأولى (ب) من النسخة (و)

والبحر الحمر والشعرى السماء الدنيا يدرك عليهم قوتها تارة انارتها السماء الدنيا
بزينة الكواكب وقوتها انارتها السماء الدنيا بمهاجج وكذلك قوتها في قوتها
في القرنين حتى اذا بلغ مغرب الشمس جدا تغرب في عين حليمة وهو يعلم بطلع الاسماء
الرابعة

ثم توفيق الله تعالى في يوم السبت من شهر رجب المرجب في قسبة ولجرتين وكنت
الغبرة ترأب الاقدام عبيد الغنى الهندى المحضى رجا القادرى شرياً وفرة الله تعالى
توفيق العارفين بحج محمد وآله والهمى به اجمعين خير تحيك يا ارحم الراحمين
قال على حكم الله وربه فطيسوا الكحل فان النساء عبيد الرجال لا يمكن
لانفسهن نفعا ولا فرا وان هن امانت الله عنكم فلا تصادوهن ولا تفرو
هن فان ابن عباس رضى الله عنه يقول اعلنوا بهذه الكحل فانه سنة ابيكم
ادم عليه السلام وليس شئ يوجب الى الله من الكحل ولا البغض اليه
من الطلاق واذا اغتسل المؤمن خلال الكحل يكاف اليه عبيد الله
ويقول بعد فخرج هذا العبد من ذنوبه وبناى مشهورته واتام بسنة الله ادم
عليه السلام فقل من قصص الانبياء قال عجب الى من دنياك نلت
الطيب والنساء وقرعة عين الصلوة وفي حاشى الكثرى وتركت ذكر انى لست تنبها
عالم لم يكن شأنه ان يذكر شرا من الدنيا ثم تداود فذكر اهلون الذين وهو
قرعة العين الصلوة وتبلى نادى ان يقول والو اما الله كان ما هو لا يعاين الليل ع

[illegible]

والسلام افضل اعمال الحق
انتم افرج الله تعالى
يحيى
افان ليس الا ليعيب لنا قول
والله يريدنا نذكر اننا
والمع
ان التواضع تاج الارزاق

[illegible][illegible][illegible]

فصل

2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100
101
102
103
104
105
106
107
108
109
110
111
112
113
114
115
116
117
118
119
120
121
122
123
124
125
126
127
128
129
130
131
132
133
134
135
136
137
138
139
140
141
142
143
144
145
146
147
148
149
150
151
152
153
154
155
156
157
158
159
160
161
162
163
164
165
166
167
168
169
170
171
172
173
174
175
176
177
178
179
180
181
182
183
184
185
186
187
188
189
190
191
192
193
194
195
196
197
198
199
200
201
202
203
204
205
206
207
208
209
210
211
212
213
214
215
216
217
218
219
220
221
222
223
224
225
226
227
228
229
230
231
232
233
234
235
236
237
238
239
240
241
242
243
244
245
246
247
248
249
250
251
252
253
254
255
256
257
258
259
260
261
262
263
264
265
266
267
268
269
270
271
272
273
274
275
276
277
278
279
280
281
282
283
284
285
286
287
288
289
290
291
292
293
294
295
296
297
298
299
300
301
302
303
304
305
306
307
308
309
310
311
312
313
314
315
316
317
318
319
320
321
322
323
324
325
326
327
328
329
330
331
332
333
334
335
336
337
338
339
340
341
342
343
344
345
346
347
348
349
350
351
352
353
354
355
356
357
358
359
360
361
362
363
364
365
366
367
368
369
370
371
372
373
374
375
376
377
378
379
380
381
382
383
384
385
386
387
388
389
390
391
392
393
394
395
396
397
398
399
400
401
402
403
404
405
406
407
408
409
410
411
412
413
414
415
416
417
418
419
420
421
422
423
424
425
426
427
428
429
430
431
432
433
434
435
436
437
438
439
440
441
442
443
444
445
446
447
448
449
450
451
452
453
454
455
456
457
458
459
460
461
462
463
464
465
466
467
468
469
470
471
472
473
474
475
476
477
478
479
480
481
482
483
484
485
486
487
488
489
490
491
492
493
494
495
496
497
498
499
500
501
502
503
504
505
506
507
508
509
510
511
512
513
514
515
516
517
518
519
520
521
522
523
524
525
526
527
528
529
530
531
532
533
534
535
536
537
538
539
540
541
542
543
544
545
546
547
548
549
550
551
552
553
554
555
556
557
558
559
560
561
562
563
564
565
566
567
568
569
570
571
572
573
574
575
576
577
578
579
580
581
582
583
584
585
586
587
588
589
590
591
592
593
594
595
596
597
598
599
600
601
602
603
604
605
606
607
608
609
610
611
612
613
614
615
616
617
618
619
620
621
622
623
624
625
626
627
628
629
630
631
632
633
634
635
636
637
638
639
640
641
642
643
644
645
646
647
648
649
650
651
652
653
654
655
656
657
658
659
660
661
662
663
664
665
666
667
668
669
670
671
672
673
674
675
676
677
678
679
680
681
682
683
684
685
686
687
688
689
690
691
692
693
694
695
696
697
698
699
700
701
702
703
704
705
706
707
708
709
710
711
712
713
714
715
716
717
718
719
720
721
722
723
724
725
726
727
728
729
730
731
732
733
734
735
736
737
738
739
740
741
742
743
744
745
746
747
748
749
750
751
752
753
754
755
756
757
758
759
760
761
762
763
764
765
766
767
768
769
770
771
772
773
774
775
776
777
778
779
780
781
782
783
784
785
786
787
788
789
790
791
792
793
794
795
796
797
798
799
800
801
802
803
804
805
806
807
808
809
810
811
812
813
814
815
816
817
818
819
820
821
822
823
824
825
826
827
828
829
830
831
832
833
834
835
836
837
838
839
840
841

6

صورة الورقة الأولى (أ) من النسخة (ز)

تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه والجواب عن قوله قبضته يوم القيامة يعني في ملكه
وقد رآه كما يقال هذه الارض في قبضتي وملكى ولم احتجوا
بأثبات المساق لله تعالى لقوله يوم يكسئ عن ساق وفي الخبر
ان قلوب العباد بين اصبعين الرحمن يقلبها كيف يشاء
وفي الخبر اياهم تقول في في فيضع الرب قدمه فيها فتقول
تقطعت يعني حسي حسي قلت اراد بالساق ابر عظيم
صعبا وقال بعضهم اراد به ساق جهنم لما روي في الخبر ان
لجهنم ثلاثين الف راس في كل راس ثلثون الف ثم قلد للرجلين
ان يكون له ساق ومعنى الخبر ان قلوب العباد بين اصبعين
الرحمن اراد به الاثر ذكره الاصمعي و اراد به الاثر وهو ما مر
اللفظ وقوله حجة معناه بين الاثرين من اثبات الرحمن
وهو التوفيق والخذلان فمن وفقه الله تعالى يشتغل بالطاعة
ومن خذله يشتغل بالمعصية ومعنى الخبر يضع الجبار
قدمه فيها بكسر القاف وهو الصحيح من الروايات معناه
من كان في قدمه علمه من الكلام والله الهادي فصلي
ولا يجوز ان يوصف الله تعالى بالمجي والذهاب لان المجي والذهاب
من صفات المخلوقين وامارات المحدثين وهما صفات
منفيتان عن الله تعالى الا ترى ان ابراهيم صلوات الله
عليه كيف استدل بالمنتقل من مكان الى مكان انه ليس برب
حيث قال فلما افل قلبك لاجب الا فليق ومعنى قوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم و به تمضي
الحمد لله المزلجي بذاته القديم بصفاته الفرد الصمد
بدلالة اياته حمد من عجز عن ادراك حقيقته من مخلوقاته
والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد المصطفى لتعريف تكريم
بيئاته وعلى اله واصحابه القايدين بغيرته في جميع اوقاته
وبصدد فيقول الفقير الى الله تعالى حسن بن ابي بكر المصمسي
الحقني عامله الله تعالى بلفظه الحقني انه الشيخ المرام العلامة
ابا المعين النسفي لما كان ثابته الموسوم ببحر الكلام وهو كما سمع
شتم على القواعد والمردلة والاحكام من المنقول والمعتق
بما ينفع المرام مختصرا في شرح موضع مشكلاته وتلخيص خباياه
فشرجه بما يوصل الى المقصود من طلباته وسماه عاتقة
المرام في شرح بحر الكلام واسأل الله ان ينفع به كما ينفع باصله
وهو حبي ونعم الوكيل اعلم ان البحث في الشيء لما كان مسوقا
بقصود فلا بد من تقدير ما يقيد ذلك وهو معرفة موضوعه
اذ به يتميز ماهيته عن غيره وبيان ماهيته وغايته وهي
الفايدة المطلوبة فاذا علمت هذا فستعلم ما هيته كل علم
ما يسطح عليه اهل ذلك العلم فما هيته علم الكلام ما يبيح
فيه عن ذات الباري وصفاته وعن احوال الممكنات
في الجسد والمعاد على القانين الاسلام فيقول لنا علم جنس
ويبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته تخرج العلم الغير
المألوف وقوله على قانون الاسلام تخرج العلم الا لاهي على قانون
الفلسفة والمعاد قانون الاسلام ما يكون على وفق الكتاب
والسنة والجماع والمعتق الذي يدين افقنا وقيل في تعريفه
ايضا علم يبحث فيه عن المقاييد من حيث صحتها وقساوها
وموضوعه ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية لان تمام العلم

تتميز

تتأين موضوعاتها ومساائله في الموارد والحوال المجهرات
غفراً وغايتها معرفة الله تعالى وصفاته التي هي سبب
السعادة القصوى وكسبي هذا العلم بالكلام وهو علم
التوحيد والصفات لذة مسئلة الكلام كانت اشهر مباحثاً واكثرها
نزاعاً اولاً لا يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشريعة
اولاً لا الواجب على الانسان معرفة الكلام ثم خص به هذا
النوع ولم يطلع على غيره تمييزاً له عن غيره اولاً لا انما يتحقق
بالجاسة وادارة الكلام من الجانبين اولاً لا اكثر العلوم خلقاً
فحققت له الكلام مع الخالق والرد على رسوله اولاً لا لقوة ادلته
صار كأنه الكلام دون ما عداه وهذا اولى الشروع في كلام الله
فمنقول قال العلماء اني اعتقد معرفة الله تعالى والتوحيد
اقول كانه لا بد ان يقول اعتقد العلم بالله بل انه حاول الله
عليه ان المراد بالمعرفة العلم كما اصطاح عليه قوم من تحقيق العلم
بالكميات او الكمالات والمعرفة بالسائط والجزئيات وقوله
العلم اخطا في كل من يتأني من العلم ولا اعتقاد هو التوحيده
بالعلم على الشيء بان لا يكون متركاً والله اسم لواجب الوجود
وقوله والتوحيد اني واعتقد الله واحداً وانما بدأ بذكر اعتقاد
معرفة الله تعالى لان الواجب على المخلوق اولا معرفة الله تعالى
وقيل الواجب اولا النظر المفيد للمعرفة وقيل القصد الى النظر
والخلق قيل لفظي لانه ان اردت بالواجب اقولا ما يكون مقصودا
بالذاقة فلا شك ان القصد ان ارد به السبب المفيد لما هو
المقصود فلا شك ان النظر المفيد للمعرفة ثم النظر قيل واجب
حسماً وهو مذهب الفرس وفي قيل عقلاً وهو مذهب اهلنا
والمعرفة واستدل من قال بوجوبه سمياً بقوله تعالى وما كنا
مصدقين بالآية وبجمله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل

صورة الورقة الأولى (ب) من النسخة (ط)

بما فيه اوجاباً والخبر الصادق والبيبي عليه السلام لم يخبر عنهما
والناس في المعانيه سواء بل ان بعض الناس وكلوا باراً باسم
وخذلوا بمتولاهم ففصلوا صلاً بعيداً وخسروا خيراً كثيراً
وقد قيل من اعتصم بالله قل ومن اعتصم ببقوله قل ومن
اعتصم بخلقته قل ومن اعتصم بربه جل شمو
كما ان المبحر لم يردني وليس له عن حال خبيته في بيته خراً
اقول قوله ثم نسخ هذه اجواب عن قوله فن قال انه نسخ
فعلية الدليل اي المستدل بالانجوم والروح نسخ في زميت
سليماً عليه السلام وكذلك الحساب بما بين عادت
الشمس بعد ما غربت يقول سليمان ردها على ايد الشمس
لما استقل برض الخيل انما اصلته من دمشق غنيمة او من مراث
ابيه او خرجت له من البحر عن صلوة العروة وهو الزفر
قأ نسخ فلا يجوز القول به قال عليه السلام ان الله عا دة
في كذيب المبحر وقال عليه السلام من صدق كاهنا و
منجوا او عزا قاي طيباً فقد كفر بما انزل الله عليه محمد
وقد قيل المبحر كالكاهن والكاهن كالحمار والساحر كالكافر
والشاعر كالتار والدليل على بطلان علم النجوم والطب
المنقول والمنقول اما المنقول فقوله تعالى ما اشهدتم
خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كانت متخذة
المصلحين عضداً واما المنقول فلام العلم لا يحصل
للمبتدئين بما بينه او اجاباً صادق والبيبي عليه السلام
لم يخبر عن علم النجوم والطب والناس في المعانيه سواء واذا لم
يحصل العلم بدينه من الطريقين فلا يجوز القول بهما لكن بعض
الناس استمعوا لغيرهم فخذلوا وخلقوا افان من اعتصم ببقوله
قل ومن اعتصم بالخلق قل ومن اعتصم بما خلقه جل اي عظم

صورة الورقة الأخيرة (أ) من النسخة (ط)

وامه اليه قال قال اهل النجوم الشمس والقمر والنجوم
في السماء الرابعة وقال اهل السنة والجماعة في السما الدنيا يدل عليه
قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وقوله تعالى
في قصة ذي القرنين وجدها قريبا في عين حمئة وهو لم يبلغ السماء
الرابعة وامه اليه اقول الشمس والقمر والنجوم في السما الدنيا
خلافا لاهل علم النجوم والتقويم فانهم قالوا ذلك جميعه في السما الرابعة
وقد تقرر ان المشهور عند اهل الفقه في السما الدنيا والشمس في السما الرابعة
واما النجوم فزحل في السما السادسة والمريخ في السما السابعة والمشتري في السما الرابعة
والزهرة في السما الثالثة وعطارد في السما الثانية لقوله تعالى ولقد زينا السماء
الدنيا بزينة الكواكب وهم متساو الكتل والمواد من الزينة قيل منوها
وقيل استكمالها المختلفة كشكل الزيا وبناء نفوسهم والجماء وقوله تعالى
في قصة ذي القرنين وجدها قريبا في عين حمئة وحيه يستدل ان اهل
القرنين وجدوا الشمس قريبا في عين حمئة ومن المعلوم انهم لم تبلغ السماء
الرابعة ولا فاشوا هذه كسوا الشمس ونفوس القربا عينا في سما الدنيا
ولا اطلاق لنا على روية ما في السما الرابعة وامه تعالى اعلم ثم انساب
الموسم بناية المواد في تبحر الكلام بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في يد
المفكر المحقق الحاج الى غناية ربه القدير دويش مصطف في تبيين ملاح
سنة قال كاتب اصله وتعلته من خط المولى قال المولى

تم قال في سنة الثامنة والعشرين من شهر جمادى الاولى
من شهر رنة اثنين وثلاثين وثمانمائة احدى
اليه واحمد له وحده وصلى الله وسلم
عليه من لا ينبي بعده واحمد له
رب العالمين

النَّصُّ الْحَقُّقُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[توكلتُ على الحيِّ الذي لا يموت ولا يفوت أبداً]^(١)

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والصلاة [والسلام]^(٢) على رسوله محمد خير الأنام، وعلى آله وأصحابه الكرام.

قال الشيخ الإمام الأجل، [لسان الحق]^(٣) رئيس أهل السنة والجماعة، سيف الحق، [ولي النظم والنشر]^(٤) أبو المعين النسفي رحمه الله:

اعلموا أني اعتقدت^(٥) معرفة الله تعالى والتوحيد [والدين]^(٦)، وأقول بأن الله تعالى واحد فرد قديم أزلي، وأنه صمد^(٧) لا شريك له، ولا مثل [له]^(٨)، ولا شبيه له، ولا شكل

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ز).

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (د).

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (ج) و(د) و(هـ) و(ز). وقد اختلفت عبارات الثناء على المؤلف من نسخة لأخرى وذلك من عمل النساخ.

(٥) في (ج) و(د) و(و) و(ز): أعتقد.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٧) ورد بهامش النسخة (و) تعليق صورته: «الصَّمد: يعني السيد الذي قد انتهى سُؤده، وقيل: الصمد الذي لا يأكل ولا يشرب، وقيل: الصمد الذي لم ينم ولا ينام، وقيل: الصمد الذي لم يلد ولم يولد. قال ابن عباس رضي الله عنه: الصمد الذي ليس فوقه أحد. وقال كعب الأحمري رضي الله عنه: الصمد الذي لا يصف صفاته أحد. وقال مقاتل: الصمد الذي لا عيب له، وقال أبو مالك: الصمد الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، قال أبو هريرة رضي الله عنه: الصمد الذي استغنى عن كل شيء ويحتاج إليه كل أحد».

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ) وموجود بجميع النسخ.

له، ولا ضدَّ له، ولا ندَّ له، لم يزل أحدًا صمدًا، فردًا، وترًا، ولا يزال كذلك أبدًا، وهو الكامل في ذاته، الأزليُّ بصفاته، المنزَّه عن النقصان، العالمُ الغالبُ^(١) بلا نسيان، العالم بلا اشتباه، لم يزل كان قبل أن يخلُق المكان، وقبل أن يخلق الوقت والزمان.

ثم إنه تعالى خلق العرشَ والوقتَ، واستوى على العرش، وهو مُستغنى عن العرش، وليس العرش له بمستقر ولا بمكان^(٢)، بل هو مُمسِكُ العرش والمكان، وهو أعظم من أن يسعه المكان، وهو فوق كلِّ مكان، علِمَ ما يكون قبل أن يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف يكون^(٣).
قد سبق علْمُه في الأشياء قبل كونها، ولا يكون في ملكه شيء إلا هو بعلمه وإرادته ومشيئته وتقديره وقضائه، وهو كما وصف نفسه في كتابه، من غير صورة، وكما عرَّف نفسه،

(١) في (ز): للغيب.

(٢) يقول الإمام أكمل الدين محمد بن محمد البابر الحنفي المتوفى سنة ٧٨٦ في «شرح وصية الإمام أبي حنيفة النعمان» ص ٩٧ عند الحديث عن الاستواء ما ملخصه: «اعلم أن العالم - وهو ما سوى الله تعالى - محدث لأنه متغير وكل متغير حادث، وحيث يستحيل أن يكون الباري تعالى وتقدس متمكنًا في مكان، لأن العراء عن المكان ثابت في الأزل، إذ هو غير المتمكن، وقد تبين أن ما سوى الله حادث، فلو تمكن بعد خلق المكان لتغير عما كان عليه، ولحدث فيه مماسة، والتغير وقبول الحوادث من أمارات الحدث، وهو على القديم محال...، وذهبت المشبهة والمجسمة والكرامية إلى أنه تعالى متمكن على العرش، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وبأنه موجود قائم بنفسه، ولن يعقل القائمان بأنفسهما من غير أن يكون أحدهما في جهة صاحبه. والجواب: أن الآية من التشابهات، وما يكون كذلك لا يصلح دليلاً على أمر قطعي، والدلائل العقلية تخالفه...، ومع الاحتمال لا يكون حجة».

(٣) ورد في النسخة (ج) تعليق صورته: «قال بعض المحققين: إنه سبحانه وتعالى يعلم ما كان قبل بدء المخلوقات وما يكون من أواخر الموجودات لقوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ وما لم يكن أن لو كان كيف يكون كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ وكما قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ وإن كان يعلم أنهم لا يردون ولكنه أخبر أنهم لو ردوا لعادوا، وفي ذلك رد على الرافضة والقدرية الذين قالوا: إنه لا يعلم شيء قبل أن يخلقه ويوجده». «على القاري».

من غير رؤية وإحاطة^(١)، فقال جلَّ جلاله لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] إلى آخر السورة^(٢).

و﴿هُوَ﴾ إشارة إلى الموجود، ونقض على المعطلة والباطنية^(٣)، ﴿أَحَدٌ﴾ إثبات^(٤) وحدته^(٥)، ونقض على المشركين والثنوية، ﴿اللَّهُ الصَّكَمُ﴾ [الأخلاص: ٢] نقض على المشبهة، ﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣] نقض على اليهود والنصارى ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ نقض على المجوس بقولهم: «يزدان وأهرمن»^(٦) كما قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(١) ورد بالنسخة (و): أي الإحاطة من جهة العلم. قلت: المقصود بالإحاطة من جهة العلم أي إدراك حقيقة المولى جلَّ وعلا، وهذا ما لا سبيل إليه، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] يقول الإمام أبو منصور الماتريدي في تفسيره المسمى «تأويلات أهل السنة» في تفسير هذه الآية ما صورته: «هذا يحتمل وجهين: أحدهما: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ عِلْمًا﴾ ولكن إنما يعرفونه على قدر ما تشهد لهم الشواهد من خلقه، لأن الخلق إنما يعرفون ربهم من جهة ما يشهد ويدل لهم من الدلالات من خلقه، والإحاطة بالشيء إنما تكون بما كان سبيل معرفته الحس والمشاهدات، فأما ما كان سبيل معرفته الاستدلال فإنه لا يحاط به العلم، والثاني: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي بعلمه».

(٢) ورد بهامش النسخة (و) تعليق صورته: «قال بعض العلماء: سبب نزول هذه السورة أن كل واحد من الكفار والمشركين ادعوا إلهاً وزعموا أنهم شركاء الله، فأنزل الله تعالى هذه السورة ردًا عليهم. وقال بعضهم: إن المشركين من العرب قالوا: يا محمد بين لنا ربك من أي جنس؟ أهو من ذهب أم فضة أم من جوهر أم من حديد أم من صُفْر؟ فاعتَم رسول الله ﷺ ولم يجبههم بشيء، فنزل جبريل عليه السلام فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخر السورة».

(٣) ورد بهامش النسخة (ج) تعليق ما صورته: «وبناء التعليق على أن الوجود صفة، والمعطلة تنكرها».

(٤) في (د) و(هـ): إشارة إلى.

(٥) في (ب): وحدانية.

(٦) هما أصلان من أصول الكيومرثية، وهي أحد فرق المجوس، يقولون بوجود أصليين الأول: أزلي قديم وهو «يزدان» والثاني: محدث مخلوق وهو «أهرمن» ولعقائدهم الباطلة تفصيل في كتاب «الملل والنحل» (٢: ٥٧٢) للشهرستاني فارجع إليه.

فلما تبينَ وظَهَرَ اعتقاده، سئل عن معتقده، وقيل: ما المعرفة؟ وما التوحيد؟ وما الإيمان؟ وما الإسلام؟ وما الدين؟

أما المعرفة: أن تعرفه^(١) بالوحدانية^(٢). وأما التوحيد: أن تنفي عنه الشريك والأمثال والأضداد^(٣). وأما الإيمان: الإقرار باللسان والتصديق بالقلب بوحدانية الله تعالى^(٤)، وأما

(١) المعرفة هنا يقصد بها ما قاله الإمام الماتريدي في «كتاب التوحيد» ص ٤٧٨ تحت عنوان: «الإيمان تصديق أم معرفة؟» حيث قال ما ملخصه: «المعرفة هي سبب بيعث على التصديق كما تبعث الجهالة على التكذيب، ... وعلى هذا قول من يقول: الإيمان معرفة إنها هو التصديق عند المعرفة هي التي تبعث عليه فسمي بها نحو ما وصف الإيمان بهبة الله ورحمته ونحو ذلك».

(٢) ورد في النسخة (ج) تعليق صورته: «المراد بالمعرفة: أي معرفة الله، وأما المعرفة مطلقاً فهو إدراك الشيء على ما هو عليه وهو مسبوق بنسيان حاصل بعد العلم بخلاف العلم، ولذلك يُسمى الله تعالى بالعالم دون العارف». «عرياني».

(٣) ورد في النسخة (ج) تعليق صورته: «التوحيد في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: تجريد ذات الإله عن كل ما يتصور في الأفهام ويُتخيل في الأذهان». «تعريفات السيد الشريف».

(٤) الإيمان عند السادة الماتريدية هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان، ولا يدخل العمل في أصل الإيمان عندنا، وعند الشافعي وأصحاب الحديث الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، فيدخل العمل عندهم في أصل الإيمان، وهي من المسائل التي اختلف فيها أهل السنة الماتريدية والأشعرية. يقول الإمام أبو حنيفة في «العالم والمتعلم» ص ١٦ ما صورته: «الإيمان هو التصديق والمعرفة واليقين والإقرار». ويقول في «الفقه الأبسط» ص ١٢ أيضاً: «لم يفوض الله الأعمال إلى أحد، والناس صائرون إلى ما خلَقوا وإلى ما جرت به المقادير، وإن ما أصابك لم يكن لخطئك، وما أخطأك لم يكن لصيبك، والحساب والميزان والجنة والنار حق كله، إذا استيقن بهذا أحد فقد أقرَّ بجملة الإسلام، وهو مؤمن، ولو أقر بجملة الإسلام في أرض الشرك ولا يعلم شيئاً من الفرائض والشرائع والكتاب ولا يقر بشيء منها إلا أنه مقرر بالله تعالى فهو مؤمن».

ويقول الإمام الصفار - وهو معاصر للإمام النسفي - في كتابه «تلخيص الأدلة لقواعد التوحيد» ص ٥٠٤ ما ملخصه: «واعلم أن ماسوى الإيمان من الطاعات - فرضها ونفلها - ليس من أصل الإيمان، فلا يزداد =

الإسلام: أن تعبد الله بالوحدانية، وأما الدين: الثبات على هذه الخصال الأربع إلى الموت. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].



= الإيمان بفعل الطاعات ولا ينقص بفعل المعاصي، بدليل أن الله عز وجل أمر الأنبياء والرسل بإقامة الدين قال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] أراد بإقامة الدين دين الإسلام لأنه عز وجل قال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقد كانت شرائعهم متفرقة، فثبت أن أصل الدين غير الشرائع، وقد جرى النسخ في شرائعهم بشريعة محمد ﷺ، وكان يُنسخ بعضُ القراءان في حياة رسول الله ﷺ، ثم يفرض فريضة أخرى ولا يجوز النسخ في الإيمان... إلى آخر كلامه رحمه الله.

فصل

[في بيان حكم المناظرة والجدل في الدين]

اعلم أنَّ المناظرة^(١) والجدل في الدين جائزٌ بخلاف ما قالت المبتدعة [حيث قالوا]^(٢): إنها لا تجوز. وإنما تُكره [إذا كانت]^(٣) للمراء^(٤) وطلب الجاه والثناء والدنيا.

فإن قيل: ما حدُّ العلم؟

قال أهل السنة والجماعة: معرفة المعلوم على ما هو به، وهو علم المخلوقين.

وعلم الله تعالى الإحاطة والخبر على ما هو به، لأنه لا يُوصف بالمعرفة، لأنه لم يزل عالماً لما بيّنًا. قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾^(٥) [الكهف: ٩١].

وقالت المعتزلة: حدُّ العلم معرفة الشيء على ما هو به.

(١) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «المناظرة لغة: مأخوذة من النظر أو من النظر، واصطلاحاً هي النظر بالبصيرة من الجانبين بالنسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب».

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (د).

(٤) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «المراء: طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه من دون أن يرتبط به غرض سوى تحقير كلام الغير».

(٥) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «من الجنود والآلات والعُدَد والأسباب، ﴿خُبْرًا﴾ علماً تعلق بظواهره وخفاياه، والمراد أن كثرة ذلك بلغت مبلغاً لا يحيط به إلا اللطيف الخبير. «قاضي في الكهف» وفي «تفسير البغوي»: أي بما عنده ومعه من الجند والعُدَّة والآلات، ﴿خُبْرًا﴾ علماً».

وهذا باطل، لأنَّ المعدوم ليس بشيء، ولا يقع عليه اسم الشيء، لأنَّ الله تعالى خلق الأشياء لا من شيء، [وقالت المعتزلة: خلق الأشياء] ^(١) بقوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] ^(٢).

وعندنا ^(٣) بالصنع لا بالقول، فلو قلنا: إنه معرفة الشيء على ما هو به، يؤدي إلى قَدَمِ الأعيان مع الله تعالى، وذلك مذهب الدهرية الكفرة الفجرة؛ لأنَّ عندهم العالم قديم، والله تعالى عالمٌ بعلمه، والعلم من صفاته الأزلية، بخلاف ما قالت المعتزلة: إنَّ ذاته علمه، والله تعالى عالمٌ بذاته على ما ذكرنا.

وعندنا هو عالمٌ بعلمه، والعلم من صفاته الأزلية، عِلْمٌ ما يكون قبل أن يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف يكون، قد سبق علمه الأشياء قبل كونها قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وقالت [المعتزلة و] ^(٤) الرافضة والقدرية: إنه لا يعلم الشيء ما لم يخلقه ويؤجده،

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (د) و(هـ).

(٢) ورد بالنسخة (و) تعليق صورته: «ويقال: سبب نزول هذه الآية أن بعضهم سألوا النبي عليه السلام: هل رأيت خلقاً من غير أب؟ فنزلت هذه الآية ﴿إِذَا قَضَيْتُمْ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥] كما كان عيسى بن مريم خلقه الله تعالى من غير أب فإن قيل: قوله ﴿كُنْ﴾ هذا خطابٌ للموجود أم للمعدوم؟ فإن قال: للمعدوم، قيل له: كيف يصح الخطاب للمعدوم وكيف يصح الإشارة بقوله: ﴿كُنْ﴾؟ فإن قال: الخطاب للموجود، قيل: أيؤمر الشيء الكائن بالكون؟! والجواب عن هذه من وجهين: أحدهما: أن الأشياء كلها كانت موجودة في علم الله تعالى قبل كونها، وكان الخطاب للموجود في علمه، وجواب آخر: أن معناه ﴿إِذَا قَضَيْتُمْ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ﴾ يعني: كناية عن سرعة الوجود أو على خفة الوجود إذا أراد أن يخلق خلقاً يوجده، والقول له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ على وجه المجاز. نقل من «أبي الليث» رحمه الله.

(٣) أي الماتريديّة رضي الله عنهم.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (ز).

والعلم أفضل من العقل ^(١)، وعقل الأنبياء لا يكون كعقل الأولياء، وعقل الأنبياء لا يكون كعقل نبيِّنا محمد ﷺ، بخلاف ما قالت المعتزلة: إنَّ الناس كلَّهم في العقول سواء.

وكلُّ عاقل بالغ يجبُ عليه أن يستدلَّ بأنَّ للعالم صانعاً كما استدلَّ سيدنا إبراهيم صلوات الله عليه [﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي﴾] ^(٢) [الأنعام: ٧٦]، وأصحاب الكهف فقالوا: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ ^(٣) [الكهف: ١٤] حتى إنَّ ^(٤) مَنْ لم يبلغه الوحي لا يكون معذوراً ^(٥)، بخلاف ما قالت المتقشفة ^(٦) والأشعرية، لأنَّ المذهب عندنا: الإيمانُ فعلٌ

(١) ورد بالنسخة (و) تعليق صورته: «لأنَّ الله تعالى سَمِّيَ عالماً ولم يُسَمَّ عاقلاً، فعِلْمٌ أنَّ العِلْمَ أفضلُ من العقل».

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطٌ من (أ) و(ز) وموجود بباقي النسخ، وورد تعليقٌ عليه في النسخة (ج) صورته: «أي ستره بظلامه، ﴿كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ فإنَّ أباه وقومه كانوا يعبدون الأصنام والكواكب، وأراد أن يُنبههم على ضلالتهم ويردهم إلى الحق من طريق النظر والاستدلال، والكوكب كان الزهرة والمشتري وقوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ على سبيل الوضع، فإنَّ المستدلَّ على فساد قولٍ يحكيه على ما يقوله الخصم ثم ينكر عليه بالإفساد، أو على وجه النظر والاستدلال، وإنَّما قاله زمان مراهمته أو بلوغه مع تغير ما».

(٣) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «يعني إن دعونا غير الله لقد قلنا إذا شططاً. قال ابن عباس رضي الله عنه: جوراً، وقال قتادة: كذباً، وأصل الشَّطَط: الاشتطاط مجاوزة القدر والإفراط، قالوا ذلك لأنهم قومهم كانوا يعبدون الأوثان».

(٤) في (ج) و(د) و(هـ): غير أن.

(٥) ورد بهامش النسخة (ج) و(د) تعليقان، الأول: «في ترك الاستدلال لم يكن معذوراً، ولكن لم يبينوا مقدار تلك المدة». «مصطفى عبيد»، والثاني: «وفائدة قوله: «لأنَّ مَنْ لم يبلغه الوحي....»: بيان شمول وجوب الاستدلال لمن لم يبلغه الوحي أيضاً عندنا، وعدم شموله له عند المتقشفة والأشعرية».

(٦) في (ز): المتفلسفة.

العبد بهداية الرب جل جلاله، فلا نقول بأن الإيمان مخلوق أم غير مخلوق، بل نقول: من العبد الإقرار باللسان والتصديق بالقلب، ومن الله تعالى الهداية والتوفيق^(١).

(١) يقول الإمام الصَّفَّار في «تلخيص الأدلة» ص ١٩٣ ما ملخصه: «وإنما كان طريق معرفة الله دلالات العقل؛ لأنه لا سبيل له إلى رؤية الله في الدنيا، ... ولقد اعتمد أبو حنيفة رضي الله عنه على دلائل العقل في هذه المعرفة كما روى محمد بن سماعه عن أبي يوسف عن أبي حنيفة أنه قال: لا عذر لأحد من الخلق في الجهل بمعرفة خالقه، لما يرى من خلق السماوات والأرض، وخلق نفسه وسائر خلق ربه، ... وفي بعض هذه الرواية قال أبو حنيفة: لو لم يبعث الله رسولا لوجب على الخلق معرفته بعقولهم، وعليه اعتمد عامة مشايخنا من المتقدمين والمتأخرين منهم: الإمام أبو منصور الماتريدي السمرقندي قال: إن سبيل الشرع السمع، فأما الدين فإن سبيله العقل انتهى. قلت: وقد وقع الخلاف بين العلماء في إيمان المقلد هل هو صحيح أم لا؟ وقد لخص هذه المسألة الإمام أبو الثناء محمود بن زيد اللامشي الحنفي في كتابه «التمهيد لقواعد التوحيد» ص ١٣٥ حيث قال ما ملخصه: «المقلد من جعل الدين الذي دعي إليه قلادة في عنق الداعي له إليه... وجعل ذلك قلادة في عنق هذا الداعي إليه على معنى أنه إن كان حقا فحق على الثبات، وإن كان باطلا فوباله عليه، فهذا المقلد ليس بمؤمن بلا خلاف؛ لأنه لم يعتقد ما يجب عليه اعتقاده، ولم يصدق في ما جاء به من عند الله تعالى، بل هو شك في ذلك، والإيمان مع الشك لا يصح، وإنما الخلاف في مقلد صدق الداعي في جميع ذلك، واعتقد جميع ما دعاه إليه من غير شك وارتياح لكن بلا دليل. قال أهل السنة: إيمان المقلد صحيح لأنه أتى بحد الإيمان وحقيقته؛ إذا الإيمان وهو التصديق في اللغة، وهو تصديق محمد ﷺ بما جاء به من عند الله تعالى عند البعض، والإقرار والتصديق عند العامة، وقد أتى به فيكون مؤمنا، وهكذا روي عن أبي الحسن الأشعري، والمشهور من مذهبه أنه ليس بمؤمن...، فلماذا قلنا: بأنه لا بد له من الدليل العقلي في كل مسألة كما قال أبو الحسن الأشعري، إلا أن عنده لا يشترط أن يكون قادرا على العبارة عن ذلك الدليل، ... ثم لا خلاف بيننا وبين الخصوم في عوام أهل زماننا لأن كل واحد منهم لا يخلو عن ضرب من الاستدلال، ولهذا يشتغلون بالتسييح والتلهيل عند ظهور شيء من الأفزاع والأحوال، ويصفون الله تعالى في تلك الحال بكمال القدرة ونفاذ المشيئة، وإنما الخلاف بيننا وبينهم فيمن بلغ على شاق جبل من الجبال، أو نشأ في قُطر من الأقطار، فرآه مسلما ودعاه إلى هذا الدين ويئن له جميع ما يفترض عليه =

وعند الشافعي رحمه الله: العمل بالأركان من الإيمان. وقالت المتقشفة^(١): الإيمان مجرد القول دون التصديق.

فإن قيل: ما تقول في الإيمان أهو من الله تعالى إلى العبد، أو من العبد إلى الله تعالى،

= اعتقاده، وأخبره أن رسولنا بلغ إلينا هذا الدين فصدقه المدعو في ذلك، واعتقد جميع ذلك من غير سابقة تفكير واستدلال، فهذا هو موضع الخلاف، كذا ذكره أبو المعين النسفي رحمه الله تعالى انتهى. ويقول الإمام كمال الدين البياضي في «إشارات المرام من عبارات الإمام» عند الحديث عن العقل ص ٨٤ ما صورته: «وفيه إشارات إلى مسائل: الأولى: وجوب النظر في معرفة الصانع تعالى، ... فأول الواجبات على المكلف النظر والاستدلال المؤدّي إلى المعرفة بالله وبصفاته وتوحيده وعدله وحكمه، ثم النظر والاستدلال المؤدّي إلى جواز إرسال الرسل وتكليف العباد ثم الاستدلال المؤدّي إلى ثبوت الإرسال بدلالة المعجزات وثبوت الأحكام والواجبات، ثم الاستدلال المؤدّي إلى تفصيل أركان الشريعة لأهلها، ثم العمل بما يلزمه على شرطه فيهما كما في «التبصرة» لعبد القاهر البغدادي.

الثانية: أن وجوب النظر والاستدلال على كل أحد بحسب ما يتيسر له من الدليل دون الأدلة المشهورة للمتكلمين انتهى.

ويقول الإمام البزدوي في «أصول الإيمان» ص ١٥٤ ما صورته: «قال أهل السنة والجماعة الإيمان بالجملة واجب، ولا يجب الإيمان على التفصيل إلا أن يقع الإشكال في فصل من الفصول فحينئذ يجب التعلم والتدبر والتفكير، حتى إن من أقر أن الله تعالى واحد لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن ما أخبر به عن الله تعالى كله حق، واعتقد ذلك يصح إسلامه، وقالت المعتزلة: يجب الإيمان على التفاصيل، وحكي عن الأشعري مثله».

ويقول في نفس المصدر في موضع آخر ص ١٥٥ ما صورته: «إن المقلد مؤمن حقيقة، وهو الذي اعتقد جميع أركان الإسلام وأقر بها من غير دليل».

(١) في (ز): المتفلسفة، وورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «ومراده من المتقشفة غير الكرامية، وهم أصحاب محمد بن كرام. فتأمل». «مصطفى عبيد».

أو بعضه من الله تعالى [إلى العبد]^(١) وبعضه من العبد [إلى الله]^(٢)؟

فإن قال: من الله تعالى إلى العبد، فهذا قوة لمذهب الجبرية، لأنهم قالوا: العبد مجبورٌ على الإيمان والكفر.

وإن قال: من العبد إلى الله تعالى، فهذا قوة لمذهب القدرية لأنهم قالوا: العبد مستطيع^(٣) بكسب نفسه لنفسه قبل الفعل، ولا يحتاج إلى قوة وعون من الله تعالى.

والجواب عنه أن نقول: الإيمان فعل العبد بهداية الرب جلّ جلاله، والتعريف من الله تعالى، والمعرفة والتعريف من العبد، والهداية من الله تعالى، والاهتداء والاستهداء من العبد، والتوفيق من الله تعالى، والجد^(٤) والعزم والقصد من العبد، والإكرام^(٥) والعطاء من الله تعالى والقبول من العبد.

فما كان من الله تعالى فهو غير مخلوق، وما كان من العبد فهو مخلوق؛ لأن الله تعالى بجميع صفاته غير مخلوق، والعبد بجميع صفاته مخلوق، فكل من لم يُمَيِّز صفة الله تعالى من صفة العبد فهو ضالّ مبتدع.

وقالت المفروغية^(٦): الإيمان من الله تعالى إلى العبد، وهو غير مخلوق لقوله تعالى:

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ز).

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ز).

(٣) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: أي له قدرة.

(٤) في (ج) و(د) و(هـ): الجهد.

(٥) في (ز): الإلهام.

(٦) هي إحدى فرق الجبرية، يقول الإمام ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» ص ٢٢ ما ملخصه: «وانقسمت الجبرية اثنتي عشرة فرقة فمنهم: والمفروغية قالوا: كل الأشياء قد خلقت، والآن لا يُخلَق شيء» المطبعة الميمنية سنة ١٣٤٧ هـ جبرية.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [آل عمران: ١٨] وإنه غير مخلوق كالقرآن، والجواب عنه ما ذكرنا.

فإن قيل: الإيمان لو كان بعضه من الله وبعضه من العبد يكون مشتركاً بين الرب والعبد، وذلك لا يجوز.

الجواب عنه أن نقول: التعريف من الله تعالى سبب لنجاة العبد، والعبد مسبب، والله مسبب، والمسبب غير المسبب، كما أن الرزق سبب لبقاء العبد، وكذلك الوضوء سبب لجواز الصلاة، ولا يقال بأنه من الصلاة، فكذلك التعريف من الله تعالى سبب النجاة، وهو [إعطاء]^(١) نور في قلب المؤمن^(٢) فلا يكون مشتركاً، ونور المعرفة في قلب المؤمن مخلوق، لأن ما سوى الله تعالى فهو مخلوق.

وهذا يرجع إلى أصل، وهو أن الجعل غير المجعول^(٣)، والترزيق غير المرزوق، والتخليق غير المخلوق، والتعريف غير المعرفة، والتكوين^(٤) غير المكوّن^(٥).

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٢) في (هـ): المؤمنين.

(٣) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «كما قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الآية، فالله تعالى جاعل، والجعل صفة».

(٤) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: أي الإيجاد والإخراج من العدم إلى الوجود.

(٥) يقول الإمام أبو المعين النسفي في كتابه «التمهيد لقواعد التوحيد» ص ١٨٨ ما ملخصه: «التكوين والتخليق والخلق والإيجاد والإحداث والاختراع والإبداع أسماء مترادفة يراد بها كلها معنى واحد، وهو إخراج المعدم من العدم إلى الوجود، ... ونقول: التكوين صفة لله تعالى أزلية قائمة بذاته، كالحيّة والعلم والقدرة والسمع والبصر، وهو تكوين العالم، وكل جزء من أجزائه لوقت وجوده، كما أن إرادته صفة أزلية تتعلق بها المراتب لوقت وجودها على الترتيب والتوالي وكذا قدرته الأزلية مع مقدوراتها.

وقالت المعتزلة والمتكشفة^(١): كلاهما مخلوقان، وهو التعريف والمعرفة، [وقالت المفروغية: كلاهما غير مخلوقين، وهو التعريف والمعرفة]^(٢).

وعند أهل السنة والجماعة: التعريف من الله تعالى غير مخلوق، والمعرفة والتعريف من العبد مخلوق.

فإن قيل: ما صفة الإيمان^(٣)، وما شرائطه؟

= فكان العالم وكل جزء من أجزائه مخلوقاً لله تعالى لدخولها تحت تكوينه الذي هو الخلق، وحصولها به كما هي معلومة لله تعالى لدخولها تحت علمه الأزلي، ... وقول أكثر المعتزلة وجميع النجارية والأشعرية: إن التكوين والمكون واحد قول محال، وهذا لأن القول باتحاد التكوين والمكون كالقول بأن الضرب هو عين المضروب، والكسر هو عين المكسور، والأكل هو عين المأكول، وفساد هذا ظاهر يعرف بالبديهة فكذا هذا انتهى. وراجع تمام كلام الإمام النسفي في «التمهيد» ففيه فوائد نفيسة. وراجع في هذه المسألة «التوحيد» للإمام الماتريدي ص ١١٠ وما بعدها، و«إشارات المرام» من عبارات الإمام للكمال البيضاوي ص ٢١٢ وما بعدها، و«المسيرة» للكمال ابن الهمام بحاشية قاسم ابن قطلوبغا ص ٨٨-٩٣ ففيهم فوائد كثيرة.

ويقول الإمام التفتازاني في «شرح العقائد النسفية» (١: ١٣١) ما صورته: «تكوينه تعالى للعالم ولكل جزء من أجزائه لا في الأزل بل لوقت وجوده على حسب علمه وإرادته، فالتكوين باقٍ أزلاً وأبداً، والمكون حادثٌ بحدوث التعلق، كما في العلم والقدرة وغيرهما من الصفات القديمة التي لا يلزم من قديمها قديم تعلقاتها».

(١) في (ز): المتكشفة.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٣) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «صفة الإيمان: آمنت بالله وملائكته إلى آخره، وشرط الإيمان ستة: الإيمان بالغيب، والاعتقاد بأنه لا يعلم الغيب إلا الله، والرجاء من رحمة الله، والخوف من عذاب الله، واعتقاد الحلال حلالاً، والحرام حراماً. وسبب الإيمان اثنان: الأدلة العقلية، والشواهد النقلية، وركن الإيمان اثنان: التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، وعند الشافعي العمل بالأركان، =

قلت: الإيمان أن تؤمن بالله، واليوم الآخر، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والقدر خيره وشره من الله تعالى عند أهل السنة والجماعة.

وقالت المعتزلة: [الشَّرُّ]^(١) كله من العبد^(٢)، لأن الله تعالى لا يقدر الشرَّ، ولا يقضي بالشرَّ، ولا يشاء الشرَّ، لأنه لو قضى بالشرَّ ثم يعذبهم على ذلك لكان ذلك منه ظلماً وجوراً، والله تعالى منزّه عن الظلم والجور، وسمّوا أنفسهم أهل العدل والتوحيد لهذا.

لكننا نقول: العبد مخير مستطيع، والقضاء لا يجبرهم^(٣) على المعصية كالعلم^(٤)، ولأن القضاء صفة القاضي، والصفة لا تجبر أحداً على الفعل، كالعلم بالخياطة والنجارة لا يجبر الخياط والنجار على تحصيل الفعل، بل العبد مخير مستطيع.

ولهذا المعنى استحقَّ العقوبة كما لو قال [المولى]^(٥) لعبده: إن دخلت الدار فأنت حرٌّ، فدخل الدار يُعتق، وكذلك في الطلاق يقع الطلاق والعتق بدخول الدار، ولا يقال بأن اليمين [يدل على الدخول أو]^(٦) أجبرته، كذلك ههنا الفعل، وإن كان بقضاء الله تعالى، ولكن لا يقال بأن القضاء أجبره على الفعل.

= ولوازم الإيمان ثلاثة: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، وحكم الإيمان اثنان: أن يحفظ عِرْضَ المؤمن وماله ودينه وأهله وعياله، والثاني: أن يدخل الجنة نُقل من «شرح المهات».

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ج) و(و).

(٢) في (ج) و(د) و(هـ): كل من العبد.

(٣) في (ج) و(د) و(هـ): يجبر.

(٤) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «وعلم الله تعالى لا يمنع قدرة العبد واختياره؛ لأن الله تعالى علم في الأزل أن العبد يفعل ويترك باختياره وقدرته، فلا يكون مجبوراً على الفعل والتَّرك».

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (د).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

وقالت المعتزلة والمتقشفة^(١): كلاهما مخلوقان، وهو التعريف والمعرفة، [وقالت المفروغية: كلاهما غير مخلوقين، وهو التعريف والمعرفة]^(٢).

وعند أهل السنة والجماعة: التعريف من الله تعالى غير مخلوق، والمعرفة والتعريف من العبد مخلوق.

فإن قيل: ما صفة الإيمان^(٣)، وما شرائطه؟

= فكان العالم وكل جزء من أجزائه مخلوقاً لله تعالى لدخولها تحت تكوينه الذي هو الخلق، وحصولها به كما هي معلومة لله تعالى لدخولها تحت علمه الأزلي، ... وقول أكثر المعتزلة وجميع النجارية والأشعرية: إن التكوين والمكون واحد قول محال، وهذا لأن القول باتحاد التكوين والمكون كالقول بأن الضرب هو عين المضروب، والكسر هو عين المكسور، والأكل هو عين المأكول، وفساد هذا ظاهر يعرف بالبديهة فكذا هذا انتهى. وراجع تمام كلام الإمام النسفي في «التمهيد» ففيه فوائد نفيسة. وراجع في هذه المسألة «التوحيد» للإمام الماتريدي ص ١١٠ وما بعدها، و«إشارات المرام» من عبارات الإمام للكمال البيضاوي ص ٢١٢ وما بعدها، و«المسيرة» للكمال ابن الهمام بحاشية قاسم ابن قطلوبغا ص ٨٨-٩٣ ففيهم فوائد كثيرة.

ويقول الإمام التفتازاني في «شرح العقائد النسفية» (١: ١٣١) ما صورته: «تكوينه تعالى للعالم ولكل جزء من أجزائه لا في الأزل بل لوقت وجوده على حسب علمه وإرادته، فالتكوين باقٍ أزلاً وأبداً، والمكون حادثٌ بحدوث التعلق، كما في العلم والقدرة وغيرهما من الصفات القديمة التي لا يلزم من قدمها قدمُ تعلقاتها».

(١) في (ز): المتفلسفة.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٣) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «صفة الإيمان: آمنت بالله وملائكته إلى آخره، وشرط الإيمان ستة: الإيمان بالغيب، والاعتقاد بأنه لا يعلم الغيب إلا الله، والرجاء من رحمة الله، والخوف من عذاب الله، واعتقاد الحلال حلالاً، والحرام حراماً. وسبب الإيمان اثنان: الأدلة العقلية، والشواهد النقلية، وركن الإيمان اثنان: التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، وعند الشافعي العمل بالأركان، =

قلت: الإيمان أن تؤمن بالله، واليوم الآخر، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والقدر خيره وشره من الله تعالى عند أهل السنة والجماعة.

وقالت المعتزلة: [الشَّرُّ]^(١) كله من العبد^(٢)، لأن الله تعالى لا يقدر الشرَّ، ولا يقضي بالشرَّ، ولا يشاء الشرَّ، لأنه لو قضى بالشرَّ ثم يعذبهم على ذلك لكان ذلك منه ظلماً وجوراً، والله تعالى منزّه عن الظلم والجور، وسمّوا أنفسهم أهل العدل والتوحيد لهذا.

لكننا نقول: العبد مخير مستطيع، والقضاء لا يجبرهم^(٣) على المعصية كالعلم^(٤)، ولأن القضاء صفة القاضي، والصفة لا تجبر أحداً على الفعل، كالعلم بالخياطة والنجارة لا يجبر الخياط والنجار على تحصيل الفعل، بل العبد مخير مستطيع.

ولهذا المعنى استحقَّ العقوبة كما لو قال [المولى]^(٥) لعبده: إن دخلت الدار فأنت حرٌّ، فدخل الدار يُعتق، وكذلك في الطلاق يقع الطلاق والعتق بدخول الدار، ولا يقال بأن اليمين [يدل على الدخول أو]^(٦) أجبرته، كذلك ههنا الفعل، وإن كان بقضاء الله تعالى، ولكن لا يقال بأن القضاء أجبره على الفعل.

= ولوازم الإيمان ثلاثة: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهد في سبيل الله، وحكم الإيمان اثنان: أن يحفظ عِرْضُ المؤمن وماله ودينه وأهله وعياله، والثاني: أن يدخل الجنة نُقْلٌ من «شرح المهمات».

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ج) و(و).

(٢) في (ج) و(د) و(هـ): كلٌّ من العبد.

(٣) في (ج) و(د) و(هـ): يجبر.

(٤) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «وعلم الله تعالى لا يمنع قدرة العبد واختياره؛ لأن الله تعالى علم في الأزل أن العبد يفعل ويترك باختياره وقدرته، فلا يكون مجبوراً على الفعل والتَّرك».

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (د).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

وجواب آخر: وهو أن القضاء سرُّ الله تعالى أخفاه عن الخلق، والأمر والنهي حجة الله تعالى على خلقه، فإذا ترك أمره الظاهر - وهو مستطيع - فلذلك المعنى يستحق العقوبة.

فإن قيل: لو قلنا بأن الله تعالى يقضي بالشر، والعبد لا يقدر أن يفر من قضاء الله تعالى فيؤدي [ذلك] (١) إلى أن يُنسب الشر إلى الله تعالى.

قلنا: فعل العبد مميّز من قضاء الله تعالى، ألا ترى أن الله تعالى خلق آلة الزنا ولا يُنسب الزنا إلى الله تعالى.

يدل عليه أن الله تعالى خلق الحركة والقوة في نفس العبد، والعبد مستطيع باستطاعة نفسه ومشيتته [ولا ينسب الحركة والقوة إلى الله تعالى وإن كانا بقضاء الله تعالى ومشيتته] (٢)، يدل على صحة ما قلنا أن الله تعالى لو لم يشأ الشر (٣) والكفر والمعصية ولا يقضي به والعبد يشاؤه ويفعله، لغلبت (٤) مشيئة العبد مشيئة الله تعالى، فيؤدي إلى أن يُنسب العجز إلى الله تعالى وهذا كفر، وكل المشيئات تحت مشيئة الله تعالى [وإرادته] (٥)، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (٦) [التكوير: ٢٩].

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (د).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٣) في (ز): الشرك.

(٤) في (ز): لعلت.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ج).

(٦) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ أي اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت من الأوقات كما في «الإرشاد» ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي إلا وقت أن يشاء مشيئكم، أو تحصيل السبيل لكم كما دل سياق الآية، ففيه دليل على أنه لا دخل لمشيئة العبد إلا في الكسب، وإنما الإيجاد بمشيئة الله وتقديره، وإليه إشارة بقوله: أي إلا بقدر الله. «إشارات المرام».

ويدل عليه أنه لو قال: مشيئتي وإرادتي بغير مشيئة الله تعالى وإرادته يكون في ذلك دعوى الربوبية مع الله تعالى وهذا كفر، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فثبت أن كل مشيئة تحت مشيئة الله تعالى، ولأن الله تعالى علم من فرعون (١) وإبليس [عليهما اللعنة] (٢) الكفر، فلو قلنا بأنه لم يرد منهما الكفر ولم يشأ تكون إرادته بخلاف علمه وهذا لا يجوز، لأنه إذا بطل العلم بقي السفه [والجهل] (٣)، والله تعالى منزّه عن السفه والجهل، وهذا بخلاف الأمر لأنه جاء النص من الله تعالى أن لا يأمر بالشر.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرًا بِالْإِحْسَانِ﴾ [الأعراف: ٢٨] يعني: الزنا، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] فصار معدولاً عن القياس، ولأنه يجوز أن يأمر الله تعالى بشيء ولا يريده، كإبليس عليه اللعنة أمره بالسجود لآدم عليه السلام ولم يرد منه السجدة (٤)، ونهى آدم عليه السلام عن أكل الشجرة ولم يرد منه الامتناع، بل أراد منه أكل الشجرة [وبالله التوفيق] (٥).



(١) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «وفي تقديم فرعون إشعاراً بأنه في مقام التلبس أقوى من إبليس».

«شرح الفقه الأكبر، علي القاري».

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ج).

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ز).

(٤) في (ج): السجود.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ز).

ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١﴾

ثم الدليل على أن الله تعالى خلق الأجساد مع الأرواح كما هم الآن قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ والخطاب والسؤال للأجساد مع الأرواح، ثم ردهم إلى أصلاب آبائهم، ثم أخرج أولاد آدم منه، ثم أخرج أولاد آدم من أولاده، وهكذا إلى يوم القيامة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾.

وقالت الجبرية لعنهم الله: إن الله تعالى خلق المؤمنين مؤمنين، والكافرين كافرين، وإبليس عليه اللعنة لم يزل كافراً، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما كانا مؤمنين قبل الإسلام، والأنبياء كانوا أنبياء قبل الوحي، وكذلك إخوة يوسف كانوا أنبياء وقت الكبائر.

(١) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ بما عاهدكم الله من تكليفه وما عاهدتموه وغيره، ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ مطلوباً يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به كما في «القاضي» وقيل: عهود الله ثلاثة: عهد أخذ على جميع ذرية آدم عليه السلام بأن يُقرُّوا بالربوبية، وعهد أخذ على النبيين بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه، وعهد أخذ على العلماء بأن يبينوا الحق ولا يكتُمونه. كذا ذكره القاضي وغيره من المفسرين في «سورة البقرة» قال المحشي عصام الدين: بقي عهد العوام بأن يتبعوا العلماء ويجتهدوا في العمل بأقوالهم انتهى.

تتمة: قال عليه السلام: «كل مولود يولد على الفطرة» أراد به على الدين الذي كان يوم الميثاق فإنه تعالى خاطب ذرية آدم عليه السلام بعدما أخرجهم من صلبه كالذر، بعضهم سُودٌ وبعضهم بِيضٌ، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قالوا: بلى، إلا أن البيض قالوا عن اعتقاد، والسود قالوا عن خوف، والذين قالوا عن اعتقاد يموتون مسلمين، والذين قالوا عن غير اعتقاد يموتون كافرين. هذا مذهب أهل السنة والجماعة. كذا في «المحيط البرهاني» في الفصل الثاني والثلاثون في الجنائز «شرح جلاء القلوب» لإسحاق أفندي.

فصل

[في بيان أن الله لما خلق الخلق

لم يكونوا مؤمنين ولا كافرين]

اعلم بأن الله تعالى لما خلق الخلق وأخرجهم من صلب آدم عليه السلام (١) يوم الميثاق (٢) لم يكونوا مؤمنين ولا كافرين وكانوا خلقاً، ثم عرّض عليهم الإيثار والكفر، وكلٌّ من اختار الإيثار وقبله اعتقاداً فهو مؤمن، وكل من لم يختار الإيثار فهو كافر (٣)، وكل من أجاب بالقول دون الاعتقاد فهو منافق بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ

(١) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «وذهب جمهور المفسرين إلى أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهر آدم عليه السلام مثل الذر، وأخذ عليهم الميثاق أنه ربههم فأجابوا بلى، قالوا: وهي الفطرة التي فطر الناس عليها. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أخرج الله تعالى من ظهر آدم عليه السلام ذريته وأراه إياهم كهية الذر، وأعطاهم من العقل وقال: هؤلاء ولدك أخذت عليهم الميثاق أن يعبدوني.» من تفسير المدارك.

(٢) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «والميثاق الذي أخذه الله من بني آدم عليه السلام وذريته حق لما روي عن النبي عليه السلام قال: «مسح الله ظهر آدم عليه السلام بيده اليمنى - وكلتا يديه يمين - بعدما أهبطه إلى الأرض، فأخرج من صلبه جميع من خلق إلى يوم القيامة كأمثال الذر فأوقفهم بين يديه وجعلهم على هيئة الرجال والنساء - يعني في عقولهم - ثم كلمهم وقال لهم: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى» وعليه جمهور المفسرين، والأخبار فيها شاعت وذاعت.» من شرح العمدة للنسفي.

(٣) في (ج): وكل من اختار الكفر دون الإيثار فهو كافر.

وقال أهل السنة والجماعة: صاروا أنبياء بعد ذلك، وإبليس صار كافراً بترك السجدة، [بل صار كافراً بأن لم ير الله تعالى حكيمًا فيما أمر]^(١)، ولأن عندهم الكفار مجبورون على الكفر والمعصية وهم معذبون، والمؤمنون مجبورون على الطاعة والإيمان. وإننا نقول: العبد مخيرٌ مستطيع^(٢) على الطاعة والمعصية، وليس بمجبورٍ، والتوفيق والخذلان من الله تعالى، وتقدير الخير والشر من الله تعالى، والمسألة بتمامها مسطورة في آخر الكتاب.

يدل عليه قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحديد: ٧] فلو كانوا مؤمنين لم يأمرهم ولم يخطبهم بالإيمان، ويدل عليه قوله عليه السلام: «أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق^(٣) وحسابهم على الله تعالى^(٤)»^(٥) والمؤمن لا يقاتل.

فإن قيل: إذا كانت الاستطاعة^(٦) من الله تعالى إلى العبد وقت الفعل مقارناً للفعل

(١) ما بين المعقوفتين ساقطٌ من (أ).

(٢) في (د) و(هـ): مستطاع.

(٣) ورد بالنسخة (ج) تعليقٌ صورته: «كالحدود والقصاص».

(٤) ورد بالنسخة (ج) تعليقٌ صورته: «فيما يسرون ولم يظهر لنا، وفيما بينهم وبين الله تعالى».

(٥) أخرجه الإمام أبو داود في «سننه» (٣: ٣٥٢)، والترمذي في «سننه» (٣: ٣٥١)، والإمام ابن حبان في «صحيحه» برقم ١٧٤، والإمام أحمد في «المسند» (٢: ٣١٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) الاستطاعة عند الماتريدية نوعان:

١- سلامة الأسباب والآلات والأعضاء وصحة الجوارح وهي المعنية بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] فقيل: هي الزاد والراحلة. وصحة التكليف تعتمد على هذه الاستطاعة.

لا مقدّمة ولا مؤخّرة، والخيرُ والشرُّ والإيمان والكفر والطاعة والمعصية بتقدير الله وقضائه ومشيبته وإرادته وتوفيقه وخُذلانه وعصمته، فبأيِّ سبب^(١) يستحقُّ العبد العقوبة والثوبة؟ فإننا نقول: اعلم أن الأمر بالطاعة من الله تعالى، والالتزام بالطاعة من العبد، والنهي من الله تعالى، والالتزام من العبد، والطاقة والقوة من الله تعالى، والاكْتِسَابُ والجهد والعزم من العبد، فمتى^(٢) وُجد منه الجهدُ والقصدُ والاكْتِسَابُ تحُصِّلَ له القوة.

والاستطاعة من الله تعالى مقارنةً للفعل، فيستحقُّ الثواب والعقاب بفعل نفسه، فكذلك عطاء الإيمان من الله تعالى، والاهتداء والمعرفة من العبد، والهداية والحُرمان من الله تعالى، والقصد والتضرُّع والدعاء من العبد، والخذلان في المعصية من الله تعالى، والتوبة والاستغفار من العبد، والنعمة من الله تعالى والشكر من العبد.

فإذا وُجد منه القصد والنية في المعصية، يجري خذلان الله تعالى مع نيته وقصده [وعزمه]^(٣)، فإذا وُجد عزمه ونيته في الطاعة يجري توفيق الله تعالى مع نيته وقصده وعزمه، فإنما استحقَّ الثواب والعقاب بالجهد والقصد والاكْتِسَابِ، وذلك من فعل العبد وصفاته، ومن قال غير هذا فهو ضالٌّ ومبتدعٌ.

وجواب آخر: وهو أنه إنما استحقَّ العقاب بترك الأمر والنهي، وهما ظاهران كما ذكرنا.

٢- الاستطاعة التي هي حقيقة القدرة وهي المعنية بقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠] وهي التي يقع الدم بسببها مع صحة الأسباب والآلات، وهي التي عليها كلام علماء الفن.

(١) في (ج) و(د) و(هـ): شيء.

(٢) في (ج): فمتى.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ج).

فإن قيل: السعيد هل يصير شقيًا، والشقي هل يصير سعيدًا أم لا؟ (١).

(١) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «السعيد قد يشقى بأن يرتد بعد الإيمان - نعوذ بالله - والشقي قد يسعد بأن يؤمن من بعد الكفر، والتعريف يكون على السعادة والشقاوة دون الإسعاد والإشقاء، وهما من صفات الله تعالى كما أن الإسعاد تكوين السعادة، والإشقاء تكوين الشقاء، ولا تغير عليه ولا على صفاته لما مر من أن القديم لا يكون محلاً للحوادث، والحق أنه لا خلاف في المعنى، وهو حاصل في الحال، وإن أريد ما يترتب عليه من النجاة والشرمات فهو مشيئة الله تعالى لا يقطع بحصوله في الحال، فمن قطع بالحصول الأول». «شرح العقائد».

قلت: تُعرف هذه المسألة بمسألة الموافاة، وهي من المسائل التي اختلف فيها الأشعرية والماتريدية، حيث ذهب الأشعرية إلى أن العبرة للختم، فمن خُتم له بالإيمان يتبين أنه كان من الابتداء مؤمنًا، وحين كان ساجدًا بين يدي صنم معتقدًا الشرك والأديان الباطلة كان مؤمنًا مصدقًا، ومن خُتم له بالكفر - بعوذ بالله - يتبين أنه كان كافرًا من الابتداء وأنه كان مصدقًا بالله ورسوله مؤمنًا مخلصًا، وقالوا: إن السعيد لا يشقى والشقي لا يصير سعيدًا لأن هذا يوجب البداء في علم الله تعالى وهو محال، لأنه يلزم التغير في صفات الله والجهل، وهذا ظاهر الفساد كما يقول الإمام النسفي. انظر «التمهيد» للإمام النسفي ص ٣٩٢.

وقد أجابت الماتريدية بأجوبة منها: بأن المكتوب في اللوح المحفوظ ليس من صفات الله تعالى، بل هو من صفات العبد من حيث السعادة والشقاوة والعبد يجوز عليه التغير والتبدل، وأما قضاء الله وقدره لا يتغير وهو صفة القاضي والمكتوب في اللوح المحفوظ هو المقضى وهو محدث، والناس عند الماتريدية من حيث السعادة والشقاوة على أربعة أنواع:

١- من قضى لهم بالسعادة ابتداءً وانتهاءً وهم الأنبياء والرسل.

٢- من قضى عليهم بالشقاوة ابتداءً وانتهاءً مثل فرعون وأبي جهل.

٣- من قضى لهم بالسعادة ابتداءً والشقاوة انتهاءً مثل إبليس.

٤- من قضى لهم بالشقاوة ابتداءً والسعادة انتهاءً مثل أبي بكر وعمر.

ومن جملة الأدلة على صحة مذهب الماتريدية: أن الله تعالى يقول: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُّونَ﴾ [الأنعام: ٢] ففي الآية أجلاّن: الأول في الآية هو =

قلنا: من كان في سابقِ عِلْمِ الله أنه شقيٌّ أو سعيدٌ فإنه لا يتغير ولا يتبدل علمه [ولكن لو علم أنه يصير سعيدًا في بعض عمره وشقيًا في بعض عمره] (١) يجوز أن يكون اسمه مكتوبًا في اللوح المحفوظ من الأشقياء أو من السعداء [ثم تحوّل ذلك ويكتب من الأشقياء أو من السعداء] (٢) لأننا لو قلنا بأن الشقي لا يصير سعيدًا، والسعيد لا يصير شقيًا يودّي إلى إبطال الكتب والرسل وهذا لا يجوز (٣).

= الأجل المثبت في اللوح المحفوظ، وهو ما تطلع عليه الملائكة، وهو قابل للتغير والتبدل، فالتغير هنا لا يقع في علم الله تعالى، وإنما يقع في المكتوب باللوحة، وذلك مثل النسخ في القرآن والثاني: هو علم الله القديم الأزلي الذي لا يقع به تغير ولا تبدل، يدل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ * يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٨-٣٩].

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٣) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «يعني أن السعادة والشقاوة لهما معنيان، أحدهما: السعادة والشقاوة في علم الله تعالى والثاني: السعادة والشقاوة بظاهر الحال، فالمعنى الأول هو المعتد به المعتبر لا يحتمل التبديل، وهو المراد من قوله عليه السلام «السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه» والمعنى الثاني: يحتمل التبديل والتغير، وهو المراد من قول أرباب العقائد: السعيد قد يشقى، والشقي قد يسعد، وإليه أشار على القاري في «شرح الفقه الأكبر». «عرياني» وورد بالنسخة (و) تعليق صورته: «قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار، فقالوا: أفلا نتكل على كتابنا؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان منكم من أهل السعادة فسيصير لعمل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسيصير لعمل الشقاوة ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ١٠-٥]».

فصل

[من لم يبلغه الوحي^(١) - وهو عاقل]

ولم يعرف ربه - هل يكون معذوراً؟]

عندنا لا يكون معذوراً، ويجب عليه أن يستدل بأن للعالم صانعاً كما استدل أهل الكهف حيث قالوا: ﴿رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) [الكهف: ١٤] وكإبراهيم عليه السلام ﴿فَلَمَّا رَأَى السَّمَاسَ بَارِزَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا دُشِّرَكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨]^(٣).

وقالت المعتزلة: لا يجب عليه أن يستدل بالعقل، ولكن العقل يوجب عليه أن يعرف الله تعالى^(٤).

(١) ورد بهامش النسخة (أ) ما صورته: «الوحي: أي الدعوة».

(٢) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: ﴿إِذْ قَامُوا﴾ أي قاموا من نومهم، ويقال: قاموا بإثبات الحجة، ويقال: خرجوا من عند الملك فقالوا ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنَدْعُوهُ مِن دُونِهِ﴾ [الأنعام: ١٣] لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا يعني كذباً وجوراً، أو يقال: ﴿شَطَطًا﴾ غلوا يقال: قد أشط إذا غلا في القول، يعني: جاوز الحد. «تفسير أبي الليث».

(٣) سبق الحديث عن هذه المسألة ص ١٣.

(٤) ورد بالنسخة (و) تعليق صورته: «أي نفس العقل يوجب أن يعرف الله تعالى ولو كان صغيراً لأن العقول سواء».

وقالت الأشعرية وجماعة من الحنابلة: يكون معذوراً، ولا يجب عليه أن يستدل، وحجتهم^(١) ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

* * *

(١) في (ب) و(د): «وشبهتهم».

فصل

[من لم يبلغه الوحي^(١) - وهو عاقل]

ولم يعرف ربه - هل يكون معذورا؟]

عندنا لا يكون معذورا، ويجب عليه أن يستدل بأن للعالم صائعا كما استدل أهل الكهف حيث قالوا: ﴿رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) [الكهف: ١٤] وكإبراهيم عليه السلام ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨]^(٣).

وقالت المعتزلة: لا يجب عليه أن يستدل بالعقل، ولكن العقل يوجب عليه أن يعرف الله تعالى^(٤).

(١) ورد بهامش النسخة (أ) ما صورته: «الوحي: أي الدعوة».

(٢) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: ﴿إِذْ قَامُوا﴾ أي قاموا من نومهم، ويقال: قاموا بإثبات الحجة، ويقال: خرجوا من عند الملك فقالوا ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ يعني كذبا وجورا، أو يقال: ﴿شَطَطًا﴾ غلوا يقال: قد أشط إذا غلا في القول، يعني: جاوز الحد. «تفسير أبي الليث».

(٣) سبق الحديث عن هذه المسألة ص ١٣.

(٤) ورد بالنسخة (و) تعليق صورته: «أي نفس العقل يوجب أن يعرف الله تعالى ولو كان صغيرا لأن العقول سواء».

وقالت الأشعرية وجماعة من الحنابلة: يكون معذورا، ولا يجب عليه أن يستدل، وحجتهم^(١) ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

* * *

(١) في (ب) و(د): «وشبهتهم».

فصل

[من لم يعرف شرائط الإيمان هل يكون مؤمناً أم لا؟]

قالت المعتزلة: لا يكون مؤمناً ما لم يعرف جميع شرائط الإيمان ويصف بلسانه ويصدق بقلبه، وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ويؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ودين الإسلام [ويقول: إنه^(١) خير من سائر الأديان فهو مؤمن مسلم.

وقالت المعتزلة: ما ذكرنا هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى، فإنه ذكر في «الجامع الكبير»^(٢) أن من تزوج امرأة صغيرة فأدركت واستوصفت منها شرائط الإيمان، فإن وصفت فهي امرأته، وإن لم تصف أو قالت: لا أدري، بانث منه، إلا أننا نقول: توصف لها شرائط الإيمان، فإن علمت فهي امرأته، وإن لم تعلم أو قالت: لا أدري، بانث.

ولئن قال: ما الدليل [على] أن للعالم صانعاً؟

قلنا: وجود الصنع دليل على وجود الصانع.

وقالت الدهرية والزنادقة وأهل الطبائع لعنهم الله تعالى: العالم قديم، وكذلك النطفة قديمة، والحب قديم، وهو أصل النبت، وهي من الطبائع الأربعة: برودة الهواء، وحرارة الماء، ورطوبة الماء، ويبوسة الأرض.

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٢) يعني به «الجامع الكبير» للإمام المجتهد محمد بن الحسن الشيباني رضي الله عنه المتوفى عام ١٨٩ هجرية، وهو من كتب ظاهر الرواية في المذهب الحنفي.

قيل لهم: إننا رأينا أشياء تتفاسد، وتتناثر في الشتاء مثل الأشجار، والحشيش، والكلاء، وبعضها لا يتفاسد، كالآس والصنوبر والعرعر والبقول والزرع، فلو كان ذلك من طبع وجب أن لا يختلف حكم النبات والزرع، فلما اختلف دل أنه من تقدير صانع قدير. فكذا رأينا الأشجار في مكان واحد ثمارها وألوانها وطعمها مختلف، والماء والهواء والأرض وحرارة النار واحدة، فلو كان ذلك من طبع وجب أن لا يختلف حكم الثمار والألوان.

فلما اختلف دل أنه من تقدير صانع قدير، وهذه العلة مستنبطة من قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّزَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١) [الرعد: ٤].

(١) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّزَةٌ﴾ بعضها طيب، وبعضها سبخة، وبعضها رخوة، وبعضها صلبة، وبعضها يصلح للزرع دون الشجر، وبعضها بالعكس. ولولا تخصيص قادر موقع لأفعاله على وجه دون وجه لم يكن كذلك، ولا شترك تلك القطع في الطبيعة الأرضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الأسباب السماوية من حيث إنها متضامنة مشاركة في النصف والأوضاع. ﴿وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ وبساتين فيها أنواع الأشجار والزرع ونجر ﴿وَزَرْعٌ﴾ لأنه مصدر في أصله، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص: ﴿وَزَرْعٌ﴾ ونخيل بالرفع عطفاً على ﴿وَجَنَّتْ﴾ ﴿صِنَوَانٌ﴾ نُخَيْلات أصلها واحد ﴿وَعَيْرُ صِنَوَانٍ﴾ ومتفرقات مختلفة الأصول، وقرأ حفص بالضم وهو لغة تميم، كـ ﴿قنوان﴾ جمع قنو، ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ أي في الثمر قدراً ورائحةً وطعماً، وذلك أيضاً مما يدل على الصانع الحكيم، فإن اختلافها - مع اتحاد الأصول والأسباب - لا يكون إلا بتخصيص قادر مختار، وقرأ ابن عامر وعاصم ﴿يُسْقَى﴾ بالتذكير على تأويل ما ذكر، وحزمة والكسائي ﴿يفضل﴾ بالياء ليطابق قوله ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يستعملون عقولهم في التفكير. «قاضي» وورد نحو هذا التعليق بالنسخة (و).

فصل

[في معرفة الصفات الإلهية]

فنقول: إنما الصفات على وجهين: صفات الذات، وصفات الفعل.

أما صفات الذات: كالحياة، والقدرة، والسمع، والبصر، والعلم، والكلام، والمشية، والإرادة.

وأما صفات الفعل: كالخلق، والترزيق، والإفضال، والإنعام، والإحسان، والرحمة، والمغفرة، والهداية.

فنقول: الله تعالى بجميع صفاته وأسمائه واحد، وبجميع صفاته وأسمائه قديم أزلي [من غير تفصيل] (١).

فصفات الله تعالى وأسمائه لا هو ولا غيره، كالواحد من العشرة (٢)، ولأننا لو قلنا بأن هذه الصفات هو الله تعالى يؤدي إلى أن يكون إلهين اثنين، والله تعالى واحد لا شريك له، ولو قلنا بأن هذه الصفات غير الله تعالى لكانت هذه الصفات محدثة، وهذا لا يجوز (٣).

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٢) يقول الإمام النسفي توضيحاً لهذه المسألة في «التمهيد» ص ١٧٢ ما صورته: «كالواحد من العشرة، لا يكون غير العشرة ولا عين العشرة لاستحالة بقاءه بدونها أو بقاءها بدونه، إذ هو منها فعدمها عدمه ووجودها وجوده والله الموفق».

(٣) ورد بالنسخة (ج) تعليق ما صورته: «عند الحكماء الصفات عين الذات وعند المعتزلة غير الذات». «على قاري».

فإن قيل: ما الدليل على أن هذه الصفات قديماً أزلياً؟

قلنا لهم: لأن الله تعالى لو لم يكن قادراً في الأزل كيف قدر حين خلق القدرة؟ وكيف قدر حين خلق الحياة والسمع والبصر؟ وكيف علم حين خلق العلم؟ فيؤدي إلى أن يوصف الله تعالى بالعجز قبل ذلك، وبالجهل قبل ذلك، وهذا ممتنع والهادي هو الله.

وأما صفات الفعل: كالخلق، والترزيق، والإفضال، [والإنعام] (١)، والإحسان، والرحمة، والمغفرة، والهداية، فكلها قديماً أزلياً لا هو ولا غيره على ما مر.

وقالت الأشعرية: إن هذه الصفات كلها مخلوقة (٢).

وقالوا: إنه لم يكن خالقاً ما لم يخلق الخلق، ولم يكن رازقاً ما لم يرزق الخلق، إلا أننا نقول: يجوز أن يسمى خالقاً وإن لم يخلق الخلق، ويسمى رازقاً وإن لم يرزق الخلق.

ألا يرى أن واحداً متى إذا كان قادراً على الخياطة يسمى خياطاً وإن لم يوجد منه الخياطة، كذلك ههنا، الله تعالى لما كان قادراً على الخلق والترزيق يسمى خالقاً ورازقاً، ألا يرى أن الله تعالى سمي نفسه مالك يوم الدين وإن لم يخلق يوم الدين، لكن لما كان قادراً على خلقه وإيجاده سمي نفسه بذلك الاسم، كذا ههنا، إلا أن هذا الجواب ليس بمتين (٣).

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ب).

(٢) في (ب) و(ج) و(د): محدثة. قلت: يرى الإمام الأشعري أن صفات الخلق والإبداع والتكوين والترزيق كلها محدثة، وليست بصفات قديمة لله تعالى، بل هي أمر اعتباري يحصل في العقل من نسبة الفعل إلى المفعول، لأن التكوين هو المكوّن عندهم، وكذا سائر صفات الأفعال. انظر «المسيرة» ص ٨٨-٩٥، و«إشارات المرام من عبارات الإمام» ص ٢١٤.

(٣) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «إشارة: من قال بقدم الصفات الفعلية فيريد به كونها مبدأ أي منشأ الأفعال ومبدأ لإخراج المعدوم من العدم إلى الوجود الراجعة إلى التكوين العام، وأما من قال بحدوثها فيريد أنها عبارة عن تعلقات القدرة والتعلقات حادثة، وهي آثار القدرة».

والجواب الصحيح أن نقول: هذه الصفات قائمة بذات الله تعالى في الأزل، لأنها لو لم تكن قائمة بذات الله تعالى في الأزل لكانت ذات الباري محلاً للحوادث، وهذا ممتنع والله الهادي.

* * *

فصل

[في بيان معنى القدم والحدوث]

اعلم أنَّ الموجودات علي ضريين: قديم ومحدث، فالمحدث ما سوى الله تعالى، والقديم هو الله تعالى، والقديم في اللغة: هو المقدم على غيره في الوجود، وهذا في صفات المخلوقين.

أما في صفات الله تعالى، قديم بمعنى لم يزل، والله تعالى قديم بلا ابتداء ولا انتهاء، ولم يزل ولا يزال، لا بمعنى أنه يقدم على غيره في الوجود، ويدل عليه أنه لو لم نقل بأن الله تعالى قديم يلزمنا القول بالأحداث والتعطيل، لأن ضد القديم هو المحدث، والمحدث لا يكون رباً صانعاً خالقاً، فمن ضرورة نفي الحدوث إثبات القدم، وبه ورد النص بهذين الاسمين وهو الأول والآخر^(١) بمعنى لم يزل بلا ابتداء وانتهاء، ويجوز بأن يقال بأن الله تعالى موجود، لأن الموجود بمعنى أنه لم يزل^(٢).

(١) مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

(٢) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «الأول: أي الذي لا بداية لأوليته، والآخر: أي الباقي بعد فناء خليقته ولا نهاية لآخريته، فمنه الأمر بدأ وإليه يعود، وهو المقصود في مراتب الوجود». «شرح الحصن الحصين لعللي قاري».

قلت: يقول الإمام الرازي في «تفسيره» (١: ١٥٨) ما ملخصه: «المسألة الثانية: في بيان أنه هل يجوز إطلاق لفظ الموجود على الله تعالى؟ اعلم أن هذا البحث يجب أن يكون مسبقاً بمقدمة، وهي أن لفظ «الوجود» يقال بالاشتراك على معنيين: أحدهما: أن يُراد بالوجود الوجدان والإدراك =

فصل

[في معنى الوجدانية]

ويجوز أن يقال بأن الله تعالى واحد، وبه ورد النص وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

ومعنى الواحد: الموجود الذي لا بعض ولا انقسام لذاته، فإن الله تعالى واحد لا من جهة العدد، يدل عليه أنه لو لم يكن واحداً لا من جهة العدد لكان أبعاضاً، فامتنع من أن يكون إلهاً واحداً، لأنه يحصل الإحداث والتخليق والاختراع لكل جزء منه، فيؤدي إلى أن يكون كل جزء منه خالقاً قادراً، وهذا محال.

= والشعور... والثاني: أن يراد بالموجود الحصول والتحقق في نفسه...، إذا عرفت هذه المقدمة فنقول: إطلاق لفظ الموجود على الله تعالى يكون على وجهين: أحدهما: كونه معلوماً مشعوراً به، والثاني: كونه في نفسه ثابتاً متحققاً، أما بحسب المعنى الأول فقد جاء في القرآن قال الله تعالى: ﴿لَوْ جَدُّوا اللَّهَ﴾ [النساء: ٦٤]...، ثم نقول: ثبت بإجماع المسلمين إطلاق هذا الاسم فوجب القول به. فإن قالوا: ألسن قلتم: إن أسماء الله تعالى يجب كونها دالة على المدح والثناء؟ ولفظ الموجود لا يفيد ذلك. قلنا: عدلنا عن هذا الدليل بدلالة الإجماع، وأيضا فدلالة لفظ الموجود على المدح أكثر من دلالة لفظ الشيء عليه، وبيانه من وجوه: الأول: أنه عند قوم يقع لفظ الشيء على المعدوم كما يقع على الموجود، أما الموجود فإنه لا يقع على المعدوم البتة، فكان إشعار هذا اللفظ بالمدح أولى. الثاني: أن لفظ الموجود بمعنى المعلوم يفيد صفة المدح والثناء، لأنه يفيد أن بسبب كثرة الدلائل على وجوده وإلهيته صار كأنه معلوم لكل أحد، موجود عند كل أحد، واجب الإقرار به عند كل عقل، فهذا اللفظ أفاد المدح والثناء من هذا الوجه، فظهر الفرق بينه وبين لفظ الشيء.

فصل

ويجوز أن يقال بأن الله تعالى شيء، لأننا لو لم نثبت أنه شيء يلزمنا التعطيل، لأن ضد الشيء لا شيء، ومن ضرورة نفي التعطيل إثبات الشيء.

وقالت المعطلة: لا يجوز أن يقال بأن الله تعالى شيء فراراً من التشبيه.

فإن قيل: وفي الخبر: «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً فمن أحصاها دخل الجنة»^(١) ونحن قد أحصيناها فلم نجد منه «الشيء»^(٢).

والجواب عنه أن نقول: الله سَمِيَ نفسه شيئاً، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩] فثبت أنه يجوز [إطلاق]^(٣) اسم الشيء على الله تعالى^(٤).

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (١: ١٧)، وأورده الإمام البيهقي في «شعب الإيمان» (١: ٢٠٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) في (ب): شيئاً.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (و).

(٤) ورد بالنسخة (و) تعليق صورته: «وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: يا محمد ما وجد الله رسولا غيرك؟ وما نرى أحداً من أهل الكتاب يصدقك بما تقول، فأرنا مَنْ يشهد إنك رسول الله، فقال الله تعالى: قل لأهل مكة ﴿أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةً﴾ يعني حجة وبرهاناً، فإن أجابوك فقل: ﴿اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بأني رسول الله».

فصل

[في بيان هل يقال إن لله نفساً؟]

ويجوز أن يقال بأن الله تعالى نَفْسًا عند أهل السنة والجماعة، لأن النفس تذكر ويراد به الذات والموجود، قال الله تعالى: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١] أي لذاتي. وقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨] أي ذاته^(١).

وقال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

فإن قالت المجسمة: إذا قلتم بالنفس فقد قلنا بالجسم^(٢).

قلنا: الجسم عبارة عن ذاتٍ مركَّبٍ قابلٍ لصفة العَرَض، والنفس عبارة عن الذات، ولا يلزم من ضرورة إطلاق اسم النفس عليه إطلاق اسم الجسم عليه. فإن قيل: نحن نقول بأنه جسمٌ لا كالأجسام، كما أنكم تقولون بأنه شيء لا كالأشياء^(٣).

(١) ورد بالنسخة (و) تعليق صورته: «أي يخوفكم الله عقوبته، يعني الذي يتخذ الكافر أولياء بغير ضرورة وهذا وعيد لهم».

(٢) في (هـ): «فإن قيل: قالت المعتزلة: إذا قلتم بالنفس فقد قلتم بالجسم».

(٣) نفْيُ المِثْلِيَّة لا يعني بالضرورة نفْيُ الجِسْمِيَّة، فإن قلت: إن يد زيد ليست مثل يد عمرو، فهذا نفْيُ للمِثْلِيَّة بين اليمين، ولكنه ليس نفْيًا للجِسْمِيَّة، وبهذا تعرف بطلان قول من يقول: إن لله =

قلنا: إذا قلتم بالجسم فقد قلتم بالكيفية لما ذكرنا من حدِّ الجسم، ولا يمكن إثباته في ذات الباري جلَّ جلاله، والله الهادي إلى سبيل الرشاد.



= تعالى يدًا حقيقة ورجلاً حقيقة ولكن ليست كأيدينا، زاعمًا أن هذا تنزيهٌ لله تعالى، وهو في الحقيقة ليس كذلك، لأن هذا نفْيُ للمِثْلِيَّة وليس نفْيًا للجِسْمِيَّة، والله تعالى منزّه عن الجِسْمِيَّة والمِثْلِيَّة، وهذه الأمثال قد تصح في حقِّ المخلوقات المحدثّة التي تتكون من أجزاء وأعضاء، وتطرأ عليها الأعراض والحوادث، تعالى الله عما يصفون ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فصل

[في بيان هل يقال إن الله تعالى نور؟]

قالت المشبهة لعنهم الله: يجوز أن يقال بأن الله تعالى نورٌ يتلألاً.

وقال أهل السنة والجماعة رضي الله عنهم: لا يجوز، بل هو خالق النور ومنور النور، لأن النور له لون، فلو قلنا بأنه نور يلزمننا التشبيه، والله تعالى منزّه عن التشبيه.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وهم احتجوا بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] سمى نفسه نوراً.

والجواب عنه أن نقول: قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني منور السموات والأرض، وقال بعضهم: يعني هادي أهل السموات والأرض^(١).

(١) يقول الإمام الصّفّار في «تلخيص الأدلة» ص ٤٨٠ ما صورته: «ومنها - أي أسماء الله - النور: قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] اعلم بأن النور في العربية - في غير أسماء الله تعالى - شعاعٌ ينافي الظلام، ويهتدى بالنور في ظلمات البر والبحر، ثم جاء النور اسماً لرسول الله ﷺ كما قال عز وجل: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] فقليل: أراد بالنور محمداً عليه السلام لأنه يهتدى به من الضلالة.

وأما في أسماء الله، فقال بعضهم: لا يجوز إطلاق هذا الاسم على الله لثلاثتهم متوهم أنه الشعاع الذي ينافي الظلام، ولكن يذكر على سبيل الإضافة كما قال عز وجل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. وقال بعضهم: يجوز إطلاق هذا الاسم عليه ومعنى قوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: منور السموات والأرض، وقيل: هادي أهل السماوات والأرض على هذا مذهب أهل الحق. =

فصل

[في بيان هل يقال لله يد؟]

ويجوز أن يقال بأن الله تعالى يدٌ بالعربية، ولا يجوز بالفارسية^(١).

= وقال الإمام البيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٢٩٥ ما صورته: «قد حكى أبو الحسن بن مهدي فيما كتب لي أبو منصور بن قتادة من كتابه عن ابن الأنباري عن ثعلب في قول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني أنه حقُّ أهل السماوات والأرض، وهذا نظير قول العرب إذا سمعوا قول القائل حقاً: كلامك هذا عليه نورٌ، أي هو حقٌ، فيحتمل أن يكون قوله: إن كان ثابتاً أسألك بجلال نور وجهك أي وحق وجهك والحق هو المتحقق كونه ووجوده. وكان الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم يقول في معنى النور: إنه الذي لا يخفى على أوليائه بالدليل، ويصح رؤيته بالأبصار، ويظهر لكل ذي لب بالعقل، فيكون قوله: أسألك بجلال نور وجهك راجعاً في النور إلى أحد هذه المعاني، والله اعلم».

(١) يقول الشيخ ابن عثيمين في رسالته المسماة «عقيدة أهل السنة والجماعة» ما صورته: «ونؤمن بأن الله تعالى عينيْن حقيقيتين لقوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعَ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيَنَا﴾ [هود: ٣٧] وقال النبي ﷺ: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» وأجمع أهل السنة على أن العينين اثنتان، ويؤيده قول النبي ﷺ في الدجال: «إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور»... إلخ.

قلت: هذا من أعجب ما وقفت عليه، فالقول بأن الله تعالى عينيْن حقيقيتين لا يفهم منه إلا القول بالجراحة، ونسبة ذلك إلى الله تعالى لم يقل به أحدٌ من السلف ولا من الخلف إلا المشبهة والمجسمة ومن على شاكلتهم، ومن أين للشيخ هذه العبارة «عينيْن حقيقيتين»؟! فهي لم ترد قط عن أحدٍ من السلف بهذا اللفظ، ودعوى الإجماع غريبة، وما استدلل به الشيخ من الآية عجيب أيضاً، فليس =

= في منطوق الآية ولا مفهومها تثنية العين ولا حقيقتها، فمنطوق الآية يتحدث عن العين بصيغة الجمع وليس التثنية، فهل يفهم من ذلك أن الله أكثر من عينين اثنتين؟ تعالى الله عما يصفون، ثم أنقل هنا بعضاً من كلام السلف المعبرين لتقف على حقيقة المسألة.

يقول الإمام القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» (٩: ٣٠) في تفسير هذه الآية ما صورته: «أي اعمل السفينة لتركبها أنت ومن آمن معك ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ أي بمرأى منا وحيث نراك، وقال الربيع ابن أنس: بحفظنا إياك حفظاً من يراك، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بحراستنا، والمعنى واحد، فعبر عن الرؤية بالأعين؛ لأن الرؤية يكون بها، ويكون جمع العين للعظمة لا للتكثير كما قال تعالى: ﴿فَنِعْمَ الْفَعْدُونَ﴾ ﴿فَنِعْمَ الْمَسْهُودُونَ﴾ ﴿وَإِنَّا لَمُؤِصِّغُونَ﴾ وقد يرجع معنى الأعين في هذه الآية وغيرها إلى معنى «عين» كما قال: ﴿وَلِئَصْنَعِ عَلَى عَيْنِي﴾ وذلك كله عبارة عن الإدراك والإحاطة، وهو سبحانه منزّه عن الحواس والتشبيه والتكييف لا رب غيره، وقيل: المعنى ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ أي بأعين ملائكتنا الذين جعلناهم عيوناً على حفظك ومعونتك، فيكون الجمع على هذا للتكثير على بابه، وقيل: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ أي بعلمنا قالة مقاتل، وقال الضحاك وسفيان: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بأمرنا، وقيل: بوحينا، وقيل: بمعونتنا لك على صنعها.

هذا فيما يتعلق بالآية التي استدلل بها الشيخ.

وكذلك منطوق الحديث السابق ليس فيه ما يدل مطلقاً على ما قاله، والأغرب والأعجب من ذلك كله استدلاله بحديث الدجال على أن الله عينين حقيقتين، مدعياً أن الإجماع على أن هذه عقيدة السلف رضوان الله عليهم، ولم أجد أحداً - ممن يعتمد قوله من السلف أو الحلف - استدلل بمثل هذا الاستدلال الغريب، وأنقل لك كلام الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» تعليقا على هذا حديث الدجال، قال ما صورته: «إنما اقتصر على ذلك مع أن أدلة الحدوث في الدجال ظاهرة لكون العور أثر محسوس يدركه العالم والعامي ومن لا يهتدي إلى الأدلة العقلية، فإذا ادعى الربوبية وهو ناقص الخلقة والإله يتعالى عن النقص علم أنه كاذب» انتهى.

فالنبي ﷺ يصف الدجال حتى يعرفه الناس، ومن صفته أنه أعور العين اليمنى، وليس فيه دلالة على أن الله عينين، فأين وجه الدلالة في هذا الحديث؟ وأما قول النبي ﷺ: «إن الله ليس بأعور» ففيه نفى للألوهية المكذوبة والمزعومة التي يدعيها الدجال لعنه الله ومن شابعه، وفيها كذلك نفى للنقص والعجز والعيب عن الله، وليس إثباتاً للعينين اللتين هما جارحتان، تعالى الله عن ذلك. =

واليد من الصفات الأزلية بلا كيف ولا تشبيه، كالسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والحياة، والإرادة، والكلام.

فإن الله تعالى سميع بلا جارحة، بصير بلا عين، عالم بلا آلة، مريد بلا قلب، متكلم بلا لسان وشفيتين، وكذلك اليد من صفاته الأزلية بلا كيف وتشبيه وجارحة، فعبر باليد والمراد به إرادة الله تعالى.

= وما قطع به الشيخ من تثنية العينين كيف يستقيم مع مثل قوله تعالى: ﴿وَلِئَصْنَعِ عَلَى عَيْنِي﴾ فقد وردت الآية بصيغة المفرد، فكيف يستقيم نص الآية مع فهم الشيخ ابن عثيمين؟ وهذا ينطبق على ما ورد في شأن اليد كذلك، فتارة يعبر القراءان عن اليد بصيغة المفرد كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وتارة بصيغة التثنية كقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ وتارة بصيغة الجمع كقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا يَأْتِيهِمْ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَمْلُوكُونَ﴾ فعلى ما يقول به ابن عثيمين ومن ينحو هذا المنحى سيقع التضارب في صفات الله تعالى، والله تعالى منزّه عن الصور والأشكال والحوادث والأعراض، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

كذلك قول أحدهم إن الله يداً أو رجلاً ليست كأيدينا، معتقداً أنه بذلك قد نزه المولى جل في علاه عن التجسم فهذا أيضاً غير صحيح، لأن نفى التماثل لا يعني بالضرورة نفى الجسمية، وهو بذلك لم يغلق باب التصورات العقلية الوهمية لذات الله تعالى، بل فتح باباً لتسلط الشيطان على عقله وقلبه، فقد نفى تماثل الكيفيات ولم ينف الكيفية أصلاً، والله تعالى منزّه عن الكيف، فقد يأتيه الشيطان ليقول له: إن لم تكن يد الله ليست كيدك، فكيف هي إذن؟

كما في الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق الله؟ فإذا بلغه فليقل: آمنت بالله ورسله» فمثل هذه الأقوال الملبسة لا تغلق هذا الباب، بل تفتح باب التصورات العقلية الباطلة لذات الله تعالى، والواجب الانتهاء عن ذلك والوقوف مع النصوص التي وردت عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ، دون تورط في أقوال تفضي إلى التجسيم والتشبيه، والله أعلى وأعلم.

وقالت المعتزلة: المراد من اليد إنها القدرة والقوة والنعمة. وقال الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] بمعنى نعمته.

فنقول: لا يجوز أن يقال بأن المراد من اليد القدرة والقوة، لأن الله تعالى قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] ولو كان المراد من اليد إنها هو القوة والقدرة لكان ذلك قوتين وقدرتين وهذا لا يجوز، لأن قوة الله تعالى وقدرته واحد لا يفنى ولا ينقطع، بخلاف قوة المخلوقين، لأن صفاتنا أعراض، والعرض لا يبقى زمانين، وقوة الله تعالى وقدرته ليست بعرض لا ينقطع ولا ينقص.

وكذلك الكلام بأن الله تعالى متكلم بكلام واحد وكلامه لا ينقطع، ثم اليد في القولين على أربعة أوجه: منها الملك كقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] أي له الملك، ويقال: هذه القرية في يد فلان أي في ملكه وتصرفه.

ومنها: المنّة كقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] أي منّة الله فوق منتهم يعني التوحيد، وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلْتَ أَيِّدِينَ أَنْعَمَّا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١] أي منّة الله وأياديه.

وفي الخبر: «اللهم لا تجعل لفاجر عندي يداً»^(١) أي منّة، ومنها: المعصية كقوله تعالى: ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

ومنها: الجارحة وهي اليمين والشمال، والله منزّه عن الآخرين، وهذان [أي يد الله وملكه]^(٢) بلا كيف وتشبيهه وصورة وجارحة، وهي من صفات الأزلية.

(١) أورده الدَيْلَمِيُّ في «فردوس الأخبار» (١: ٤٩٣) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه بلفظ: «اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة أكافئه بها في الدنيا والآخرة».

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

وقالت المشبهة: إن لله صورةً ويدين، وقالوا: كلتا يدي الرحمن يمين؛ لأن الشمال عَيْبٌ.

ويقال: له ساق وأصابع! وهم احتجوا بقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(١) [الزمر: ٦٧].

(١) مما شاع فيما يتعلق بتأويل هذه الآية ما يُذكر حول حديث النبي ﷺ، عن عبد الله رضي الله عنه قال: «جاء خبرٌ من الأحرار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه - تصديقاً لقول الخبر - ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾». والكلام حول هذا الحديث في مسائل أوجزها فيما يلي:

١- كيف يضحك النبي ﷺ حتى تبدو نواجذه الشريفة تصديقاً لقول هذا اليهودي في هذه المسألة، وهي مسألة تتعلق بالذات الإلهية؟ فضحك النبي ﷺ ليس تصديقاً لقول اليهودي كما ظن الراوي، بل هو إنكارٌ لهذا الفهم السقيم، وسخرية من هذه العقيدة الفاسدة، التي تقول بجسمية الرب.

٢- الآية التي قرأها النبي ﷺ تؤكد أنه ينكر فهم اليهودي، فصدر الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي أنتم يا معشر اليهود والمشركون لم تعرفوا الله حق معرفته ولم تقدروا الله حق القدر والمنزلة، بل أنتم مشبهة مجسمة، وليس في منطوق الآية ما يؤيد هذا التصور السقيم الذي صرح به الخبر اليهودي فتنام الآية قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فالآية تنكر على صاحب هذه العقيدة وليست تؤيده.

٣- ختم الله الآية بقوله: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تعالى الله وتنزهه وتقدس عما يتصوره المشركون، وعما يعتقد المشركون في ذات الله سبحانه. فأُيِّد في كلام رسول الله ﷺ لهذا اليهودي! بل هو عين الإنكار على هذا الفهم السقيم، فلا حجة لمن استدلل بهذا الحديث، وما تمسك به بعض الناس في هذا الحديث أجبت عليه بما يتوافق مع منطوق الألفاظ، ومع عموم النصوص الأخرى.

والجواب عن قوله: ﴿قَبَضَتْهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يعني في ملكه وقدرته، كما يقال: هذه الأرض في قبضتي وملكلي، وهم احتجوا في إثبات الساق^(١) لله تعالى بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] وفي الخبر: «إن قلوب العباد بين أصبعي الرحمن يقلبها كيف يشاء»^(٢) وفي الخبر: «إن جهنم تقول هل من مزيد، فيضع الرب قدمه فيها فتقول: قَطُّ قَطُّ»^(٣) يعني: حسبي حسبي.

قلنا: أراد بالساق أمراً عظيماً صعباً.

وقال بعضهم: أراد به ساق جهنم لما روي في الخبر: «إن لجهنم ثلاثين ألف رأس، وفي كل رأس ثلاثون ألف فم، [وفي كل فم ثلاثون ألف لسان]»^(٤) «فكذلك يجوز أن يكون له ساق».

ومعنى الخبر: «إن قلوب العباد بين أصبعي الرحمن [يقبلها كيف يشاء]»^(٥) أراد

٤- الجملة الاعتراضية «تصديقاً لقول النبي» هي من كلام الراوي، وليست من كلام النبي ﷺ، فلا دليل فيها على ما استدلوا به من تصديق النبي ﷺ لكلام اليهودي المجسم، والله أعلى وأعلم. (١) ورد بالنسخة (و) تعليق صورته: «كشفت الساق عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة لأجل الحساب والجزاء، ولذلك نكر ساق ليشيع في كل شدة، ولا يجوز نسبة الساق المركبة المعروفة لغة لله تعالى حقيقة، فإن ذلك كفر لإفضائه إلى التجسيم والتركيب والتعطيل، ويدعون الكفار - عقوبة وامتحاناً لإيمانهم - إلى السجود فلا يستطيعون السجود؛ لأن ظهورهم تصير كصياحي البقر».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٨: ١٤٣).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦: ١٣٨)، ومسلم في «الصحيح» (٨: ١٥١) من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

(٥) لم أجده فيما بين يدي من مصادر.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

به الأثر، ذكره الأصمعي وهو إمام^(١) في اللغة، وقوله حجة.

ومعناه: بين أثرين من آثار الرحمن، وهو التوفيق والخذلان، فمن وفقه الله يشتغل بالطاعة، ومن خذله يشتغل بالمعصية.

ومعنى الخبر: «يضع الجبار قدمه» بكسر القاف، وهو الصحيح من الروايات، معناه من كان في قدم علمه من الكفار، والله الهادي^(٢).

(١) في (هـ): الإمام.

(٢) ورد بالنسخة (ب) تعليق على قول المؤلف: «بكسر القاف» ما صورته: «ما ذكره هنا من أن «قدمه» بكسر القاف ليس بصحيح، وإنما هو من تأويلات العقول، وإن الرواية الجادة الصحيحة فإنها بفتح القاف. قال العلماء: المراد بالقدم أي بفتح القاف جبريل، إذ القدم واليد يطلقان على العُلَمَانِ والخدم، وهذا ما هو المعتمد، فلا يُلْتَفَتُ إلى كل ما قيل أو يقال، فإذا بعد الحق إلا الضلال!؟». قلت: ما ذكر بالحاشية صحيح، وكل روايات الحديث مضبوطة بفتح القاف كما هو معلوم، وتأويل الحديث أذكره ملخصاً من «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (٨: ٧٥٨) قال الإمام ابن حجر العسقلاني ما ملخصه: «...، واختلف في المراد بالقدم، فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة، وهو أن تمر كما جاءت ولا يتعرض لتأويله، بل نعتقد استحالة ما يؤهم النقص على الله، وخاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك».

فقال: المراد إذلال جهنم، فإنها إذا بلغت في الطغيان وطلب المزيد أذلها الله فوضعها تحت القدم، وليس المراد حقيقة القدم، والعرب تستعمل ألفاظ الأعضاء في ضرب الأمثال ولا تريد أعيانها كقولهم: «رغم أنفه» و«سقط في يده».

وقيل: المراد بالقدم الفرط السابق، أي يضع الله فيها ما قدمه لها من أهل العذاب...، فالمعنى: ما قدموا من عمل...، وقال ابن حبان في «صحيحه» بعد إخراجه: هذا من الأخبار التي أطلقت بتمثيل المجاورة، وذلك أن يوم القيامة يلقي في النار من الأمم والأمكنة التي عصي الله فيها فلا تزال تستزيد حتى يضع الرب فيها موضعاً من الأمكنة المذكورة فتمتليء، لأن العرب تطلق القدم على الموضع، قال تعالى: ﴿أَن لَّهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٢] يريد: موضع صدق. =

فصل

[لا يجوز وصف الله تعالى بالمجيء والذهاب]

ولا يجوز أن يُوصَفَ الله تعالى بالمجيء والذهاب؛ لأن المجيء والذهاب من صفات المخلوقين وأمارات^(١) المحدثين، وهما صفتان متفتيتان عن الله تعالى، ألا ترى أن إبراهيم صلوات الله عليه [وسلامه]^(٢) كيف استدل بالمتنقل^(٣) من مكان إلى مكان أنه ليس برَبِّ حيث قال: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] ومعنى قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] أي أمر ربك. وقوله تعالى: ﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ

= وقال الداودي: المراد بالقدم قدم صدق وهو محمد، والإشارة بذلك إلى شفاعته وهو المقام المحمود، فيخرج من النار من كان في قلبه شيء من الإيثار، وتُعَقَّبُ بأن هذا منابذ لنص الحديث، لأن فيه: «يضع قدمه» بعد أن قالت: «هل من مزيد» والذي قاله مقتضاه أنه ينقص منها، وصریح الخبر أنها تنزوي بما يجعل فيها لا يخرج منها.

قلت - أي ابن حجر -: ويُحتمل أن يُوجَّه بأن من يخرج منها يبدل عوضهم من أهل الكفر، كما حملوا عليه حديث أبي موسى في «صحيح مسلم»: «يُعْطَى كُلُّ مُسْلِمٍ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فيقال هذا فداءك من النار» فإن بعض العلماء قال: المراد بذلك أنه يقع عند إخراج الموحدين، وأنه يجعل مكان كل واحد منهم واحدًا من الكفار بأن يعظم حتى يسد مكانه ومكان الذي خرج، وحينئذ فالقدم سبب للعظم المذكور، فإذا وقع العظم حصل الملء الذي تطلبه انتهى.

(١) ورد بالنسخة (أ) ما نصه: «الأمارات جمع أماره وهي العلامة».

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٣) في (ب): المتنقل.

مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢] يعني: قتل كعب بن الأشرف [لعنه الله]^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَأَقْ أَفَقَ اللَّهُ بُنْيَنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦] يعني استهلكهم واستأصلهم فلم يبق منهم نافع نار ولا ساكن ديار، نزلت في غزو نمرود بن كنعان لعنهم الله.

ومعنى قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] يعني بعدما أثبتنا من الدلائل أنه لا شبيه له، ولا شريك له، ولا مجيء له، ينظرون إتيانه في ظلال من الغمام ويعتقدون هذا ليؤمنوا به، وهذا في صفات الله تعالى محال^(٢).

ومعنى الخبر: «ينزل الله تعالى كل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيقول: هل من تائب فيتاب عليه»^(٣).

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ه).

(٢) يقول الإمام أبو علي الفارسي المتوفى ٣٧٧ هجرية في كتابه «الإغفال» (٢: ٢٧٦) ما ملخصه: «أقول: إن من ذهب إلى تخطئة من قال: إن معنى ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ تَجَلَّى أمرُ رَبِّه، وأن هذا لا يعرفه أهل اللغة فاسد، وفُسُو هذا في اللغة وكثرته واشتهاره فيها أظهر وأوضح من أن يخفى على المبتدئين بالنظر في اللغة، فضلاً عن المتوسطين ومن جاوزهم، وفي التنزيل من هذا ما لا يكاد يضبط كثرة، وقد ذكر النحويون وأهل اللغة من هذا ما أغنوا به عن إكثارتنا وإثباتنا له في هذا الكتاب قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ ... فالمضاف إليه في هذه المواضع قد أُقيم مقام المضاف، وما أرى هذا الذي قاله إلا تحاملاً، ودافع هذا في اللغة كدافع الضرورات وجاحد المحسوسات في غير اللغة...».

(٣) أخرجه الترمذي في «السنن» (٢: ١٠٨)، وأحمد في «المسند» (١٨: ١١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «فقدت رسول الله ﷺ ليلة، فخرجت فإذا هو بالبيع، فقال: أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قلت: يا رسول الله إني ظننت أنك أتيت بعض نساءك! فقال: إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب». وهو عند ابن ماجه في «السنن» من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: =

قلنا: النزول من الله تعالى الاطلاع والإقبال على عبادته، يعني ينظر إلى عبادته بالرحمة. هكذا نُقِلَ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ولم يُرد به حقيقة الإنزال. معناه: علّمناه وفهّمناه^(١)، كذلك ههنا.

فإن قيل: لو قلنا بأن الله تعالى جسماً مركباً ليس يضرنا^(٢).

قلنا: يضركم؛ لأن الجسم عبارة عن مركّب ومؤلف، فإذا أثبتتم الأبعاض فقد قلتم بأنه لا يكون إلهاً واحداً، وقال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وإذا أنكرتم النصّ فقد كفرتم، لأنه يؤدي إلى أن يحصل التخليق والترزيق والإحداث والاختراع لكل جزء منه، ولكل عضو منه، فيؤدي إلى أن لا يكون إلهاً واحداً، ومن قال هذا يكفر.

= «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا يومها، فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له؟! ألا مسترزق فأرزقه؟! ألا مبتلى فأعافيه؟! ألا كذا، ألا كذا، حتى يطلع الفجر».

(١) في (ب): أفهّمناه.

(٢) قلت: تمسك الكرامة ومن انتحل طريقهم من المجسمة بظاهر الآيات والأحاديث التي تُوهم الجسمية واحتجوا بها، وقد وضع أهل السنة والجماعة جزاهم الله خيراً قاعدة جليّة للتعامل مع هذه النصوص المتشابهات، ويلخص لنا الإمام اللامشي الماتريدي الحنفي هذه القاعدة في كتابه «التمهيد» حيث يقول ص ٥٨ ما صورته: «ولا حجة لهم - أي للكرامية - في الآيات لأنها متشابهات وردت مخالفة بظواهرها للدليل القطعي العقلي الذي ذكرنا ووردت مخالفة للآية المحكمة وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فالتمسك بظواهرها يؤدي إلى التعارض والتناقض في حجج الله تعالى، والله تعالى حكيم لا تتناقض حججه ودلائله لأن التناقض والتعارض في الحجج أمارة السفه والجهل تعالى الله عن ذلك».

وإذا قلتم بأن بعض أجزائه إله، وبعض أجزائه ليس بإله، يكون هذا جمعاً بين الخالق والمخلوق [والرازق والمرزوق]^(١) ومن قال هذا يكفر^(٢).

فإن قيل: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت ربي ليلة المعراج في أحسن صورة فقال: يا محمد فيم يختصم المלא الأعلى فقلت: لا أدري»^(٣).

قلنا: معنى الخبر «رأيت ربي في أحسن صورة» يعني سيدي جبرائيل عليه السلام في أحسن صورة.

وقال بعضهم: «رأيت ربي في أحسن صورة» يعني: رأيت وكنت في أحسن صورة، يدل على صحة ما قلنا قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] وإن قرأ (المصور) بالنصب عمداً يكفر، وإن أخطأ تفسد صلاته.

ومعنى الخبر المروي: «إن الله تعالى يتجلى لأهل الموقف على صورة لا يعرفون،

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٢) يقول الإمام البيهقي في كتابه النفيس الذي لا غنى عنه لطالب هذا الفن «كتاب الأسماء والصفات» ص ٢٧٦ ما صورته: «الصورة هي التركيب والمصور المركب، والمصور هو المركب، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٨] ولا يجوز أن يكون الباري تعالى مصوراً ولا أن يكون له صورة، لأن الصورة مختلفة، والهيئات متضادة ولا يجوز اتصافه بجميعها لتضادها، ولا يجوز اختصاصه ببعضها إلا بمخصص لجواز جميعها على ما جاز عليه بعضها، فإذا اختص ببعضها اقتضى تخصيصاً خصصه به وذلك يوجب أن يكون مخلوقاً وهو محال، فاستحال أن يكون مصوراً».

(٣) أخرجه بهذا اللفظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨: ٣٢١)، وأخرجه الترمذي في «السنن» (٥: ٢٣٨)، والدارمي في «السنن» ص ٢٩٢، وأحمد في «المسند» (٣: ٤٥٨) بلفظ: «أتاني ربي في أحسن صورة» يعني في النوم، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧: ١٧٨) وقال: رجاله ثقات بلفظ: «أتاني ربي في أحسن صورة» يعني في النوم.

ثم يتجلى على صورة يعرفونه» أي على صفة لا يعرفونه في الدنيا، لأنهم عرفوه في الدنيا بالتجاوز والكرم، فإذا أظهر السياسة والعدل، وانشقاق القمر، وسقوط النجوم، فيقول العباد: يا ربنا ما عرفناك في الدنيا بهذه الصفة، ثم يظهر التجاوز والعفو فيقولون: عرفناك بهذه الصفة^(١).

(١) ذكر الإمام البيهقي هذا الحديث في «كتاب الأسماء والصفات» وحاول أن يأوله تأويلاً يتناسب مع ما ثبت من الصفات التي تنبغي لله تعالى والتي تمتنع عليه سبحانه وتعالى، وقد أطال البحث في هذه المسألة في كتابه المشار إليه من ص ٢٧٨-٢٨٣.

وقد علّق الإمام الكوثري رحمه الله تعالى على هذا الحديث تعليلاً أحببت أن أنقله بكامله لنفاسته ودقته قال رحمه الله معلقاً على الحديث ما صورته:

«اضطربت الروايات في ذكر الصورة والإتيان كما يظهر من استعراض طرق هذا الحديث ومتونه في «الصحيحين» و«جامع الترمذي» و«توحيد» ابن خزيمة و«سنن الدارمي» وغيرها، ولم يسبق أن عرفوه على صورة، فعُلم أنه قد فعلت الرواية بالمعنى في الحديث ما فعلت، على أن المناققين محجبون عن ربهم يوم القيام، فيكون هذا الحديث مخالفاً لنصّ القرآن إلا عند من يأوله تأويلاً بعيداً، فالقول الفصل هنا هو الإعراض عن ألفاظ انفرد بها هذا الراوي أو ذاك باختلافهم فيها، والأخذ بالقدر المشترك من المعنى الذي اتفقوا عليه فلعلك لا تجد في ذلك ما يوقعك في ريبة أو شبهة.

قال ابن حزم: قد أخبر عليه السلام أن الله يبدو للمؤمن يوم القيامة في غير الصورة التي عرفوها، وهذا ظاهر بين، وهو أنهم يرون صورة الحال من الهول والخافة غير التي يظنون في الدنيا وبرهان صحة هذا القول قوله ﷺ في الحديث المذكور: غير التي عرفتموه بها وبالضرورة نعلم أننا لم نعلم لله عز وجل في الدنيا صورة أصلاً، فصح ما ذكرنا يقيناً. انتهى.

ويقول ابن العربي في «عارضة الأحوذى» إن الناس في هذه الحال لا يرونه سبحانه في قول العلماء، وإنما محل الرؤية الجنة... بإجماع العلماء، وإنما هذه المراجعات بين بين الخلق وبين الواسطة انتهى. وهو أجد بالتعويل في نقل الإجماع من أمثال ابن رشد الحفيد الفيلسوف الظنن الذي يقول هنا ما يعاكس الحق انتقاماً من المتكلمين» انتهى.

فصل

[في بيان معنى الاستواء على العرش]

قالت الكرامية: إن الله تعالى استقرّ على العرش حتى امتلأ منه، حجتهم قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

قلنا لهم: قال بعض أهل التفسير: يعني استولى، قيل: بالفارسية: بر عرش پادشاه است^(١).

يدل عليه قول القائل:

قد استوى بشرّ على العراق من غير سيفٍ ودمٍ مهراقٍ

يعني: استولى.

= قلت: وقد صدق الشيخ رحمه الله في قوله: «فُعُلمَ أنه قد فعلت الرواية بالمعنى في الحديث ما فعلت» فمن المعلوم والمقرر أن جُلَّ السنة نُقل بالمعنى، ومن هذا الباب حديث الجارية المشهور، فقد ورد في أحد طرقه أن النبي ﷺ سألها «أين الله؟ فأشارت إلى السماء؟» فهذا مما فعلت فيه الرواية بالمعنى ما فعلت أيضاً، لأن الرواية الأخرى لم يرد بها هذا السؤال الذي لم يرد عن النبي ﷺ في أي حديث آخر، حيث كان ﷺ يقبل إسلام من يُسلم دون مثل هذه الأسئلة التي لا تتفق مع ما يليق بالله عز وجل، فالله تعالى لا أين له حتى يُسأل عنه بالأين، فهو خالق المكان والزمان وهو على ما عليه كان لم يتغير ولم يتبدل سبحانه وتعالى عما يصفون، وقد غابت هذه القاعدة عن أذهان كثير من تورطوا في التشبيه. والله أعلى وأعلم.

(١) هي جملة فارسية معناها: الملك مستولٍ على عرشه.

وعن مالك بن أنس رضي الله عنه إمام أهل المدينة أنه قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وقال للسائل: ما أراك إلا ضالاً. وأمره بالصفح^(١) فإذا هو جهنم بن صفوان عليه اللعنة».

ولأن الله تعالى كان قبل أن يخلق العرش فلا يجوز أن يقال: بأنه انتقل إلى العرش؛ لأن الانتقال من صفات المخلوقين وأمارات المحدثين والله تعالى منزّه عن ذلك، ولأن من قال بالاستقرار على العرش فلا يخلو إما أن يقول بأنه مثل العرش أو العرش أكبر منه، أو هو أكبر من العرش، وأياً ما كان فقائله كافر، لأنه جعله محدوداً^(٢).

(١) أي الكشف عن وجهه.

(٢) يقول الإمام أبو حنيفة في «وصيته» الكلامية المشهورة ما صورته: «نُقِرُّ بأنَّ الله تعالى استوى على العرش من غير أن يكون له حاجة واستقرار عليه، وهو حافظُ العرش وغير العرش من غير احتياج، ولو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين، ولو كان محتاجاً إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان؟! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً».

قلت: قام الأستاذ أبو معاذ محمد بن عبد الحي عويّنة بتحقيق «وصية الإمام أبي حنيفة» المذكورة، ولكنه - مع الأسف - قام بتحريف قول الإمام رضي الله عنه: «نقر بأن الله تعالى استوى على العرش من غير أن يكون له حاجة واستقرار عليه» ليصبح في طبعته هكذا: «نقر بأن الله تعالى استوى على العرش من غير أن يكون له حاجة واستقرار عليه» ولا يخفى ما في هذا القول من تشبيه صريح، ونسبة مثل هذا الكلام إلى إمام مثل الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه محض افتراء، والإمام منه بريء، وقد ادّعى أبو معاذ أن هذا هو نصُّ الأصول الخطيّة التي رجع إليها واعتمد عليها في نشر «الوصية» ولكن الله أبى إلا أن يفضحه بيده، فحينما وضع نماذج من المخطوطات التي اعتمد عليها في التحقيق بصدر الكتاب، وضع صورةً لهذا الموضع من الوصية، فإذا بالأصل الخطي الذي وضعه بيديه يشير إلى النصّ الصحيح لكلام الإمام كما أثبتته.

وقد أشار محققا «شرح وصية الإمام أبي حنيفة» للبابرتي والتي صدرت عن دار الفتح بالأردن الأستاذ محمد صبحي العايدى والدكتور حمزة وسيم البكري إلى أن جملة «واستقر عليه» قد =

وعن علي رضي الله عنه أنه سُئِلَ: «أين كان ربنا قبل أن خلق العرش؟ فقال رضي الله عنه: أين سؤال عن المكان، وكان الله تعالى ولا مكان ولا زمان، وهو الآن كما كان»^(١).

وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال: «التوحيد ثلاثة أحرف: أن تعرف أنه ليس من شيء، ولا في شيء، ولا على شيء، لأن مَنْ وَصَفَهُ أنه من شيء فقد وَصَفَهُ بأنه مخلوق فيكفر، ومن وصفه أنه في شيء فقد وصفه أنه محدود فيكفر، ومن وصفه أنه على شيء فقد وصفه أنه محتاج محمول فيكفر»^(٢).

= وردت في بعض الأصول الخطية لمن الوصية وشرحها كما يلي: «من غير أن يكون له حاجة، ومن غير أن يكون استقرار عليه».

ويقول الإمام البزدوي في كتابه «أصول الدين» ص ٤١ ما صورته: «الله تعالى على الصفة التي كان عليها قبل خلق العالم، أما قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] نقول: إن الحقيقة ساقطة العبارة هنا لأن الكلام لا يتصور منه الصعود حقيقة خصوصاً كلام العباد فإنه لا بقاء له، فإذا لم يمكن العمل بحقيقة هذا الكلام فلم يعلم مراد الله تعالى من ذلك حقيقة فيصير بمعنى المجمل فلا يبقى حجة، ثم نقول: المراد منه والله أعلم هو المجازي على علو الكلم الطيب ويرفع صاحبه ويجعله عالي المقدار قريباً من الله تعالى من حيث علو الحال والرفعة لا من حيث الذات كما في الشاهد يكون الإنسان قريباً من سلطان من حيث الرفعة والمكانة لا من حيث الجهة والمكان، فكذا هنا الله تعالى يرفع صاحب الكلم ويحمّله على المنزلة، فيصعد بشرفه فإن الكلم قائم به... إلخ».

(١) «الفرق بين الفرق» للبغدادي ص ٣٣٣.

(٢) يقول الإمام أبو المعين النسفي في «التمهيد» ص ١٥٨ وما بعدها ما صورته: «وإذا كان الله تعالى غير متمكن في الأزل ولا تماس للعرش فلو تمكن بعدما خلق المكان لتغير عما كان عليه ولحدث فيه ماسة، والتغير وقبول الحوادث من أمارات الحدث وهو مستحيل على الله تعالى ولأن العرش محدود متناه متبعض متجزئ ثم إن الله تعالى لو كان متمكناً على العرش لكان الأمر لا يخلو إما =

فالحاصل أن المشبهة يتمسكون بظاهر الآيات نحو قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [العنكبوت: ٨٨] وقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]. وبالأخبار المتشابهات نحو قوله ﷺ: «إن الله تعالى خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وخلق جنة عدن بيده، وغرس شجرة طوبى بيده»^(١). وفي رواية: «أنه خلق الإبل بيده، [وخلق جنة عدن بيده]^(٢)».

وعن محمد بن الحسن رحمه الله إنا نقول: «نؤمن بما جاء من عند الله تعالى، ولا نشغل بكيفيته، على ما أراد^(٣) الله تعالى، وبما جاء من عند رسول الله ﷺ على ما أراد به رسول الله ﷺ». [وهو إخبار كثير من كبراء الأئمة وعلماء أهل الملة]^(٤).

= أن يكون أكبر من ساحة، وإما أن يكون مثل ساحة العرش ولم ينقص منها ولم يفضل عنها، وأما أن يكون أصغر منها.

والأول باطل؛ لأنه يوجب كونه متبعضاً متجزئاً، وكان بعض منه متمكناً على العرش وبعض منه غير متمكن، والقول بالتجزؤ باطل لأنه منافٍ للتوحيد على ما بينا، وكذا لو كان بمقدار العرش إذ لاقى كل جزء من أجزاء العرش جزءاً منه وكذا لو كان أصغر من العرش لما أن قدر ما يلاقيه من العرش متبعض فلاقى كل جزء منه جزءاً من الصانع وهو محال على الله تعالى لما مر من بيان منافاة التركيب والتبعض والتجزؤ على القديم، وكذا إن كان مساوياً لساحة العرش أو أصغر منه أو أكبر كان محدوداً متناهيًا وهو من أمارات الحدث وثبوت شيء منها على القديم جل جلاله محال والله تعالى الموفق».

(١) أخرجه عبد الله بن المبارك بسنده موقوفاً على كعب الأحبار في «كتاب الزهد» رقم: ١٤٥٨.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٣) المثبت من (ب) وفي سائر النسخ: على إرادة الله.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

فصل

[في إثبات أن الله موجود بلا مكان ونفي الجهة عن الله تعالى]

قالت الجهمية: إن الله تعالى بكل مكان^(١)، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٨٤] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

والجواب عن قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ أي: تقديره

(١) ولسيدي عليّ وفارضي الله عنه كلام عرفاني دقيق في نفي الجهة عن الله تعالى ذكره الشيخ أحمد زيني دحلان في كتابه البديع «تقريب الأصول لتسهيل الوصول» ص ١٧٩ يقول فيه: «وقال رضي الله عنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥] هذه الآية تدل على نفي الجهة عن الله تعالى، ووجه الدلالة أن قاعدة الترتي تقتضي أن يكون الاطلاع على ما في الأرض للأرض أقرب من الاطلاع على ما في السموات، فلو كانت للسماء جهة لله تعالى لم تؤخر في الآية، إذ لا يحسن أن يقال: لا يخفى عن الملك شيء في البلاد القاصية وفي بيته أو بلده، فلو كان للحق جهة لاقتضت هذه الآية جهته، لكن نحن متوافقون على أن الحق تعالى منزّه عن جهة الأرض، والآية تدل على أنه منزّه عن جهة السماء فما فوقها، ولا جهة غيرهما، فلا جهة للحق أصلاً فافهم».

وتدبيره. وقوله تعالى: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾^(١) [الملك: ١٦] أي [أأمتم]^(٢) ممن ظهرت آثار قدرته في السماء.

وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ﴾ يعني علمه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ أي بالعلم.

ولأننا لو قلنا بأنه في المكان يؤدي إلى أمر قبيح، لأنه لا يخلو إما أن يكون كله بكل مكان، أو بكل مكان من طريق الأجزاء، أو بمكان دون مكان.

وباطل أن يكون كله بكل مكان، لأنه يؤدي إلى أن يكون إلهين اثنين، لا أن يكون إلهاً واحداً، والإله واحد، وباطل أن يكون بكل مكان بطريق الأجزاء، لأن مَنْ وَصَفَ الله تعالى بالأجزاء فإنه يكفر، وباطل أن يكون بمكان دون مكان، لأنه يحتاج إلى الانتقال وهو من صفات المخلوقين وأمارات المحدثين، والله تعالى منزّه عن ذلك^(٣).

(١) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم، أو الله تعالى على تأويل ﴿مَن فِي السَّمَاءِ﴾ أمره وقضاؤه، أو على زعم العرب، فإنهم زعموا أنه تعالى في السماء، يَخْسِفُ بِكُمُ الْأَرْضَ» فيغييكم فيها كما فعل بقارون، وهو بدل اشتغال.

وورد بالنسخة (و) تعليق صورته: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ أي من الملائكة، أو مَنْ فِي السَّمَاءِ ملكوته وسلطانه وأمتهم عذابه، أو مَنْ هُوَ الْمَعْبُودُ فِي السَّمَاءِ، وتخصيص السماء بالذكر للعادة برفع الأيدي في الأدعية إليها.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ج).

(٣) استدل من أثبت لله الجهة بأدلة منها: رَفَعَ الْإِيدِي إِلَى السَّمَاءِ. ونقول ردّاً على هذه الشبهة: لا حجة في هذا الأمر لأن السماء هو قبلة الدعاء، كما أن الكعبة هي قبلة الصلاة، فالتوجه إليهما لكونهما قبلة لا لأن الله تعالى في السماء أو في الكعبة.

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ وقد ردّ عليهم أهل السنة بأن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء» فهل معنى الحديث أن الله في الجهة السفلى حيث سجود العبد؟ وهذا لا يقول به عاقل، وكذلك =

فصل

[في إثبات رؤية الله تعالى]

قالت المعتزلة: لا تجوز الرؤية على الباري تعالى بالأبصار.

وقال أهل السنة والجماعة: تجوز.

وحجتهم^(١) قوله تعالى خبراً^(٢) عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ارِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَنُتَرِّفِيَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وكلمة (لن) للتأييد، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وكذلك زوي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سألت رسول الله ﷺ: «هل رأيت ربك ليلة المعراج؟ فقال: لا»^(٣).

= قوله تعالى: ﴿فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ فهل معنى ذلك أن المصلي أينما ولى وجهه يكون مقابلاً لمكان الله؟ تعالى الله عما يقولون، وكذلك قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ وما شابهها من آيات وأخبار فإنها تُحْمَلُ على ما يليق بالله جلّ جلاله.

ولا يخفى فساد قول من يقول إن الله تعالى في السماء حقيقة، لأن الله تعالى قديم، والسماء محدثة محدودة، فإن كان الله في السماء بالمعنى الحقيقي فأين كان قبل أن يخلق السماء؟ ففساد هذا ظاهر لكل عاقل.

(١) أي المعتزلة.

(٢) المثبت من (أ)، وفي سائر النسخ: «حكاية».

(٣) أخرج البخاري في «الصحیح» (٦: ١٤٠)، ومسلم في «الصحیح» (١: ١١٠)، واللفظ هنا للبخاري بسنده قال: «عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: يا أمتاه، هل رأى محمد ﷺ =

وشبهتهم العقلية: هو أنا لو قلنا بأنه يُرى يؤدي إلى إثبات الجهة، والجهة منفية عن الله تعالى.

وحجتنا: قوله تعالى خبراً عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِ أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ فلو لا أن موسى عَلِمَ جواز رؤية الباري وإلا لما سأل^(١)، لأن الأنبياء معصومون من أن يسألوا سؤالاً مستحيلاً، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وكذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ١١٠] وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ﴾ [فصلت: ٣١] فلو اشتهى أهل الجنة إلى الرؤية ولم يروه، يؤدي إلى الخلف في كلام الله تعالى.

وكذلك روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته»^(٢). أي: لا تراحمون في رؤيته^(٣).

= ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت! أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب، من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤] ومن حدثك أنه كنتم فقد كذب، ثم قرأت: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين.

(١) ورد بالنسخة (و) تعليق صورته: «مع إن الله تعالى عرّف موسى حق معرفته، ومنزهاً عن التشبيه والجهة والمقابلة، اعتقد أنه مع ذلك يُرى، حتى سأل أنه يراه، فمن زعم استحالة رؤية الله تعالى فقد ادعى معرفة بما جهله موسى من صفات الله تعالى وهذا باطل».

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٩: ١٢٧)، ومسلم في «الصحيح» (٢: ١١٤)، وابن حبان في «الصحيح» رقم ٧٤٤٢ كلهم من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٣) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «تضامون بالتخفيف، والمعني لا تشكون في رؤية القمر حال البدر».

وكذلك روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك ليلة المعراج»^(١) فقال: نعم»^(٢).

والجواب عن إشكالاتهم، أما قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾.

قلنا: لا نُسلم بأن كلمة (لن) للتأيد، بل هي للتأكيد وللتأقيد، وهذا لأن الله تعالى أخبر أن الكفار لا يتمنون الموت بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥] ثم أخبر أنهم يتمنون الموت بقوله تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَلَكِكُمْ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِينُونَ﴾ فعلم أن كلمة (لن) ليس للتأيد^(٣).

وكذلك قوله تعالى خبراً عن مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ

(١) ورد بالنسخة (و) تعليق صورته: «اختلف الصحابة أن النبي عليه السلام هل رأى ربه ليلة المعراج أم لا؟ واختلافهم يدل على جواز الرؤية، لأن العقلاء لا يختلفون في وجود المحال، وإنما يختلفون في وجود الجائر».

(٢) المشهور عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه ينفي رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المعراج، وقد شاركه هذا الرأي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأبو ذر رضي الله عنه في رواية، والمعروف أن ابن عباس من الصحابة القائلين بالرؤية ليلة المعراج، ومذهب من يقول بوقوع الرؤية مذهب جمهور من التابعين منهم: الحسن البصري، وعروة بن الزبير، وكذلك هو مذهب الإمام الزهري، وأحمد بن حنبل كما في «كتاب السنن» للخلال، وأبي الحسن الأشعري رضي الله عن الجميع.

(٣) يقول العلامة النحوي جمال الدين عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوي المتوفى ٧٦١ هجرية في كتابه «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» (١: ٦١٦) وما بعدها ما ملخصه: «(لن) حرف نصب ونفي واستقبال،... ولا تفيد (لن) تأكيد النفي خلافاً للزحشري في «كشفه» ولا تأييده خلافاً له في «أنموذجه» وكلاهما دعوى بلا دليل، وقيل: ولو كانت للتأيد لم يُقيد منفيها باليوم ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ ولكان ذكر الأبد في ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ تكراراً والأصل عدمه».

إِنْسِيًّا [مريم: ٢٦] ومع هذا لا يقتضي التأييد، وأما قوله تعالى: ﴿لَا تَذَرِكُهَا إِلَّا بَصَرٌ﴾ قلنا: النص يقتضي انتفاء الإدراك، ولكن لا يقتضي انتفاء الرؤية.

وأما حديث عائشة رضي الله عنها، قلنا: النبي ﷺ أخبر أنه لا يُرى في الدنيا، ولكن لم قلتم بأنه لا يُرى في الآخرة؟

وأما قوله: «لو قلنا يُرى يؤدِّي إلى إثبات الجهة».

قلنا: متى؟ إذا كان المرئي في الجهة أم إذا لم يكن.

الأول: مسلم.

والثاني: ممنوع، ولكن المرئي ههنا ليس في الجهة فلا يلزم من ضرورة انتفاء الإدراك انتفاء الرؤية وصار هذا كما قلنا في العلم.

* * *

فصل

[في بيان أن القرآن كلام الله تعالى]

وفيه الرد على المعتزلة]

القرآن كلام الله تعالى وصفته، والله تعالى بجميع صفاته واحدٌ قديمٌ غيرٌ محدث ولا مخلوق، بلا حرفٍ ولا صوتٍ ولا مقاطعٍ ولا مبادئ له، لا هو ولا غيره، فأسمعه جبرائيل عليه السلام بالصوت والحروف، فخلق صوتاً فسمعه بذلك الصوت والحروف، فحفظه جبرائيل عليه السلام ووعاه، ونقل إلى النبي ﷺ إنزال الوحي والرسالة لا إنزال الشَّخص والصورة، وتلاه على النبي عليه السلام، فحفظه النبي ﷺ ووعاه، وتلاه على أصحابه فحفظوه، وتلوه على التابعين، والتابعون على الصالحين، هكذا حتى وصل إلينا^(١).

(١) يقول السعد التفتازاني في «شرح على العقائد النسفية» عن الكلام الإلهي (١: ١٢١) ما صورته: «ليس من جنس الحروف والأصوات ضرورةً لأنها أعراضٌ حادثَةٌ، مشروطٌ حدوثُ بعضها بانقضاء البعض؛ لأن امتناع التكلم بالحرف الثاني بدون انقضاء الحرف الأول بديهي، وفي هذا ردٌّ على الحنابلة والكرامية القائلين بأن كلام الله عَرَضٌ من جنس الأصوات والحروف ومع ذلك هو قديم».

ويقول في موضع آخر من نفس الشرح (١: ١٢٤) ما صورته: «والقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، وعقَّب القرآن بكلام الله تعالى لما ذكر المشايخ من أنه يقال القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، ولا يقال القرآن غير مخلوق لثلاث يسبق إلى الفهم أن المؤلف من الأصوات والحروف، قديم كما =

وهو مقروء باللسن، محفوظ بالقلوب، مكتوب في المصاحف وليس بموضوع في المصاحف، لا يحتمل الزيادة والنقصان، حتى من أحرق المصاحف لا يحترق القرآن، كما أن الله تعالى مذكور باللسن، معروف في القلوب، معبود في الأماكن، وليس بموجود في الأماكن ولا في القلوب، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وإنما وجدوا نعتَه وصفته لا شخصَه، وكذلك الجنة والنار مذكورتان عندنا وليستا بذاتهما عندنا، هذا كله مذهب أهل السنة والجماعة.

ثم نقول: الله تعالى كلم جبرائيل صلوات الله عليه من وراء الحجاب، وسمع جبريل كلام الله من وراء الحجاب، وسمع رسول الله ﷺ كلام الله تعالى ليلة المعراج من وراء الحجاب، وكلم آدم وموسى عليهما السلام من وراء الحجاب.

وكل مرة جاء جبرائيل إلي النبي ﷺ كان ذلك بأمر الله.

= ذهب إليه الحنابلة جهلاً أو عناداً، وأقام غير مخلوق مقام غير حادث تنبيهاً على اتحادهما وقصدًا إلى جري الكلام على وفق الحديث، حيث قال ﷺ: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، ومن قال إنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم، وتنصيصاً على محل الخلاف بالعبارة المشهورة فيما بين الفرقتين وهو أن القرآن مخلوق أو غير مخلوق، ولهذا تترجم المسألة بمسألة خلق القرآن، وتحقيق الخلاف بيننا وبينهم يرجع إلى إثبات الكلام النفسي ونفيه، وإلا فتحن لا نقول بقدم الألفاظ والحروف، وهم لا يقولون بحدوث الكلام النفسي.

ودليلنا: ما مر أنه ثبت بالإجماع وتواتر النقل عن الأنبياء صلوات الله عليهم أنه تعالى متكلم، ولا معنى له سوى أنه متصف بالكلام، ويمتنع قيام اللفظي الحادث بذاته تعالى، فتعين النفسي القديم، وأما استدلالهم بأن القرآن متصف بما هو من صفات المخلوقين وسمات الحدوث من التأليف والتنظيم والإنزال والتنزيل وكونه عربيًا مسموعًا فصيحًا معجزًا إلى غير ذلك، فإنما يقوم حجة على الحنابلة لا علينا، لأننا قائلون بحدوث النظم، وإنما الكلام في المعنى القديم.

والله تعالى علم القرآن لجبرائيل، ثم بعد ذلك أمره أن ينزل على محمد ﷺ آية كذا وسورة كذا.

كلما أمر جبرائيل بأن ينزل على محمد ﷺ آية من القرآن أو كلمة كان ذلك عبارة من الكلام القديم ولم يكن محدثًا؛ لأن كلام الله غير محدث.

وقال النجارية، والمتقشفة^(١)، والمعتزلة، والجهمية لعنهم الله^(٢): القرآن محدث ومخلوق^(٣).

وقالوا: القرآن تكلم به ليلة القدر، ولم يتكلم قبل ذلك.

وقالوا: القرآن أوامر ونواهٍ، وليس من الحكمة أن يأمر المعدوم.

وحجة أهل السنة والجماعة في أن كلام الله تعالى غير مخلوق، لأنه لو كان مخلوقًا لا يخلو إما أن خلقه في غير ذاته أو في ذاته، فإن كان مخلوقًا في غير ذاته لكان المتكلم ذلك الذات، لأن المتكلم من قام به صفة الكلام، كالأسود والأحمر اسم لشخص قام

(١) في (ز): المتفلسفة.

(٢) كثيرًا ما ترد كلمة «لعنه الله» عقب ذكر بعض الفرق المخالفة، وهذا ليس بالضرورة من قول المؤلف رحمه الله، بل لعله من فعل النساخ، نظرًا لاختلاف النسخ الخطية في هذه العبارات تحديدًا، وعلى أي حال، فإنني لا أوافق على لعن الفرق المخالفة كالمعتزلة مثلاً، لذا لزم التنبيه.

(٣) من حجج المعتزلة في هذه المسألة قولهم: «إن الله أخبر عن أمور ماضية مثل قصص الأمم السابقة، ولو كان إخباره عنها سابقًا عليها لكان الإخبار قبل وجودها كذبًا والله منزّه عن ذلك.

والجواب عن هذه الشبهة: هذا كلام فاسد، لأن كلام الله تعالى لا يتعلق به زمان، بل هو مطلق الخبر، والمتعلق بالزمان المخبر عنه، فإن كان لم يوجد بعد، كان الإخبار إخبارًا أنه يوجد، وإذا وجد كان إخبارًا أنه للحال موجود، وإذا انقضى كان إخبارًا أنه وجد فيما قبل، والتغير على المخبر عنه لا على الإخبار الأزلي».

به صفة السواد والحمرة، ولا وجه إلى أن خلقه في ذاته؛ لأنه حيثئذ تكون ذاته محلاً للحوادث، فيكون ذاته شبيهاً بذوات المخلوقين ومثلهم، وإنه منفي بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأما قوله: «لو قلنا بأن كلام الله تعالى غير مخلوق لكان أمراً وناهياً للمعدوم».

قلنا: [المعدومات] ^(١) يجوز أن تؤمر عندنا على معنى أنه قال للأشياء: كوني في وقت كذا، ويجوز أن الله تعالى قال للأشياء قبل أن تكون: كوني في وقت كذا وكذا.

ولا يلزم ما قلتم كالسمع والعلم والبصر، فإنه عالم في الأزل بجميع المعلومات، سميع بجميع المسموعات، بصير بجميع المبصرات، وإن لم تكن المسموعات والمعلومات والمبصرات موجودة في الأزل، وأنه يسمع عند وجود المسموعات بسمعه القديم القائم بالذات الأزلي في الأزل، وكذا البصر.

فإن قيل: ههنا دلائل أخر تدل على أن كلام الله تعالى مخلوق، منها: قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢] وكل محدث مخلوق، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ وكل مجعول مخلوق.

وكذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] وما في صدور يكون مخلوقاً، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وكذلك [قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾] ^(٢) [الإسراء: ٨٦] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨] وما يحتاج إلى الحفظ يكون مخلوقاً، وما يُذهب به يكون مخلوقاً.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ب).

وكذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] سمى القرآن حديثاً، فثبت أنه مخلوق.

الجواب عنه أن نقول:

قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢] قلنا: المراد إتيان المحدث، فانصرف الإتيان إلى المحدث، أو نقول: ذكر الذكر وأراد به الذكر، وهو النبي ﷺ وبه نقول: إن النبي ﷺ كان محدثاً.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]. قلنا: الجعل يُذكر ويُراد به الخلق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ويُذكر ويراد به الوصف كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ [الزخرف: ٢٥] أي وصفوا له، كذلك ههنا ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي: وصفناه وبيناه بلسان العرب ولغتهم، لأن القرآن ليس بلغة العجم [ولا بعربي لأنها مخلوقتان وحادثتان، ولكن نزل على لسان العرب كما نزل سائر الكتب السماوية على لسان كل قوم ونبي، لأن القرآن قديم وغير مخلوق، ولا يجوز أن يُوصف القديم بالحادث، والعوام غافلون عن هذا] ^(١).

وأما قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

قلنا: المراد به محفوظ في القلوب غير موضوع فيها.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قلنا: المراد به الحفظ من الزيادة والنقصان [أي نحفظه من الشيطان كي لا يزيد ولا ينقص]. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ^(٢).

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ب).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ب).

[الإسراء: ٨٦] وقوله تعالى: ﴿وَلِنَأْتِيَنَّهُ ذَهَابٌ بِهِ لَقَدْ رُؤِنَ﴾ [المؤمنون: ١٨] يعني ذهاب حفظه من القلوب.

وأما قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣].

قلنا: المراد به الحروف المنظومة، وهو أحسن من كلام المخلوقين.

ثم اختلف أهل القبلة في أن الكلام الله تعالى هل هو مسموع أم لا؟^(١).

قال أبو الحسن الأشعري: إنه مسموع^(٢).

وبه أخذ بعض المشايخ المتأخرين من أصحابنا، نحو الشيخ الإمام الأجل الزاهد الصفار^(٣).

وحجتهم قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وهذا يدل على أن كلام الله تعالى مسموع^(٤).

(١) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «والمراد من الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت».

(٢) يقول الإمام ابن فورك في كتابه «مقالات الأشعري» ص ٦٠ ما صورته: «وكان يقول: إن كلام الله تعالى يجوز أن يسمع عند العبارة عنه وعند فقدانها، وتكون العبارة أيضًا مسموعة إذا وجدت، وكلام الله تعالى مسموعًا عند سماعها وذلك لعامة السامعين».

(٣) هو الإمام العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن إسحاق الصفار البخاري، الماتريدي معتقدًا، الحنفي مذهبًا، المتوفى ٥٣٤ هجرية. والصفار بالتشديد لقب لمن يبيع الأواني النحاسية، له من المؤلفات: «تلخيص الزاهد» و«تلخيص الأدلة لقواعد التوحيد» و«كتاب السنة والجماعة» و«الإبانة عن إثبات الرسالات». وراجع في هذه المسألة ما ذكره الصفار في كتابه «تلخيص الأدلة لقواعد التوحيد» فصل: إثبات الكلام لله تعالى ص ٥٢٩ طبعة دار السلام القاهرة سنة ١٤٣١ هجرية.

(٤) ورد بالنسخة (و) تعليق صورته: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ﴾ رفع محذوف يدل عليه ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ لأن أن =

وحجتنا وهو أن كلام الله تعالى صفة قائمة بالذات يدخل تحت الرؤية، ولا يدخل تحت السمع، وإنما الداخل تحت السمع إنما هو الحروف والصوت^(١).



= لا يليها إلا الفعل ظاهرًا أو مقدرًا والمعنى وإن جاءك أحد من المشركين المأمور بقتالهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم يطلب منك عقد زمام فأجره فاعقد له ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ أي قراءتك لكلام الله فيعلم ما له وما عليه هذا ما أعد لأوليائه من الثواب وأعدائه من العقاب وما افترض في دينه.

(١) يقول الإمام العلامة الفقيه الأصولي علاء الدين السمرقندي الحنفي المتوفى ٥٣٩ في كتابه الفريد «ميزان الأصول في نتائج العقول» ص ٨٤ ما صورته: «عندنا: الكلام معنى قائم بالمتكلم ينافي صفة السكوت والآفة، أو صفة يصير الذات بها متكلمًا في الشاهد والغائب جميعًا، وهذه العبارات المنظومة والأصوات المقطعة بتقطيع خاص دلالات عليه».

فصل

[في بيان حقيقة الاسم والمسمى]

اعلم بأن الاسم والمسمى واحدٌ عن أهل السنة والجماعة، والله تعالى بجميع أسمائه واحدٌ.

وقالت المعتزلة والمتشقة^(١): إن اسم الله تعالى غير الله تعالى، وهو مخلوقٌ.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤] وقوله ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٢) [البينة: ٥] الله تعالى أمرنا أن نوحّد الله، فلو كان اسم الله تعالى غير الله تعالى، لكان حصول التوحيد للاسم لا لله تعالى، وليس المقصودُ منه الألف واللام والهاء، وإنما المقصودُ هو الله تعالى، وهو كقوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُنِي أَنزِلْهُ مِنَ الْغُيُوبِ﴾ [مريم: ١٢] لم يُردّ به الاسم.

وكذلك لو قال: عبده حر، وامرأته طالق. يقع الطلاق والعتاق، فلو كان الاسم غير المسمى لا يقع الطلاق والعتاق، وكذلك لو تزوّج امرأةً يصحّ النكاح على المسمى، فلو كان الاسم غير المسمى لكان وقوع النكاح على الاسم دون المسمى.

(١) في (ز): المتفلسفة.

(٢) ما بين المعقوفين ساقطٌ من (أ).

فإن قيل: رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»^(١).

فلو كان الاسم والمسمى واحداً لكان تسعة وتسعين إلهاً وهذا محال، وكذلك لو قال الرجل: «النار»^(٢) فلو كان الاسم والمسمى واحداً لاحترق فمه، وكذلك لو كتب اسم الله تعالى على النجاسة فلو كان كما قلتم؛ لكان يوجد ذات الله تعالى على النجاسة وهذا محال.

قلنا: اسم الشيء يدل على عين ذلك الشيء.

ومعنى الخبر أنه أراد به التسميات، وفَرَّقَ بين الاسم والتسمية؛ لأن أهل كل لغة يسمونه بلغة^(٣) نحو: الهند، والسند، والترک، والعرب، والعجم، والتسميات والعبارات مختلفةٌ والله تعالى واحدٌ، كما أنَّ الشخص الواحد يقال له: زيدٌ عالمٌ فاضلٌ صالحٌ فقيهُ، كذلك ههنا، وكلُّ اسمٍ إذا سمّيته فهو الله.

وأما ما ذكرتم من النار. قلنا: إنما لم يحترق فمه لأنه وجد منه تسمية النار لا حقيقة النار، وأما إذا كتب اسم الله تعالى على النجاسة. قلنا: ذلك كتابة وتسمية ولم توجد ذات الله تعالى على النجاسة.

* * *

(١) سبق تخريجه ص ١٠٩.

(٢) أي تلفظ بكلمة «النار».

(٣) في (ب): بلغتهم.

فصل

[في الكلام على الرزق]

قال أهل السنة والجماعة: الأرزاق مقسومة معلومة لا تزيد بتقوى المتقين، ولا تنقص بفجور الفاجرين، والرزق الذي تكفله الله تعالى هو الغداء.

وقالت المعتزلة: يزيد وينقص، والرزق عندهم هو ملك الدراهم والدنانير الحاصل بما نكتسب. وقالوا: الحرام ليس برزق، وإنه من فعل العبد.

قلنا: الحرام رزق الله تعالى، ولكن العبد يستحق العقوبة على فعل نفسه.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢] وكذلك الشدائد والمحن بتقدير الله تعالى وقضائه.

قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢] الآية، وقوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٢] وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقالت المعتزلة: الشدائد والمحن ليستا بقضاء الله تعالى، ولكن بترك الجُهد من العبد، لأن الله تعالى لا يقضي بالشر والمحن ولا يُريد^(١).

(١) في (ب): ولا يزيد ولا ينقص.

مطلب

[في رؤية الشفاء من الدواء أو من الطيب^(١)]

وعندنا: الدواء سبب الشفاء من الله تعالى، ورؤية الشفاء من الدواء أو من الطيب كفر، بل الشفاء من الله تعالى، [هذا]^(٢) لأنه اتخذ شريكاً مع الله تعالى في الشفاء.

والكسب سبب الرزق من الله تعالى، ورؤية الرزق من الكسب كفر، وليس الثياب سبب دفع الحر والبرد، ودافع الحر والبرد هو الله سبحانه وتعالى، ورؤية دفع الحر والبرد من الثياب كفر.



(١) ورد هذا العنوان بهامش النسخة (أ) فقط.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

فصل

[في بيان استطاعة العبد]

قالت الجبرية: ليس للعبد استطاعة، والعبد مجبورٌ على الكفر والمعصية، كالريح تهب على الحشيش فيقلبها يميناً وشمالاً.

وقال أهل الحق نصرهم الله تعالى: العبد مستطيعٌ بفعل نفسه وقت الفعل باستطاعة الله تعالى إياه وبقوته وتوفيقه.

والعبد مخيرٌ مستطيع، فإذا وجد منه الجهد والقصد والنية والاكتماب في المعصية يجري خذلان الله تعالى مع نيته وقصده فيستحق العقوبة على فعل نفسه.

وإذا وجد جميع ذلك في الطاعة يجري عون الله تعالى وتوفيقه مع فعله، لأننا لو قلنا بأن الله تعالى يجبرهم على المعصية ثم يعذبهم على ذلك؛ لكان ذلك منه ظلماً وجوراً، والله سبحانه وتعالى عادلٌ منزّهٌ عن الظلم والجور.

* * *

فصل

[في إبطال قول المعتزلة بخلق أفعال العباد]

قالت المعتزلة خذلهم الله^(١): أفعال العباد كلها مخلوقات العباد^(٢)، والعبد هو الذي يخلق فعل نفسه خيراً أو شراً؛ لأن عندهم العبد مستطيع باستطاعة^(٣) قبل الفعل، ولا يحتاج إلى الاستطاعة والقوة من الله تعالى، وإذا كان العبد مستطيعاً باستطاعة نفسه قبل الفعل، فأفعاله تكون مخلوقة من جهته.

وقال أهل السنة والجماعة: أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى، والله تعالى يخلق أفعال العباد كلها خيراً كان أو شراً؛ لأن الاستطاعة من الله تعالى تحدث للعبد مقارنةً للفعل، لا متقدمةً على الفعل ولا متأخرةً عن الفعل، والعبد بجميع أفعاله مخلوق الله تعالى، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] أخبر أنه خلق أعمالنا وأنفسنا، ولا جائز أن يقال: أراد به المعمولات من الحجر والخشب، لأنه لا شك بأنه مخلوق الله.

قلنا: حقيقة ما تعملون، أراد به العمل لا المعمولات، يدل عليه قوله تعالى: ﴿هَلْ تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠].

(١) ورد بهامش النسخة (أ) ما صورته: وفي نسخة: «هداهم الله».

(٢) في (ب): للعباد.

(٣) ورد بهامش النسخة (أ) ما صورته: عوض عن المضاف إليه أي باستطاعة نفسه.

وظاهر الآية يقتضي أن العمل والمعمول مخلوق الله تعالى^(١)، فمن جازَ عن الحقيقة فعلية الدليل، ويدل على صحة ما قلنا لأننا لو قلنا بأن العبد يخلق فعل نفسه أدى إلى أن يكون الخالق اثنين، ومن ادعى ذلك فقد ادعى الشرك مع الله تعالى في الخالقية، ومن ادعى الشرك مع الله تعالى في الخالقية يكفر، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَفَرَكَ﴾ [الفرقان: ٢] وكذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] وفعل العبد شيء^(٢).

* * *

فصل

[في بيان حقيقة الإيمان]

الإيمان: هو الإقرار باللسان والتصديق بالقلب عند أكثر أهل السنة والجماعة^(١).

وقال الشافعي رحمه الله: الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان والعمل بالأركان.

وقالت الكرامية وهم أصحاب أبي عبد الله محمد [بن] [٢] كرام [بفتح الكاف] [٣]:
الإيمان مجرد الإقرار دون التصديق.

حجة الكرامية ظاهر قول النبي ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٤).

(١) يقول الإمام البزدوي في «أصول الدين» ص ١٥٠ ما صورته: «والتصديق كما يكون بالقلب يكون باللسان، وباللسان أبلغ، فيكون كل واحد منهما ركناً من الباب، فلا يوجد الإيمان إلا بهما إلا عند الضرورة والعجز، فإنه يكتفى بأحدهما لأن العاجز من حيث الآلة لا يُكَلَّفُ فيما عجز عنه، ولهذا صَحَّ إيمان الأخرس، وبقي إيمان المكره على النطق بالكفر».

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ه).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٤: ١١٣)، ومسلم في «الصحيح» (١: ٦٦)، والترمذي في «السنن» (٤: ٣٧٨) وقال بعده: «وقد روي عن الزهري أنه سئل عن قول النبي ﷺ: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فقال: إنها كان هذا في أول الإسلام قبل نزول الفرائض والأمر والنهي» وابن حبان في «الصحيح» برقم ١٦٩، وأحمد في «المسند» (١٦: ١٨٢).

(١) ورد بالنسخة (و): «لأنه قيّد بالمعمولات لا العمل، ونحن نقول: إن المعمولات لا شك فيها أنها مخلوقة لله تعالى، وكذلك العمل مخلوق لله تعالى، وكذلك العمل مخلوق لله تعالى لا نفس المعمولات».

(٢) انظر «تبصرة الأدلة» (٢: ٦٦٠).

واحتج الشافعي بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال علم الهدى أبو منصور الماتريدي رحمه الله: «الإيمان عبارة عن التصديق، يدل عليه قوله تعالى خبراً عن أولاد يعقوب صلوات الله عليهم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧] أي بمصدق لنا».

وقال أكثر أهل السنة والجماعة: الإيمان له شرائط خمسة: أن تشهد بالله والرسول، وتؤمن باليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبين.

وحجتنا في أن العمل ليس من الإيمان قوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣١] سَمَّاهُمْ مؤمنين قبل إقامة الصلاة، وفَصَلَ بين الإيمان والصلاة، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٦] سَمَّاهُمْ مؤمنين قبل إقامة الصلاة.

يدل عليه: لو وُجِدَ منه الإيمان قبل الضحوة ثم مات قبل الزوال يكون من أهل الجنة، فلو كان العمل من الإيمان لا يكون من أهل الجنة لأنه لم يوجد منه العمل.

فكذلك أصحاب الكهف، وسحرة فرعون، أجمعنا على أنهم من أهل الجنة وإن لم يوجد منهم العمل فثبت أن العمل ليس من الإيمان.

وحجتنا على الكرامية قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] فثبت أن التصديق شرط صحة الإيمان، ويدل عليه قوله عليه

السلام: «من قال لا إله إلا الله خالصاً مخلصاً دخل الجنة»^(١) شرط^(٢) التصديق.

وقال أهل السنة والجماعة: إذا أتى بالإيمان يقول: أنا مؤمن حقاً من غير شك.

وقال أصحاب الحديث: يقول: أنا مؤمن إن شاء الله.

وحجتهم لو قلنا بأنه يقول: «أنا مؤمن حقاً عند الله تعالى» يكون حكماً على علم الله تعالى في الغيب، لأن الله تعالى يعرف ضمائر الناس وعواقب أمورهم، وكل من علم الله تعالى أنه يموت كافراً لا يموت مسلماً؛ لأن علم الله تعالى لا يتغير ولا يتبدل، فلعل هذا الرجل يقول: «أنا مؤمن حقاً» وفي علم الله تعالى أنه يموت كافراً، يكون مخبراً خلاف ما عند الله تعالى، وهذا لا يجوز^(٣).

وحجتنا وهو أن الاستثناء يرفع جميع العقود نحو الطلاق، والعتاق، والبيع، فكذلك يرفع عقد الإيمان.

(١) أخرجه بهذا اللفظ الطبراني في «المعجم الكبير» (٥: ١٩٧)، و«الأوسط» (٢: ٥٦) من حديث زيد ابن أرقم ونماه: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة، قال: وقال رسول الله ﷺ: إخلاصه أن يحجزه عما حرم الله عليه» وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١: ٢٠) وقال بعده: رواه البزار ورجاله ثقات، وهو عند الإمام البزار في «المسند» (١: ١٦٦) وللحديث روايات متعددة بألفاظٍ متقاربة منها ما عند البخاري في «الصحيح» (٤: ١١٣)، ومسلم في «الصحيح» (١: ٦٦)، والترمذي في «السنن» (٤: ٣٧٨) وقال بعده: «وقد روي عن الزهري أنه سئل عن قول النبي ﷺ: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فقال: إنما كان هذا في أول الإسلام قبل نزول الفرائض والأمر والنهي» وابن حبان في «الصحيح» برقم ١٦٩، وأحمد في «المسند» (١٦: ١٨٢).

(٢) في (ب): بشرط.

(٣) يقول الإمام النسفي في «التمهيد» ص ٣٩٤ ما صورته: «وبهذا تعرف بطلان قولهم: إنا مؤمنون إن شاء الله تعالى، لأن ذلك كشابٍ يقول: أنا شابٌ إن شاء الله تعالى ويقول الطويل: أنا طويل إن شاء الله تعالى، وذلك كله هذيان! فكذلك هذا والله تعالى الموفق».

ولأننا أجمعنا على أنه إذا قال: لا إله إلا الله إن شاء الله، أو قال: أشهد أن محمداً رسول الله إن شاء الله، أو قال: آمنت بالملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر إن شاء الله تعالى يكون كافراً، لأنه شاك في إيمانه، وهذا لأن كل أمر متحقق في الحال أو في الماضي من الزمان لا يحسن الاستثناء فيه، أما دخول الجنة بشرط موته على الإيمان، وذلك في الثاني من الزمان فجاز الاستثناء فيه.

والجواب عن شبهتهم: إذا كان مؤمناً في الحال لا يصير كافراً ما لم يوجد منه الكفر، كما في علم الله تعالى أنا نموت ولا يقال: إننا في الحال موتى، وكذلك في علم الله أن الساعة آتية ولا يقال بأنها آتية في الحال.

وكذلك في علم الله تعالى أن الدنيا للفناء والآخرة للبقاء، ولا يقال بأنها متحققان في الحال.

يدل على صحة ما قلنا ما روي عن النبي ﷺ أنه قال لحارثة: «كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً» ولم ينكر عليه ﷺ ولكن قال: «لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟ قال: عزفت^(١) نفسي عن الدنيا، أي منعته، حتى استوى عندي حجرها، ومدرها^(٢)، فأظلماتُ نهاري، وأسهرتُ ليلي، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون، وإلى أهل النار يتعاونون فيها. فقال عليه السلام: هذا عبد نور الله قلبه^(٣) ثم قال: أصبت والزم^(٤)».

(١) ورد بهامش النسخة (أ) تعليقاً ما صورته: «عزفت عن الشيء عزوفاً انصرفت». وفي (د): «أي صرفتها وأبعدتها» «شرح التعريف».

(٢) ورد في (أ): وفي نسخة وذهبها.

(٣) ورد في (أ): وفي رواية: عبد نور الله الإيمان في قلبه، فهذا الكاشف في الإيمان شهوداً لما آمن به.

(٤) أخرجه البزار في «المسند» (١٣: ٣٣٣) من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ لقي رجلاً يقال =

فصل

[في بيان زيادة الإيمان ونقصانه]

الإيمان لا يزيد ولا ينقص عند الإمام الأعظم وأصحابه رحمهم الله.

وقال الشافعي رحمه الله: يزيد وينقص.

وحجته قوله تعالى: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤] وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] وكذلك روى عن النبي ﷺ أنه قال: «لو وُزنَ إيمان أبي بكر مع إيمان أمي لرجح إيمان أبي بكر»^(١).

= له حارثة وساق الحديث، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥: ٦٢١) من حديث محمد بن صالح الأنصاري أن النبي ﷺ لقي عوف بن مالك وساق الحديث، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣: ٣٠٢) من حديث الحارث بن مالك الأنصاري أنه مر برسول الله ﷺ وساق الحديث، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١: ٦٢) من حديث الحارث بن مالك وأنس بن مالك رضي الله عنهما، وقال بعده: رواه البزار، وفيه يوسف بن عطية لا يحتج به.

(١) أوره الإمام البيهقي في «شعب الإيمان» (١: ١٤٣) من حديث عمر بن الخطاب، والإمام السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص ٣٤٩ وقال: أخرجه إسحاق بن راويه في «مسنده» والبيهقي في «الشعب» بسند صحيح.

وللحديث شاهد قوي أخرجه أبو داود في «السنن» (٥: ٣٠)، والترمذي في «السنن» (٤: ٥٤٠)،

وأحمد في «المسند» (٥: ٤٤) كلهم من حديث أبي بكر رضي الله عنه رفعه، أن رجلاً قال: =

وكذلك روي عن أبي هريرة، وأنس بن مالك، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أنهم قالوا عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرج من النار من كان في قلبه مثل شعيرة من الإيمان»^(١).

ويُروى: «مثل ذرّة من الإيمان» وهذا يدل على أن الإيمان يزيد وينقص.

وحجتنا: وهو أن الإيمان عبارة عن التصديق، لما ذكرنا من الدليل وأنه لا يقبل الزيادة والنقصان^(٢).

= «يا رسول رأيت كأن ميزاناً أنزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت، ثم وزن أبو بكر بمن بقي فرجح».

(١) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (٥٦: ٦)، (١٥٨: ٩)، ومسلم في «صحيحه» (١: ١١٤)، (١١٧)، الإمام الترمذي في «السنن» (٣: ٥٣٤، ٤: ٣٤٦)، والنسائي في «السنن» (٨: ١١٢)، وابن ماجه في «سننه» (١: ٦٠) كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) يقول الإمام النسفي في كتابه النفيس «تبصرة الأدلة» (٢: ٨٠٩) ما ملخصه: «وإذا كان الإيمان هو التصديق، وهو نفسه مما لا يتزايد، فلا نقصان له إلا بالعدم، ولا زيادة عليه إلا بانضمام مثله إليه، فلا زيادة إذا للإيمان بانضمام الطاعات إليه، ولا نقصان بارتكاب المعاصي، إذ التصديق في الحالين على ما كان قبلهما... ثم أحق الناس أن يمتنع عن القول بالزيادة على الإيمان هم الذين يجعلون الأعمال من الإيمان، وذلك لأنهم إذا جعلوا الأعمال إيماناً فلا أحد إذا استكمل الإيمان، والزيادة على ما هو لم يكمل بعد وهو في حد النقصان محال، لأنه ما من عبادة توجد إلا وهي من الإيمان، ولا شيء وراء الكل ليتصور أن يكون زيادة باتصاله به، يوضحه أن الزيادة تكون على ذي النهاية فينتهي ثم يزداد عليه، فأما الزيادة على ما لا نهاية له فمحال، إلا أن يقول: الإيمان في حق الكل في حد النقصان ثم يزداد بكل طاعة فمن كانت طاعاته أكثر كان إيمانه أكثر.

فيقال له: إذا على زعمكم: كمال الإيمان غير متصور، فكان إيمان كل نبي ومرسل ناقصاً... ثم العجب منهم أنهم يزعمون أن كافراً لو أسلم وصدق بجميع ما يجب تصديقه صار مؤمناً، ثم لو ارتكب من ساعته إثماً انتقص إيمانه، وليس معه إلا التصديق، والتصديق لا تزايد عليه، ولو اختل لتبدل بالكذب وبطل، ولو لم يختل بقي كاملاً، فكان القول ببقائه وثبوت النقص فيه باطلاً».

وأما قوله تعالى: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

قلنا: ذلك في حق الصحابة رضي الله عنهم؛ لأن القرآن كان ينزل في كل وقت فيؤمنون به؛ فيكون تصديقهم الثاني زائدة على الأول، أما في حقنا فلا، لأنه انقطع الوحي.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأفقال: ٢].

قلنا: ذلك صفة المؤمنين، والمؤمنون في الطاعة متفاوتون، أما في الإيمان فلا.

وأما قوله تعالى: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ المراد به اليقين لا نفس الإيمان.

وأما حديث أبي بكر قلنا: ذلك ترجيح في الثواب، لأنه سابق في الإيمان.

وقد قال عليه السلام: «الدال على الخير كفاعله»^(١) وأما قوله عليه السلام: «يخرج من النار من كان في قلبه مثل شعيرة من الإيمان»^(٢).

قلنا: روي في بعض الروايات: «يخرج من النار من كان في قلبه الإيمان مثل شعيرة» فيجب حمله على هذا عملاً بما ذكرنا من الدلائل.

* * *

(١) أخرجه الإمام أبو داود في «السنن» (٥: ٥٢٩)، والترمذي في «السنن» (٤: ٤٠٤) وأحمد في «المسند» (١٦: ٢٨١) من حديث أبي مسعود الأنصاري، وهو عنده أيضاً في «المسند» (١٦: ٥٠٢) من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه يرفعه إلى النبي ﷺ.

قلت: وقد ورد بهامش النسخة (أ) ما صورته: وقوله عليه السلام: «مَنْ سَنَّ سَنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرٌ مِنْ عَمَلِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ».

(٢) سبق تحريجه.

وحجبتنا قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] وكذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحریم: ٨] والتوبة إنما تكون من الحوبة وهي الكبيرة.

وكذلك قوله عليه السلام: «صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ»^(١) فلو خرج من الإيمان لما أَمَرَ بالصلاة خلفه^(٢).

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢] قلنا: المراد به الطاعة في الشرك؛ لأنهم قالوا: الميتة حلال؛ لأنه مذبح لله تعالى، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٢] وأما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ قلنا: المراد منه الكفار، لأن التعدي إنما يكون من الكفار.

وأما قوله عليه السلام: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (١: ٥٢٧)، (٣: ٢٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأورده البيهقي في «الشعب» (٤: ٢٦)، وأخرجه الدارقطني رحمه الله في «سننه» (٢: ٣٩).
(٢) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «وكل مؤمن بعد موته مؤمن حقيقة كما في حال نومه وغفلته وحركاته وسكناته، وكذا الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد وفاتهم رسل وأنبياء حقيقة لا حكماً لأن المتصف بصفة الثبوت والإيمان هو الروح وهو باق لا يتغير بالموت». وتكرر هذا التعليق عند الحديث عن إثبات رسالة سيدنا محمد ﷺ.

(٣) ورد بهامش النسخة (أ) تعليق صورته: «قلنا: ظاهره يدل على أن أصحاب الكبيرة ليسوا بمؤمنين، ولكن المراد بالمؤمن الكامل في إيمانه أو ذو أَمْنٍ من عذاب الله أو المراد من المؤمن، المؤمن بالله أي المطيع له يقال أَمْنٌ (...) إذا انقاد وأطاع أو معناه الوعيد والإنذار لمرتكي هذه الكبائر بسوء العقابة إذ المرتكب لهذه الكبائر لم يؤمن عليه أن يقع في الكفر الذي هو ضد الإيمان (...) بينه وبين الآيات التي تدل على أن الإيمان لا يزول بالكبيرة». انتهى من «شرح المصاييح».

فصل

[في بيان حكم مرتكب الكبيرة]

قالت الخوارج لعنهم الله: من ارتكب الكبيرة يكفر.
وقالوا: إن علياً رضي الله عنه كفر بقتل البغاة والخوارج.
وقالت المرجئة: لا تضر المعصية مع الإيمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر.
وقالت الجبرية: العباد مجبورون على الكفر والمعاصي.
وقالت المعتزلة: يخرج بها من الإيمان، ولا يدخل في الكفر.

وشبهة الخوارج ظاهر الآية قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١] وقوله: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ والخلود إنما يكون لخروجه عن الإيمان، وكذلك قوله عليه السلام: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الشارب حين يشرب وهو مؤمن»^(١).

وكذلك قوله عليه السلام: «الصلاة عماد الدين، فمن تركها فقد هدم الدين»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣: ١٣٦)، ومسلم في «صحيحه» (١: ٧٦)، والنسائي في «السنن» (٨: ٦٤)، كلهم من حديث أم المؤمنين عائشة، وحديث أبي هريرة رضي الله عنهما، وهو عند الإمام أحمد في «المسند» (٦: ١٣٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) أورده الإمام البيهقي في «شعب الإيمان» (٤: ٤٥٧).

قلنا: هذا إخراج الكلام مجرى العادة؛ لأن الظاهرة والغالب في زمن النبي ﷺ عدم الزنى، وأما قوله عليه السلام: «الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين»^(١). قلنا: المراد به الترك من حيث الاعتقاد، وإذا تركه من حيث الاعتقاد صار كافرًا.

* * *

فصل

[في بيان أنواع الذنوب والمعاصي]

ثم الذنوب على أوجه:

منها ما يكون بينه وبين ربه كالزنى، واللواط، وشرب الخمر، والكذب، والغيبة، والبهتان، إذا لم يبلغ الخبر يرتفع بالتوبة، وأما إذا بلغه الخبر لا يرتفع بالتوبة ما لم يجعله في حلٍّ، وكذلك إذا زنى بامرأة ولها زوج فبلغه الخبر لا يرتفع بالتوبة ما لم يجعله في حلٍّ. وأما ترك الصلاة والزكاة والصوم فلا يرتفع بالتوبة إلا بقضاء الفوائت [إن شاء عذبه وذلك عدلٌ منه، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾]^(١).

* * *

(١) الحديث أورده بتمامه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤: ٢٨٨) مرفوعًا من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «جاء رجل فقال: يا رسول الله، أي شيء أحب عند الله في الإسلام؟ قال: الصلاة لوقتها، ومن ترك الصلاة فلا دين له، والصلاة عماد الدين» وراجع «المقاصد الحسنة» للسخاوي رقم ٢٦٦.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ) و(و).

فصل

[في بيان الخاطر وهل العبد مأخذ به]

قال أهل السنة والجماعة: العبد مأخوذ بما قصد بقلبه نحو الزنى واللواط وغير ذلك، أما إذا خطر بباله ولم يقصد لا يؤاخذ به^(١).

وقال بعضهم: لا يؤاخذ به في الصورتين جميعاً.

وحجتهم قول النبي ﷺ: «إن الله تعالى عفا عن أمتي ما خطر ببالهم ما لم يتكلموا به»^(٢).

وحجتنا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوا يُحَاسِبَكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾

(١) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «العزم» قوة القصد والجزم به، يأثم فيؤاخذ به وإن لم يفعل عند المحققين. «الهم»: وهو ترجيح قصد الفعل لا يكتب حسنه ولا سيئه، بل يتوقف إن فعلها يكتب سيئة واحدة وإن تركها لله كتب حسنة واحدة. «حديث النفس»: ما يلقي فيها مع التردد من فعله مرفوع أيضاً عن هذه الأمة ولا يكتب أيضاً كما في الخاطر. «الخاطر»: ما يلقي فيها مع الجريان مرفوع عنه. «الهاجس» هو ما يلقي في النفس من غير جريان لا يؤاخذ به إجماعاً لعدم الصنع منه.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، والحديث المحفوظ والمشهور لفظه كما أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (٣: ١٤٥) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوس به صدورهما ما لم تعمل أو تكلم».

[البقرة: ٢٨٤] أي يجازيكم به الله، فثبت أنه مؤاخذ بقصده، وما ذكرتم من الحديث محمول على ما إذا خطر بباله ولم يقصد، أما إذا قصد فلا [يؤاخذ به]^(١).

* * *

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

قلت: لا خلاف بين أهل السنة والجماعة أن الهم بالسيئة سيئة، لكن هي مغفورة لأنه إذا كانت الحسنة بعشر أمثالها وأكثر والسيئة سيئة واحدة، والهم بالحسنة حسنة فكان الهم بالسيئة أقل دون سيئة واحدة فكانت مغفورة ضرورة. انظر «أصول الدين» للبزدوي ص ٢٢٣.

فصل

[في إبطال قولهم:

«الإيمان هو المعرفة بالقلب دون الإقرار باللسان»]

قالت الجهمية لعنهم الله تعالى: الإيمان هو معرفة بالقلب دون الإقرار باللسان.

وقال أهل السنة والجماعة: المعرفة بالقلب ليست بإيمان ما لم يوجد منه الإقرار باللسان.

وحجتنا قوله تعالى: ﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٨٥] مع سياق الآية يدل على أن المعرفة بالقلب ليست بإيمان ما لم يوجد منه الإقرار باللسان، وكذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] وكذلك قوله تعالى: ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَاسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^(١). فثبت أن مجرد المعرفة ليست بإيمان.

* * *

(١) ورد بالنسخة (و) تعليق صورته: ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا﴾ أي بمعجزة موسى عليه السلام في تسع آيات، والواو في ﴿وَاسْتَيْقِنَتْهَا﴾ للحال أي لما جاءتهم آياتنا واضحات واستيقنوا صدقها جحدوها ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ أي شركًا وتكبرًا.

فصل

[في الرد على المرجئة وبيان فساد مذهبهم]

قالت المرجئة: إن الله تعالى خلق الخلق وسيبهم، لم يأمرهم ولم ينههم^(١)، وما جاء

(١) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «من «جامع الأسرار شرح المنار»: اعلم أن صيغة الأمر استعمل لوجوه والمشهور منها ثمانية عشر:

- ١- الوجوب كقوله تعالى: (أقيموا الصلاة).
- ٢- الندب كقوله تعالى: فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا.
- ٣- الإباحة كقوله: (فاضطادوا).
- ٤- والإرشاد إلى الأوثق كقوله تعالى (وأشهدوا ذوي عدل) وهذا يرجع إلى مصلحة الدنيا.
- ٥- الامتنان كقوله تعالى: (كلوا مما رزقكم الله).
- ٦- والإكرام كقوله تعالى: (ادخلوها بسلام آمين).
- ٧- الإهانة كقوله تعالى: (ذق إنك أنت العزيز الكريم).
- ٨- التسوية كقوله تعالى: (اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم).
- ٩- التعجب كقوله: (أسمع بهم وأبصر) أي ما أسمعهم.
- ١٠- التكوين كقوله: (كن فيكون).
- ١١- الاحتقار كقوله: (ألقوا ما أنتم ملقون).
- ١٢- الإخبار كقوله: (فليضحكوا قليلا).
- ١٣- التهديد كقوله: (اعملوا ما شئتم) ويقرب منه الإنذار كقوله: (قل تمتعوا).
- ١٤- التعجيز كقوله: (فأتوا بسورة من مثله).
- ١٥- التخيير كقوله: (كونوا قردة).

في القرآن ذلك صورة الأمر لا حقيقة الأمر، وهو على الندب والاستحباب، فإن أحسن
فله الثواب، وإن أساء فلا عقاب عليه كما قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [الأعراف: ٣١]
وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢].

والجواب عنه أن نقول: كل أمر لم يعقبه الوعيد بتركه فهو على الندب والاستحباب
كما قلتم، وكل أمر يعقبه الوعيد بتركه فهو على الحتم والإيجاب كما في الصلاة.

قال الله تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ
غِيَاً﴾ [الأنعام: ٥٩-٦٠] وكما في الزكاة قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ
يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥] ولأنه
لا يحسن من حكمة الحكيم جل جلاله أن يخلق الخلق مهملين لم يأمرهم ولم ينههم كما
قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا
خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

* * *

فصل

[في الرد على من يقول: «ليس في النار عذاب»]

قالت المرجئة لعنهم الله: إذا دخل أهل النار النار، فإنهم يكونون في النار بلا عذاب،
كالخوت في الماء، إلا أن الفرق بين الكافر والمؤمن أن للمؤمن استمتاعاً في الجنة بأكل
وشرب، وأهل النار ليس لهم استمتاع في أكل وشرب.

وهذا باطل، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ [فاطر: ٣٧]
وكذلك قوله تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ [الطلاق: ٩] وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكِكُمْ
لِيَقْضِيَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُوتُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] وكذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ
جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

* * *

= ١٦- التمني كقول الشاعر: ألا أيها الليل ألا انجلي.

١٧- التأديب: كقوله عليه السلام كل مما يليك وهو قريب من الندب.

١٨- الدعاء: كقولك: اللهم اغفر لي.

أما قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَنِغُوْنِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] قلنا: المراد به تقرير عجزهم، لأنهم ظنوا أنهم أعلم من آدم، يدل عليه أنهم ما استحقوا العقوبة بتركه.

وأما قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] قلنا: المراد به أنهم يدعون إلى السُّجُود في الدنيا، فيستحقون العقوبة بتركه في الآخرة.

وأما قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قلنا: ذكر في [بعض] ^(١) التفاسير: لا تجعلنا القردة والخنازير، [وقيل: اغف عَنَّا المسخ، واغفر لنا الحَسَفَ، وارحمنا من العذاب من السماء، فرغ الله عن هذه الأمة الثلاثة عامتهم] ^(٢).

وقوله عليه السلام: «من صَوَّرَ صورةً بيده كُفِّفَ يوم القيامة بأن ينفخ فيها الرُّوح» ^(٣) قلنا: المراد به تقرير عجزهم، وإنما استُحِقَّ ^(٤) الأمر عقوبة لهم.



= (٧: ٦٤)، وابن ماجه في «سننه» (١: ٦٣٣)، وأحمد في «المسند» (٦: ١٤٤) كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ب).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (ب): استحقوا.

فصل

قالت الجبرية لعنهم الله: ليس للعبد استطاعة، والعبد مجبور على الكفر والإيمان.

يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩] فالله تعالى أخبر أنهم لا يستطيعون العدل، ومع هذا أمرهم بالعدل، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَنِغُوْنِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] فالله تعالى أمرهم مع علمه بأنهم لا يطيقون، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] وكذلك قوله تعالى خبراً عن النبي ﷺ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فلو لم يكن التكليف للعاجز جائزاً وإلا لم يكن لهذا الدعاء معنى وفائدة، وكذلك قوله عليه السلام: «من صَوَّرَ صورةً بيده كُفِّفَ يوم القيامة بأن ينفخ فيها الرُّوح» ^(١).

والجواب عن قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩] أي المساواة في المحبة أي محبة القلب، والعبد لا يملك ذلك لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم هذه قِسْمَتِي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك» ^(٢) فلم يكن الأمر بالعدل أمراً للعاجز.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣: ٨٢)، (٧: ١٦٩)، (٩: ٤٣)، ومسلم في «صحيحه» (٦: ١٦٢)، والنسائي في «سننه» (٨: ٢١٥)، وابن حبان في «صحيحه» ص ١٥١٩ برقم: ٥٦٨٥، ص ١٥٥٥ برقم: ٥٨٤٨، وأحمد في «المسند» (١: ٢٦١) كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» (٣: ٥٤)، والترمذي في «سننه» (٢: ٤٣٣)، والنسائي في «سننه» =

فصل

[في حكم أطفال المشركين]

قال أهل السنة والجماعة: أطفال المشركين خَدَمُ أهل الجنة.

وقالت المعتزلة: حُكْمُهُمْ كَحُكْمِ آبَائِهِمْ يُجَلَّدُونَ فِي النَّارِ.

واختلف علماء أهل السنة والجماعة في هذه المسألة. قال أبو حنيفة رحمه الله: «لا أدري أهي في الجنة أم في النار؟»

وقال محمد بن الحسن رحمه الله: «إني أعلم أنَّ الله تعالى لا يعذب أحدًا من غير ذنب»^(١).

وإنما قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: «لا أدري» احتياطًا لتعارض الأدلة^(٢).

(١) هذه إشارة منه إلى أن أطفال المشركين لا يدخلون النار.

(٢) مذهب أهل السنة والجماعة أن أطفال المسلمين يكونون في الجنة، وقد رُويت في ذلك أحاديث كثيرة، وقد رُوي عن أبي حنيفة أنه كان يتوقف في أطفال المسلمين أيضًا، وقد كان هذا وقت شبابه، ولكنه رجع عن ذلك فيما بعد.

وقد وقع الاختلاف في أطفال المشركين فقالوا بعضهم: خدام أهل الجنة، وقال بعضهم: هم أصحاب الأعراف، وقال بعضهم: يمتحنون يوم القيامة، فمن كان من أهل السعادة أجاب، ومن كان من أهل الشقاوة لم يجب، وردوا هذا القول بأن الآخرة ليست دار ابتلاء وتكليف، بل هي دار جزاء وحساب. وقيل: من آمن يوم الميثاق هو من أهل الجنة، ومن لم يؤمن فهو من أهل النار. ومنهم من قال: أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم.

فصل

[في بيان أنواع المخاطبين بالدين]

ثم المخاطبون أربعة أصناف: الملائكة، وبنو آدم، والجن، والشياطين.

أما الملائكة: فكلُّ مَنْ وُجِدَ مِنْهُ الْكُفْرُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَعَلَيْهِ الْعِقَابُ كإِبْلِيسَ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ، وَكُلُّ مَنْ وُجِدَ مِنْهُ الْمَعَاصِي لَا الْكُفْرَ فَعَلَيْهِ الْعِقَابُ. دليله قصة هاروت وماروت^(١)، وَكُلُّ مَنْ وُجِدَ مِنْهُ الطَّاعَةُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَلَا ثَوَابَ لَهُ.

وأما الشياطين: فكلهم من أهل النار، وأما بنو آدم: فكلهم من أهل الجنة إذا كانوا مؤمنين، وأما الجن: فكلُّ مَنْ وُجِدَ مِنْهُ الْكُفْرُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَكُلُّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ فَلَهُ

وقد جمع بعضهم هذه الأقوال في هذين البيتين قائلًا:

لقد قال أهل العلم في طفل بأعراف إمساك مشيئة ربهم
وفي جنة في النار وقف ومحنة تراب وخدام وقيلمع أصلهم

(١) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله تعالى في الأرض ليقولا إن ما فعله بعض الناس سحرٌ لا معجزة، وليس الساحر نبيًا، فطلب الناس منهم تعلُّم السحر ليفرق الساحر من النبي عليه السلام، فعلموا الناس السحر لأن السحر قد فشى في ذلك الزمان، واشتغل الناس بالسحر، واستنبطوا أمورًا كثيرًا منه وأكثروا دعوى النبوة، فبعث الله تعالى هذين الملكين ليقولا: إنَّ ما يفعله بعض الناس سحر حتى يعلم الناس السحر والمعجزة والفرق بينهما، فعلموا الناس السحر حتى يتمكن بعض الناس من معارضة السحرة الكفرة، فعاتبهما الله تعالى لتعليمهما الناس السحر». «شرح المواقف وشرح المقاصد».

الجنة، ولا ثواب له عند أبي حنيفة رحمه الله كالملائكة.

وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي رحمهم الله: لهم الثواب، والحجة لأبي حنيفة رحمه الله القياس وهو أن لا يستحق العبد الثواب على الله تعالى بالطاعة، إلا أن الأثر ورد في بني آدم، فصار معدولاً عن القياس، [لأن العبد إذا عمل للمولى لا يستحق الأجرة منه إذا عمل للمولى] ^(١) وكل من يقول بأنه يستحق الثواب بالطاعة فعليه الدليل، إلا أن الله تعالى وعدهم بأن يغفر لهم ذنوبهم إذا تابوا.

يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَقَوْمًا أَحْبَبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمَنُوا بِهِ، يُغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١].

وحجتهم إذا كان لهم العقوبة عند المعاصي علمنا أن لهم الثواب على الطاعة، وليس لهم أكلٌ وشربٌ، ولكن لهم شَمٌّ، وذلك غذاءٌ لهم، ولهم التناسل كما في بني آدم وما يتصل بهذا الفصل في معرفة نسل الشياطين قيل: إنها تبيض بيضاتٍ فيخرج منها الولد، وهذا هو الصحيح.

وقد جاء في الخبر أن الشياطين إذا فرحوا على معصية بني آدم تبيض بيضات فيخرج منها الولد، وقد جاء في الخبر أن في إحدى فخذه فرجاً وفي الآخر ذكرًا، فيجامع مع نفسه فيخرج منها الولد، وهذه رواية شاذة.

وقد جاء في الخبر: أنه يُدخل ذكره في دبره فيخرج منه الولد، وهذا غير صحيح، والصحيح هو الأول.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «ثلث عروس الشياطين: النائحة،

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

والمغنية، والسكران» معناه: يعانقهم ويقبلهم، أما المجامعة فلا تحصل بينه وبين بني آدم، لأن الشياطين ليس لهم عملٌ على بني آدم.

والذي يروى أن سليمان عليه السلام زال عنه ملكه أربعين يوماً، وأن الشيطان كان يتواصلون إلى نسائه وجواريه، فتولد الأكراد الذين يسكنون الجبال، فلما عاد إليه الملك عزلهن عن نفسه.

قلنا: هذا غير صحيح، والصحيح أنهم ما تواصلوا إلى نسائه وجواريه.



جمع بين العبادتين: عبادة النفس وعبادة المال، فيكون الغنى أفضل من الفقر، وكذلك روي عن النبي ﷺ أنه قال: «نعم المَالُ الصَّالِحُ للرجل الصَّالِح»^(١).

وحجة الفريق الثاني قوله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ [العلق: ٦-٧].

وعن النبي ﷺ أنه قال: «عُرِضَتْ عَلَى مَفَاتِيحُ كَنْزِ الدُّنْيَا فَمَا كُنْتُ أَقْبِلُهَا، فَقُلْتُ: أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا»^(٢).

وكذلك روي عن النبي ﷺ أنه قال: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَسْكِينًا وَأَمْتِنِي مَسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ»^(٣) ولأن الأنبياء كانوا فقراء مثل زكريا، ويحيى، وعيسى، والحضر، وإلياس عليهم السلام، وكثير^(٤) من الناس.

يدل عليه^(٥) أنه مات أربعون نبيًا في يومٍ واحدٍ من الجوع والقمل^(٦)، ونبيُّنا ﷺ

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤: ١٩٧)، وابن حبان في «صحيحه» برقمي ٣٢١٠ و٣٢١١.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (٤: ١٦٨) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» (٤: ١٧٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، والحاكم في

«المستدرک» (٥: ٢٤١) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في «التلخيص»،

والطبراني في «الدعاء» برقم ١٤٢٥ كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) في (هـ): كثرة.

(٥) في (د) و(ج): ردُّوا عليهم.

(٦) ورد بالنسخة (د) تعليق صورته: «وإنَّ حول الكعبة قبرٌ ثلاثمئة نبيٍّ، وما بين الرُّكنَ اليماني والركن

الأسود قبرٌ سبعين نبيًّا قتلهم الجوع والقمل». رسالة الحسن البصري لأهل مكة.

وفي حديث أبي سعيد: «أن رجلاً وضع يده على النبي ﷺ فقال: والله ما أطيق وضع يدي على

حُكَّام، فقال له النبي ﷺ: إنا معشر الأنبياء يُضَاعَفُ لَنَا الْبَلَاءُ، إِنْ كَانَ النَّبِيُّ لِيَتَلَّى بِالْقَمَلِ حَتَّى

يَقْتُلَهُ، وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ لِيَتَلَّى بِالْفَقْرِ، وَإِنْ كَانُوا لِيَفْرَحُونَ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُونَ بِالرِّخَاءِ». من «الشِّفَاءِ»

للقاضي عياض نقلاً صحيحاً.

فصل

[في المفاضلة بين الغنى والفقر]

الغنى أفضل من الفقر^(١)، وبه أخذ بعض مشايخنا.

وقال عامة مشايخنا: الفقير الصَّابِرُ خَيْرٌ من الغني الشَّاكِرِ، وبه أخذ الفقيه أبو الليث رحمه الله، واتفقوا على أن الفقير الصَّابِرُ خَيْرٌ من الغني المَبْدُرِ والبَخِيلِ.

وحجة الفريق الأول قوله عز وجل: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨] مَنْ عَلَيْهِ بِالْغِنَى كَمَا مَنْ عَلَيْهِ بِالْفَقْرِ أَفْضَلُ مِنَ الْغِنَى لَمْ يَكُنْ لِلْغِنَى مَعْنَى وَفَائِدَةٌ.

وكذلك الأنبياء كانوا أغنياء كداود، وسليمان، ويوسف، وإبراهيم، وموسى، وشعيب عليهم السلام، والصحابه كانوا أغنياء، حتى روي أن عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته في مرضه، فصولحت امرأته تماضر على ربع ثمنها على ثمانية آلاف درهم^(٢)، وفي رواية: على ثمانين ألف درهم^(٣).

وكذلك روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كاد الفقر أن يكون كفراً»^(٤) ولأن الغنيَّ

(١) في (ب): الغنيُّ أفضل من الفقير.

(٢) في (ب): ثمانين ألف درهم.

(٣) في (ب): ثمانين ألف دينار.

(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤: ٢٢٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣: ٥٣)،

والقضاعي في «مسند الشهاب» (١: ٣٤٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

اختار الفقر والجهد، وقال: «لكل نبي حِرْفَةٌ، وحرفتي اثنان: الفقر والجهد، ومن أحبهما في الدنيا فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»^(١) وفي خبر آخر: «الغنى مَسْرَةٌ في الدنيا ومشقة في الآخرة، والفقر مشقة في الدنيا ومَسْرَةٌ في الآخرة»^(٢).

وفي الخبر: «الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم»^(٣) «(٤) وهو خمسمئة سنة من سنين الدنيا، فثبت أن الفقر أفضل»^(٥).

والجواب عن احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَالِيًا فَاغْنَى﴾ [الضحى: ٨] أي أغناك بالقناعة، [وهي كنز لا يفنى] «لأن الغنى غنى القلب لا غنى المال، والثاني: أغناك بالعلم، وهو الجواب عن قولهم: «والأنبياء كانوا أغنياء» وقلنا: أغنياء بالقلب ولم يلتفتوا إلى المال، والدنيا كانت في أيديهم ولم يطعمئوها بها»^(٧) وأكلوا من كسب أنفسهم.

وفي الخبر: «الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا العالم والمتعلم» وفي رواية أخرى: «إلا ذكر الله تعالى»^(٨).

(١) أورده طاهر الفتني في «تذكرة الموضوعات» ص ٥٣.

(٢) لم أجده من كلام النبي ﷺ، وإنما وجدته منسوبا في بعض الكتب إلى سيدنا عيسى عليه السلام.

(٣) ورد بالنسخة (أ) تعليق صورته: «من أيام الآخرة».

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في «سننه» (٤: ١٧٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٢: ٢٩٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) ورد بهامش النسخة (أ): «عن أبو برزة الأسلمي عن النبي عليه السلام أنه قال: «إن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بمقدار أربعين عامًا حتى تمنى أغنياء المسلمين يوم القيامة أنهم كانوا فقراء في الدنيا، وإن أغنياء الكفار ليدخلون في النار قبل فقرائهم بمقدار أربعين عامًا».

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٧) في (ب): لم يطعموا بالقلب بها.

(٨) أخرجه الترمذي في «سننه» (٤: ١٥١)، وابن ماجه في «سننه» (٤: ٤٢٨) من حديث أبي هريرة =

وأما قوله ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفراً»^(١).

قلنا: المراد به الفقر عن العلم وعن الصبر، لا عن المال، [أو كاد أن يكون مستورا عن أعين الناس لا من غاية عزته] «(٢)».

* * *

= رضي الله عنه ولفظه: «ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا أو متعلمًا». قال الترمذي بعده: هذا حديث حسن غريب.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٩: ٩٤)، وأورده أبو نعيم في «الحلية» (٣: ٥٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩: ١٢) كلهم من حديث أنس بن مالك.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

فصل

[في بيان حقيقة الكسب وطلب المال وبيان حقيقة التوكل]

قالت القدريّة: يُفترض على العبد الاكتساب وطلب المال.

وقال أهل السنة والجماعة: إن كان له قوتٌ فالكسبُ له سنة ومباح، [وإن لم يكن له قوتٌ وله درهم يشتري به القوت فالكسبُ له رخصة] (١)، وإن كان مضطراً أو له أهلٌ وعيالٌ فالكسب عليه فريضة.

وقالت المتقشفة (٢) والكرامية: الكسبُ حرام، ووضع (٣) المال حرام، لأن التوكل على الله واجب.

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٤) [آل عمران: ١٢٢] ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

[وقالوا: (٥) والاكتساب يرفض (٦) التوكل وذلك لا يجوز؛ لأن الله تعالى يرزقه

من حيث لا يحتسب.

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٢) في (ز): المتفلسفة.

(٣) ورد بهامش (أ): المراد منه الترك، قلت: المقصود أي ترك إنفاقه بمعنى كنزه وحبسه.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطٌ من (أ).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقطٌ من (أ).

(٦) ورد بهامش (أ): يعني يرفع.

إلا أنا نقول: التوكل على الله فريضة. والاكتساب لا يرفض التوكل، لأن التوكل من صفة القلب وهو الثقة بالله تعالى، والخوف والرجاء من الله تعالى، ورؤية الرزق من الله تعالى؛ لأن رؤية الرزق من الكسب كفرٌ وضلال، ومن الله دينٌ وشريعة.

يدل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من طلب الدنيا حلالاً استعفاً عن المسألة وسعيّاً على عياله وتعطفاً على جاره، جاء يوم القيامة وجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا حلالاً مفاخرًا مكاثراً لقي الله تعالى [يوم القيامة] (١) وهو عليه غضبان» (٢).

يدل عليه أن النبي ﷺ كان يدخر لنسائه قوت سنة (٣).

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طِبْعَتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧] فلو كان الاكتساب حراماً لما أمر الله تعالى بالإنفاق من المكسوب، وكذلك أمره بإيتاء الزكاة، فلو كان الاكتساب حراماً لما أمر بإيتاء الزكاة.

ثم الدليل على أن الاكتساب من مالٍ حلالٍ ليس بحرام، أن الأنبياء كانوا متوكّلين مكتسبين، لأن آدم عليه السلام كان زراعاً، وإدريس عليه السلام كان خياطاً، ونوح عليه السلام كان نجّاراً، وإبراهيم عليه السلام كان بزّاراً، وموسى عليه السلام كان أجيراً، شعيب عليه السلام، ومحمد عليه السلام كان غازياً، حتى روي في الخبر: «بعثني الله تعالى

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٢) أورده البيهقي في «شعب الإيمان» (١٣: ١٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨: ٢١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) لم تكن هذا عادة النبي ﷺ في جميع أيامه وأوقاته، فالحالات تتغير تبعاً لحالات الرخاء والشدة، فهناك أيام كان النبي ﷺ يشد الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع، وهناك أيام سعة، مثلما أفاء الله على رسوله ﷺ في بعض الأوقات من خير وأموال وأفوات فكان النبي يدخر منها شفقة على أهل بيته، لا حرصاً على الدنيا، حاشاه ﷺ.

بين يدي قيام الساعة بالسَّيف، وجُعِلَ رزقي تحت ظلِّ رُحِّي، وجُعِلَ الذَّلَّ والصَّغَارَ على من خالفني، ومن تشبَّه بقومٍ فهو منهم»^(١) فثبت أن الاكتساب ليس بحرام.

* * *

فصل

[في بيان الحساب والعرض]

ثمَّ إِنَّ الأنبياءَ ليسَ عليهم حسابٌ، ولا عذابٌ، ولا سؤالُ القبر، وكذلك أطفالُ المؤمنين، ليسَ عليهم حسابٌ، ولا عذابٌ ولا سؤالُ القبر، وكذلك العشرة الذين بشرهم الرسول ﷺ بالجنة ليسَ عليهم حساب، هذا كله حساب المناقشة^(١).

أما حسابُ العَرَضِ للأنبياء والصحابة جميعاً، يقال: فعلتَ كذا وعفوتُ عنك. وحساب المناقشة يقال: لمَ فعلتَ كذا؟

* * *

(١) صحَّ عن النبي ﷺ فيما حديث بعضها في الصحيحين أنه قال: «مَنْ نُوقِشَ الحسابُ عُذِّبَ» وفي بعضها: «مَنْ نُوقِشَ الحسابَ هَلَكَ» والحديث بتمامه كما عند ابن حبان في «صحيحه» برقم ٧٣٧٠ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَنْ نُوقِشَ الحسابَ هَلَكَ، فقلت: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿قَالَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ، بِمِيزَانٍ﴾ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا» [الانشقاق: ٧-٨] قال: ذاك العرض» فمن حديث النبي ﷺ أخذ العلماء أن لحساب الأعمال نوعان: الأول: حساب العرض، وهو يسير ويرجى لصاحبه النجاة، والثاني: حساب المناقشة، وصاحبه هالك معذب كما قال النبي ﷺ، نسأل الله العفو والستر.

(١) أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في «المسند» (٤: ٥١٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، والحديث بعضه عند الإمام البخاري في «صحيحه» (٦: ٧٢) معلقاً قال: «باب ما قيل في الرماح، ويُذكر عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: جعل رزقي تحت ظلِّ رُحِّي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري».

فصل

[في الرد على المفروغية القائلين

إن الله خلق كل الأشياء ولم يبق شيء لم يخلقه]

قال بعض أهل الباطل: إن الله تعالى خلق الأشياء كلها ولم يبق شيء غير مخلوق حتى يخلقه الآن، وكل ما كان مخلوقاً فرغ منها، حتى إن الثمار في الأشجار كلها، إلا أنها غير ظاهرة ونحن لا نراها وهي في الحقيقة مخلوقة.

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

وقال أهل السنة والجماعة: إن الله تعالى قدر ما هو كائن إلى يوم القيامة، ولم يخلقها حين قدرها، وإنما يخلقها بعد ذلك في كل وقت وأوان، خلق ما مضى وفي المستقبل يخلقها. يدل عليه قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] قال عليه السلام: «شأنه أن يحيي ويميت ويُعزِّز ويُذل»^(١).

وعن علي رضي الله عنه: أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] فقال: «شأنه أن يسوق النطفة من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، ثم يصور صورة، ثم يُخرج من بطن الأم إلى الدنيا، ثم يميتها، ثم يحييه يوم القيامة».

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٢٧: ١٣٥) بسنده إلى منيب بن عبد الله الأزدي عن أبيه قال: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فقلنا: يا رسول الله، وما ذاك الشأن؟ قال: يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع أقواماً، ويضع آخرين».

يدل عليه أن الله تعالى قدر يوم القيامة وليس بمخلوق؛ ولأنه لو كان مخلوقاً لكنا نحن في القيامة وليس كذلك.

ويدل عليه: أن الله تعالى خلق القلم، وقال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة.

فإن قيل: القلم هل فيه حياة؟

قلنا: ليس فيه حياة، لكنه جمادٍ يستنطقه الله كما يستنطق الأحياء.

فإن قيل: أيّس الحكمة في أن الله تعالى أمر القلم بأن يكتب على اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة وهو عالم؟

قلنا: لكي يُعلم أن الله تعالى يعلم الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله.



فصل

[في إثبات كرامات الأولياء]

قالت المعتزلة والرافضة والجهمية لعنهم الله: كرامات الأولياء باطلة، أما معجزات الأنبياء ثابتة صحيحة، واحتجوا وقالوا: لو قلنا بأن كرامات الأولياء ثابتة لبطلت معجزات الأنبياء، ولا يكون فرقاً بين الأنبياء والأولياء.

ويقولون: ما تحتجون علينا من كرامات مريم في قوله تعالى: ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجُنْعِ النَّخْلَةِ فُسْقُطَ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥] ذلك كرامة عيسى، وكذلك في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٨] فذلك كرامة زكريا^(١).

وقال أهل السنة والجماعة: كرامات الأولياء^(٢) جائزة، وهي لا تقدح في معجزات الأنبياء.

وها هنا ثلاث مراتب: معجزات الأنبياء^(٣)، وكرامات الأولياء، ومخادعات الأعداء.

(١) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: وجعل ذلك كرامةً لزكريا يدفعه اشتباه الأمر عليه.

(٢) يقول السعد التفتازاني في «شرح العقائد النسفية» (١: ١٩٤) ما صورته: «والولي هو العارف بالله تعالى وصفاته حسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المجتنب عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات، وكراماته ظهور أمر خارق للعادة من قبله، غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً، وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة».

(٣) المعجزة: هي ظهور أمر بخلاف العادة في دار التكليف لإظهار صدق مدعي النبوة مع نكول =

وإنما سُمِّيَ معجزةً لأنه يعجز غير النبي عليه السلام عن الإتيان بها مثل عصى موسى عليه السلام، وانشقاق القمر وغير ذلك.

وفرق بين المعجزات والكرامات أن المعجزات للأنبياء يراه الكافر والمسلم والمطيع والفاسق، وأما كرامات الأولياء لا يراه إلا وليُّ مثله، ولا يراه الفاسق.

والثاني: أن المعجزة كلما أراد النبي ﷺ يقدر على إيجادها، فيدعوا الله تعالى، فيظهر إليه معجزته، وأما الكرامة لا تكون إلا في الأوقات المخصوصة، [يريه الله تعالى ذلك ترغيباً له على الطاعة]^(١).

والفرق الثالث: هو أن المعجزة يعرفها النبي عليه السلام، ويعلمها، ويجب عليه أن يقر بنفسه أولاً بأنها معجزته من الله تعالى، ثم يظهرها لغيره، لأنه لو أنكر أنها معجزته يكفر، وأما الكرامة فلا يجب أن يقر بها الوليُّ بأنها كرامته، بل يقول إنها كرامة غيره من المؤمنين.

وأما مخادعات الأعداء: فالمذهب عند أهل السنة والجماعة أن الشياطين

= من يتحدى به عن معارضته بمثله. انظر «التمهيد» للإمام النسفي ص ٢٣٦.

فمن ضوابط تعريف المعجزة وقوع التحدي بها، ولذلك يجب التفريق بين الآيات والخوارق التي تجري على يد الأولياء وبين المعجزات التي وقعت للرسول والأنبياء، فشرط المعجزة أن يقع بها التحدي وأن يراها الخصم، ولا يشترط هذا في الآية أو الكرامة، فمثلاً نبع الماء من بين يدي النبي ﷺ، أو تكثير الطعام وتسييحه بين يديه الشريفة لا يُعد معجزةً بالمعنى الاصطلاحي لها كما عرفناه هنا، وإنها هي كرامة للنبي ﷺ، وآية لتثبيت قلوب المؤمنين ورفعٍ لقدر النبي ﷺ بين أصحابه، ومن باب الآيات الإسراء والمعراج، فالإسراء وكذا المعراج ليسا معجزتين اصطلاحاً، بل هما إكرام وإعزاز لشأن النبي ﷺ بعدما وقع له من أذى من قومه.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

يَصِيرُهُمْ^(١) الله تعالى على أي صورة شاء، فيجعل نفسه عصفورًا بين يدي الإنسان، فيوسوس الإنسان.

ويدل على أن كرامات الأولياء جائزة قصة أصحاب الكهف حين خرجوا من الغار، ولم يطل شعُرهم ولم تتمزق ثيابهم، [وكانوا كالعام الأول الذي دخلوا الغار]^(٢)، ويدل عليه قصة آصف قال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَاءَ إِيكَ بِهٖ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَاءَ إِيكَ بِهٖ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠] فلما جاز أن يكون له كرامة بسبب سليمان^(٣) جاز أن يكون لهذه الأمة كرامة بسبب النبي ﷺ.



فصل

[في إثبات عمل الشياطين على بني آدم وتسلطهم عليهم]

قالت المعتزلة: إن الشياطين ليس لهم عمل على بني آدم، ولا يمكنهم أن يوسوسوا، ونفس الإنسان توسوسهم وكذلك الجن، قالوا: ليس لهم عمل على بني آدم [في الظاهر والباطن]^(١).

وقال أهل السنة والجماعة: لهم عمل على بني آدم في الظاهر والباطن.

أما في الباطن: لما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الشيطان يجري في بني آدم مجرى الدم [فضيقوا الجارحة بالجوع والعطش]^(٢)»^(٣) فثبت أن لهم ولاية في الباطن، فيوسوسوا الإنسان ويدعوا إلى الشر.

وأما في الظاهر: يُزَيِّنُ المعاصي في قلوب العباد لقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل: ٢٤].

(١) في (ب): يصورها.

(٢) المثبت بين المعقوفتين من (ب) في (أ) و(ج) و(د) و(هـ): «وكانوا كالأعلام الأول» وفي (و):

«وكانوا كالعوام» وفي (ز): «وكانوا كالأول».

(٣) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «أي بسبب أتباعهم لشرعية سليمان عليه السلام كمال الأتباع».

«علي القاري».

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (٣: ٥٠) من حديث علي بن الحسين رضي الله عنه، ومسلم في «صحيحه» (٧: ٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

يصيِّرهم^(١) الله تعالى على أي صورة شاء، فيجعل نفسه عصفورًا بين يدي الإنسان، فيوسوس الإنسان.

ويدل على أن كرامات الأولياء جائزة قصة أصحاب الكهف حين خرجوا من الغار، ولم يطل شعْرهم ولم تتمزق ثيابهم، [وكانوا كالعام الأول الذي دخلوا الغار]^(٢)، ويدل عليه قصة آصف قال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠] فلما جاز أن يكون له كرامة بسبب سليمان^(٣) جاز أن يكون لهذه الأمة كرامة بسبب النبي ﷺ.



فصل

[في إثبات عمل الشياطين على بني آدم وتسلطهم عليهم]

قالت المعتزلة: إن الشياطين ليس لهم عمل على بني آدم، ولا يمكنهم أن يوسوسوا، ونفس الإنسان توسوسهم وكذلك الجن، قالوا: ليس لهم عمل على بني آدم [في الظاهر والباطن]^(١).

وقال أهل السنة والجماعة: لهم عمل على بني آدم في الظاهر والباطن.

أما في الباطن: لما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الشيطان يجري في بني آدم مجرى الدم [فضيقوا الجارحة بالجوع والعطش]^(٢)»^(٣) فثبت أن لهم ولاية في الباطن، فيوسوسوا الإنسان ويدعوا إلى الشر.

وأما في الظاهر: يُزَيِّن المعاصي في قلوب العباد لقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل: ٢٤].

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (٣: ٥٠) من حديث علي بن الحسين رضي الله عنه، ومسلم في «صحيحه» (٧: ٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(١) في (ب): يصورها.

(٢) المثبت بين المعقوفتين من (ب) في (أ) و(ج) و(د) و(هـ): «وكانوا كالأعلام الأول» وفي (و):

«وكانوا كالعوام» وفي (ز): «وكانوا كالأول».

(٣) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «أي بسبب أتباعهم لشريعة سليمان عليه السلام كمال الأتباع».

«علي القاري».

فإن قيل: أَيْش^(١) الحكمة في أنهم يروننا ونحن لا نراهم؟

قلنا: لأنهم خُلِقُوا عَلَى صُورَةٍ قَبِيحَةٍ، فلو رأيناهم لم نقدر على تناول الطعام والشراب فُسِّرُوا عَنَّا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

وأما الْجِنُّ خُلِقُوا مِنَ الرِّيحِ، وأصل الرِّيح لا يرى فكذلك ما خلق منه^(٢).

وأما الملائكة خُلِقُوا مِنَ النُّورِ، فلو رأيناهم لطارت أرواحنا وأنفسنا.

وأما قوله: بأن النفس توقعهم في المعاصي.

قلنا: نعم، ولكن بواسطة وسوسة الشيطان، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٤].

* * *

فصل

[في إثبات الرسالة]

لَمَّا ثَبَتَ أَنَّ لِلْعَالَمِ صَانِعًا عَالِمًا حَكِيمًا، فَمِنْ حِكْمَتِهِ أَنْ لَا يَعْطِلَّ عِبِيدَهُ عَنِ الْأَمْرِ وَالنَّوَاهِي؛ لِأَنَّهُ لَوْ عَطَلَهُمْ لَا يَكُونُ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْخُطَابِ فِي الْمَشَافَهَةِ، وَلَا وَجْهَ إِلَى الْخُطَابِ بِالْمَشَافَهَةِ؛ لِأَنَّ الدَّارَ دَارَ ابْتِلَاءٍ، وَالْإِيمَانَ بِالْغَيْبِ فَرِيضَةً، وَفِيهِ الْوَلِيُّ وَالْعَدُوُّ، فَلَوْ خَاطَبَهُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ لَا يَكُونُ فَرْقًا بَيْنَهُمَا، فَخُطَابُهُمْ بِالسَّفِيرِ وَهُوَ الرِّسْلُ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ رَسُولًا مِنْ وَقْتِ آدَمَ إِلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَجَعَلَ لَهُمْ مَعْجَزَةً خَارِجَةً عَنِ الطَّبْعِ وَالْعَادَةِ؛ لِإِلْزَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ. ثُمَّ الدَّلِيلُ عَلَى نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ الْآيَاتُ الْبَاهِرَةُ، وَالْحُجَجُ الظَّاهِرَةُ، مِنْهَا: الْقُرْآنُ، وَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ، وَحَنِينُ الْجَذَعِ، وَتَسْبِيحُ الْحَصَا فِي يَدِهِ، وَتَكْثِيرُ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ بِبَرَكَةِ دَعَائِهِ. وَأَمَّا مَعْجَزَتُهُ فِي الْقُرْآنِ فَمِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: مِنْ جِهَةِ لَفْظِهِ وَنَظْمِهِ وَإِيجَازِهِ وَاخْتِصَارِهِ وَاشْتِمَالِهِ عَلَى مَعَانٍ كَثِيرَةٍ تَحْتَ أَلْفَاظٍ قَلِيلَةٍ.

والثاني: مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، فَكَانَ كَمَا قَالَ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] فَكَانَ كَمَا قَالَ.

﴿فَتَمَنَّوْا أَلَمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤] فَكَانَ كَمَا قَالَ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ وَجَدُوا فِي التَّوْرَةِ إِذَا تَمَنَّوْا الْمَوْتَ يَمُوتُونَ، فَامْتَنَعُوا عَنْ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ دَعَاءُ النَّصَارَى

(١) في (ب): ما.

(٢) يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ تَارِ السَّمُورِ﴾ [الحجر: ٢٧].

إلى المباهلة^(١) فامتنعوا عن ذلك لأنهم وجدوا في الإنجيل أنهم إذا فعلوا ذلك أميتوا بقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] ولأن الله تعالى أخبر عن قصص الأولين وأبناء الآخرين.

ونبينا محمد ﷺ لم يخرج من المدينة، وما قرأ شيئاً من الكتب، ولم يتعلم^(٢) لأحد، فعلمنا أنه مما أخبر من القرآن ولم يكن منه، وإنما يكون من الله تعالى، فيجب الامتثال لأوامره والانتها عن نواهيه^(٣).

ثم إن الدليل على أن القرآن معجزته قوله تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وأما تكثير الطعام القليل: فقصة أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه أضافه إلى بيته، فذبح جدياً وله من الطحين أربعة أمثاء^(٤)، فشبع أهل المدينة^(٥)، وكلام الجدي المسموم ظاهر^(٦).

(١) ورد في (ج): أي الملاعنة.

(٢) في (ز): ولم يكن تلميذاً، وفي (ب) و(و): يتلمذ.

(٣) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبُكُمْ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

(٤) هو مقدار من الوزن، يقول الفيروزآبادي في «القاموس المحيط»: «الْمَنَّا وَالْمَنَّا: كَيْلٌ، أَوْ مِيزَانٌ، وَيُسَمَّى مَنَوَانٍ وَمَنِيَانٍ».

ج: أمثاء وأمن ومئي ومئي ويقول الجوهري في «الصحاح»: «وَالْمَنُّ: الْمَنَّا، وَهُوَ رِطْلَانٌ، وَالْجَمْعُ أَمْنَانٌ، وَجَمْعُ الْمَنَّا أَمْنَاءٌ».

(٥) أورد الحديث الإمام السيوطي في «الخصائص الكبرى» (٢: ٨٠) في (باب معجزاته ﷺ) في تكثير الطعام غير ما تقدم) حيث قال: «وأخرج البيهقي والطبراني وأبو نعيم عن أبي أيوب قال: =

= «صنعت للنبي ﷺ طعاماً ولأبي بكر قدر ما يكفيهما، فأتيتهما به، فقال النبي ﷺ: اذهب فادع لي بثلاثين من أشرف الأنصار، فشق ذلك عليّ وقلت: ما عندي شيءٌ أزيد، فكأنني تغافلت، قال: اذهب فادع لي بثلاثين من أشرف الأنصار، فدعوتهم فجاءوا فقال: اطعموا، فأكلوا حتى صدروا، ثم شهدوا أنه رسول الله وبايعوه قبل أن يخرجوا، ثم قال: ادع لي ستين، قال: فأكل من طعامي ذلك مئة وثمانون رجلاً كلهم من الأنصار».

(٦) حديث الشاة المسمومة التي أعدتها زينب بن الحارث اليهودية رواه الإمام البخاري في «صحيحه» ٢٦١٧، ومسلم في «صحيحه» ٢١٩٠ وغيرهما، وقد ورد في بعض طرقه أن الشاة أخبرت النبي ﷺ أنها مسمومة، وقد أكل منها مع رسول الله ﷺ بعض أصحابه فمات منهم واحد بسبب السم وهو بشر بن البراء، فقتلها النبي ﷺ به.

فصل

[ثم إن نبينا محمداً ﷺ الآن هو رسول أم لا؟]

قالت المتكشفة^(١) والكرامية: إن العَرَض لا يبقى زمانين، ولهذا قالوا: إن نبينا محمداً ﷺ الآن ليس برسول.

وقال أبو الحسن الأشعري: الرسول عليه السلام الآن في حُكْم الرسالة، وحُكْم الشيء يقوم مقام أصل الشيء، ألا ترى أن العِدَّة تدل على ما كان من أحكام النكاح، وكذلك المتوضيء إذا صَلَّى فسبقة الحدث فذهب ليتوضأ يكون في حُكْم الصلاة، ولا يكون في أفعال الصلاة، لأنه لو كان في أفعال الصلاة لما تجوز الصلاة مع الحدث.

وكذلك نبوة نبينا ﷺ عَرَض، والعَرَض لا يبقى زمانين، ولكنه في حُكْم الرسالة^(٢). والدليل على أن العَرَض لا يبقى زمانين: أن من صَلَّى الظهر إذا فرغ منها لا يقال بأنه في الصلاة، لأنه لو كان في الصلاة لا يجوز له الأكل والشرب والكلام، فثبت أن العَرَض لا بقاء له في وقتين مختلفين^(٣).

(١) في (ز): المتفلسفة.

(٢) يقول الإمام التاج السبكي في كتابه «طبقات الشافعية الكبرى» (٣: ٣٨٤) ما صورته: «إنكار الرسالة بعد الموت معزوة إلى الأشعري، وهي من الكذب عليه، وإنما ذكرناها وفاء بما اشترطناه من أننا ننظم كل ما عزي إليه ولكنه صرح بخلافها، وكتبه أصحابه قد طبقت طبق الأرض، وليس فيها شيء من ذلك، بل فيها خلافه».

(٣) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «وكل مؤمن بعد موته مؤمن حقيقة كما في حال نومه وغفلته =

وإنما نقول: هو رسول في الحال؛ لأنه لو لم يكن رسولاً في الحال لا يصح إيمان من أسلم وآمن به، وكذلك نقول في الأذان: «أشهد أن محمداً رسول الله» ولا نقول: «أشهد أن محمداً كان رسول الله» وكذلك الحُكْم في سائر الأنبياء عليهم السلام.

* * *

= وحركاته وسكناته، وكذا الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد وفاتهم رسل وأنبياء حقيقة لا حكماً لأن المتصف بصفة الثبوت والإيمان هو الروح وهو باق لا يتغير بالموت. «عمدة النسفي».

فصل

[في إثبات المعراج]

قالت المعتزلة: المعراج لم يكن، لأنه جاءت به أخبار الآحاد، وخبر الواحد يُوجب العمل، ولا يوجب الاعتقاد.

وقال أهل السنة والجماعة: المعراج كان صحيحاً إلى السماء، لأنه رُوي عن أكثر أصحاب النبي ﷺ نحو أبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك، ومالك بن صعصعة، وابن عباس، وأم هانيء رضي الله عنهم أنهم قالوا: المعراج إلى السماء.

ها هنا شيان: الإسراء والمعراج، أما الإسراء من مكة إلى بيت المقدس لا ينكره المعتزلة لأنه ورد به النص قال الله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] والإسراء هو السير بالليل، ومن أنكر الإسراء يكفر [وإنما قال ليلاً ليعلم أن المعراج لا يكون إلا ليلة واحدة] (١).

وأما المعراج من الأرض إلى السماء السابعة لا يثبت بدليل قطعي (٢)، والدليل على

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٢) أي قطعي الثبوت والدلالة، مثلما ورد في حق الإسراء من آيات الكتاب الحكيم، وإن كانت هناك آيات أشارت إلى المعراج وردت في سورة النجم ولكنها وإن كانت قطعية الثبوت، إلا أنها ليست قطعية الدلالة، والخلاف حول تفسير آيات سورة النجم طویل، وتمكن مراجعته من «تفسير القرطبي» (١٩: ٨٣) فإنه مفيد.

أن المعراج ثابت ما روت أم هانيء رضي الله عنها أنها قالت: قال لها النبي ﷺ: «ألا أحدثك بأعجب ما رأيت؟ قالت: بلى يا رسول الله، فقال: كنت نائماً وقلبي يقظان فجاء جبرائيل عليه السلام» (١) والحديث إلى آخره.

ثم سئل النبي عليه السلام: هل رأي ربّه ليلة المعراج أم لا؟

قيل: رآه بقلبه وما رآه بعينه، لما رُوي عن النبي عليه السلام، قيل له: هل رأيت ربك ليلة المعراج؟ فقال: «سبحان الله رأيت بفؤادي وما رأيت بعيني» (٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن الرؤية فأجاب مثل ذلك. قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١] أضاف الرؤية إلى الفؤاد لا إلى العين.

والمعتزلة احتجوا لنفي المعراج بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] وقالوا: المعراج كان في الرؤيا؛ لأن العقل لا يقبل ذلك، والعقل حُجّة الله على خلقه، لأن الله تعالى خلق آدم على صورة كثيفة، ومن طبعه السفول والهبوط، وأما العلو فمن طبع الطيور، فلهذا لا يصح المعراج.

والجواب عنه أن نقول: الكافر يرى نفسه في المنام أنه في السماء، وإنما يظهر تخصيص النبي ﷺ إن كان له ذلك في اليقظة.

وأما قوله: «من طبعه السفول».

قلت: نعم، ولكن هو لا يصعد بنفسه وإنما عُرِجَ به، لقوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي

(١) حديث الإسراء الذي روته أم هانيء أورده ابن هشام في «السيرة النبوية» والسهيلي في «الروض الأنف» وأورده الطبري وغيره في تفسير سورة الإسراء.

(٢) راجع تفسير سورة النجم، من تفسير الإمام الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن».

أَسْرَى يَعْبُدُهُ لَيْلًا ﴿[الإسراء: ١] ولم يقل إنه سرى بنفسه، ألا يُرى أن الحَجَرَ والمدَرَ من طبعه السُّفُول، ومع هذا إذا رماه إنسان يصعد الهواء، فالنبي عليه السلام إذا كان مَرْكَبُهُ البراق، جبريلُ سائقه، والله تعالى هاديه، أَوْ لا يصعد السَّاء^(١)؟!؟

وكذلك من اتخذ قوسًا يمكن له أن يرمي به السهم في الهواء، فالنبي عليه السلام إذا كان السُّرى قوسه، ومركبه البراق، وجاز به جبرائيل^(٢) بإذن الله أَوْ لا^(٣) يجاوز السموات؟!؟

* * *

فصل

[في الكلام على العرش والكرسي]

قالت المعتزلة والشيعة: العرش هو الملك، والكرسي هو العلم. قال الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أي علمه.

وقال أهل السنة والجماعة: لا يجوز أن يكون العرش هو الملك، لأن الله تعالى قال: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٨] والملك لا يحتاج إلى الحَمَل.

وكذلك رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «لما خلق الله تعالى العرش خلق ملائكة، فقال: احملوا عرشي، فلم يستطيعوا أن يحملوا، قال الله تعالى: لو خَلَقْتُ مِثْلَ عَدَدِ الرَّمْلِ وَقَطَرِ الْأَمْطَارِ، فلم يستطيعوا أن يحملوا ما لم يستغيثوا بي، فقالوا: اللهم اغثنا، فسمعوا نداءً من الله تعالى - بلا كيف - قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فقالوا، فحملوا العرش واستوى على رؤوسهم»^(١).

وهم أربعة في الدنيا، وثمانية في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٨] والملائكة الأربعة الذين يحملون العرش لكل واحد منهم أربعة أوجه: [وجه ثور، والآخر أسد، والآخر وجه نسر، والآخر وجه إنسان]^(٢).

(١) لم أجده فيما وقفت عليه من مصادر.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) و(ج) وورد كحاشية في هامش النسخة (د) صورتها: «وجه =

(١) في سائر النسخ: «أولى بأن يصعد إلى الساء».

(٢) في (ب): «وخادمه جبريل».

(٣) في سائر النسخ: «أولى أن».

أما الحِكْمَةُ في خَلْقِ العرش فقال بعضهم: قبلَةُ دعاء الملائكة، ويرفعون أيديهم إلى العرش وقت الدعاء، وقيل: إنه مرآة الملائكة ينظرون إليه فيرون جميع ما كان في السموات والأرض.

واختلفوا في العرش، قال بعضهم: سَرِيرٌ من نور، وقال [بعضهم: لا، بل هو من^(١)] ياقوتة حمراء.

* * *

فصل

[في الكلام على الحفظة من الملائكة]

قالت المعتزلة: ليس علينا ملائكةٌ ولا حَفَظَةٌ، وكلُّ ما يعمل الإنسان فالله تعالى عالمٌ به يغفر لمن يشاء، ويعذِّب من يشاء، وإنما يحتاج إلى الحفظة أن لو كان جاهلاً، ولا يعلم ماذا يعمل عباده، والله تعالى لا يحتاج إلى أن يوكل عليهم ليكتب أعمالهم.

قلنا: إنما يوكل عليهم ليكون حجةً على العبد^(١) يوم القيامة، فإذا أنكر العبد الأفعال يشهد عليه الملكان، وإذا نسي يكون الكتاب حجة عليه.

فإن قيل: بأي شيء يكتبون؟

قيل لهم: قال الضحاك: ينزل كل يوم ملكان، مع كل واحدٍ منهما صحيفة^(٢).

وقال مجاهد: لسانك قلمهما، وريقك مدادهما، ويدك كتابهما.

والأول أصح، لأن الله تعالى قال: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] وهذا يدل على أنه كان كتاباً لهم.

(١) في (ب): عليهم.

(٢) ورد بالنسخة (د) تعليق صورته: «وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا» هي صحيفة عمله أو نفسه المتنقشة بآثار أعماله فإن الأعمال الاختيارية تحدث في النفس أحوالاً ولهذا يفيد تكريرها ملكات». «تفسير قاضي».

= إنسان، وجه أسد، وجه نسر، وجه ثور. أخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ عن وهب، وأخرجه أبو الشيخ عن أبي مالك أيضاً كذا في «الجبائك» للسيوطي.
(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

أما الحِكْمَةُ في خَلْقِ العرش فقال بعضهم: قبلَةُ دعاء الملائكة، ويرفعون أيديهم إلى العرش وقت الدعاء، وقيل: إنه مرآة الملائكة ينظرون إليه فيرون جميع ما كان في السموات والأرض.

واختلفوا في العرش، قال بعضهم: سَرِيرٌ من نور، وقال [بعضهم]: لا، بل هو من^(١) ياقوتة حمراء.



فصل

[في الكلام على الحفظة من الملائكة]

قالت المعتزلة: ليس علينا ملائكةٌ ولا حَفَظَةٌ، وكلُّ ما يعمل الإنسان فالله تعالى عالمٌ به يغفر لمن يشاء، ويعذِّب من يشاء، وإنما يحتاج إلى الحفظة أن لو كان جاهلاً، ولا يعلم ماذا يعمل عباده، والله تعالى لا يحتاج إلى أن يوكل عليهم ليكتب أعمالهم.

قلنا: إنما يوكل عليهم ليكون حجةً على العبد^(١) يوم القيامة، فإذا أنكر العبد الأفعال يشهد عليه الملكان، وإذا نسي يكون الكتاب حجة عليه.

فإن قيل: بأي شيء يكتبون؟

قيل لهم: قال الضحاك: ينزل كل يوم ملكان، مع كل واحدٍ منهما صحيفة^(٢).

وقال مجاهد: لسانك قلمهما، وريقك مدادهما، ويدك كتابهما.

والأول أصح، لأن الله تعالى قال: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] وهذا يدل على أنه كان كتاباً لهم.

(١) في (ب): عليهم.

(٢) ورد بالنسخة (د) تعليق صورته: «وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا» هي صحيفة عمله أو نفسه المستقشة بآثار أعماله فإن الأعمال الاختيارية تحدث في النفس أحوالاً ولهذا يفيد تكريرها ملكات». «تفسير قاضي».

= إنسان، وجه أسد، وجه نسر، وجه ثور. أخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ عن وهب، وأخرجه أبو الشيخ عن أبي مالك أيضاً كذا في «الحبائك» للسيوطي.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

وحاصل الجواب: أنا نؤمن بما جاء به النص والأخبار، ولا نشتغل بكيفيته، وإن كان ياباه العقل والقياس.

قال أهل السنة والجماعة: الحَفْظَةُ حق، على كل واحد منا اثنان بالليل واثنان بالنهار، ينزل ملكاً النهار، ويذهب ملكاً الليل، وليس كما قال بعض الناس: ينزل كل يوم ملكان غير الذين كانا عليه بالأمس^(١).

يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كُنِينًا﴾ [الانفطار: ١٠-١١] وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠] [٢].

(١) روى البخاري في «صحيحه» (٤: ١١٣)، ومسلم في «صحيحه» (٣: ١١٣) واللفظ هنا للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الملائكة يتعاقبون، ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر، ثم يعرج إليهم الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم - فيقول: كيف تركتم؟ فيقولون: تركناهم يصلون، وأتيناهم يصلون».

(٢) ورد بهامش النسخة (أ) ما صورته: «قد اختلفت الآثار في عدد الحَفْظَةِ، فقال ابن عباس رضي الله عنه: مع كل مؤمن خمس من الحَفْظَةِ واحد عن يمينه يكتب الحسنات، وواحد عن يساره يكتب السيئات، وواحد أمامه يلقيه الخيرات، وواحد وراءه يدفع عن الآفات، وواحد عند ناصيته يكتب ما يُصَلِّي على النبي ﷺ، ويبلغه إلى الرسول».

وفي بعض الأخبار: مع كل مؤمن ملكان، وفي بعضها مع كل مؤمن ستون ملكاً، وفي بعضها: مئة وستون، فصار كالإيمان بالأنبياء عليهم السلام، فإنه ينبغي أن لا يُعَيَّن عدد في إيمانهم للاختلاف، فربما يؤمن بمن ليس بنبي أو لا يؤمن بمن هو نبي لو عَيَّن عددٌ.

وذكر في الكواشي أنه قال ﷺ: «كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين بعشراً، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح ويستغفر».

فصل

[في الكلام على النفخ والبعث والنشور]

قالت المعتزلة: إذا أمر الله تعالى بالنفخة الأولى يُفني السموات والأرض، والجنة والنار، والأرواح، ثم يخلقهم الله يوم القيامة مرة أخرى. واحتجوا بقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

ثم إن الله تعالى كان في الأزل حيث لم يكن معه أحدٌ من خلقه، فكذلك وجب أن لا يبقى في الآخرة شيءٌ حتى لا يبقى ببقائه أحدٌ؛ ليكون له هذا الاسم خاصة. قال أهل السنة والجماعة: الجنة والنار هما دارا الخلد، وهما للثواب والعقاب، فلا يفنيان.

يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] يعني الجنة والنار وأهلها من ملائكة العذاب والخور العين. وقال أهل السنة والجماعة: سبعة لا تفنى: العرش، والكرسي، والقلم، والجنة، والنار، وأهلها، والأرواح^(١).

(١) اعلم أن هناك أشياء نسبت لله تعالى والله تعالى غني عنها ولا يحتاج إليها، بل هي مفتقرة في قيامها ووجودها إليه سبحانه وتعالى، وهي العرش والكرسي واللوح والقلم ومنها: الملك مع إنه قد أضيف لله تعالى في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤] ومع ذلك فإنه يقول في آية أخرى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧] =

فصل

[في الرد على القائلين بفناء الجنة والنار]

قالت الجهمية: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، استمتعوا أهل الجنة بقدر أعمالهم، وأهل النار أذاقهم الله العذاب بقدر أعمالهم وكفرهم، ثم إن الله تعالى يفني الجنة والنار.

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] على ما ذكرنا، وعن النبي ﷺ أنه قال: «سيأتي على جهنم^(١) يوم تصفّق الرياح أبوابها وليس فيها أحد»^(٢). وقال أهل السنة والجماعة: الجنة والنار دارا الخلد، وهما للثواب والعقاب فلا يفنيان على ما ذكرنا، ولأنه لا يجوز منه الظلم والجور.

= ويقول في آية ثالثة: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَنَّكَ الْمَلِكُ تُوَفَّى الْمَلَائِكَةُ﴾ [آل عمران: ٢٦] فمع كون الملك لله إلا إنه غني عنه قد يهبه لمن يشاء تعالى الله عما يصفون. وانظر «أصول الدين» للبيدوي ص ٢٣٠. (١) ورد تعليق بالنسخة (أ): «جهنم: الطبقة الأولى من النار، وهي التي يدخل فيها عصاة أمة محمد عليه السلام».

(٢) أخرجه الإمام البزار في «المسند» (٦: ٤٤٢) موقوفاً على عبد الله بن عمر قال: «يأتي على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد يعني من الموحدين». ويقول الإمام الذهبي في «ميزان الاعتدال» في ترجمة جعفر بن الزبير (١: ٤٠٧) ما حاصله: «ومن مناكير جعفر عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً... ويروي بإسناد مظلم عنه حديثاً منه: «يأتي على جهنم يوم ما فيها أحد من بني آدم تخفق أبوابها».

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١] اشترى أهل الجنة بآيمانهم، والدرجات بأعمالهم، والرؤية بنياتهم.

والكفار اشتروا النار بنياتهم وكفرهم، ورأينا أن من اشترى داراً وسلم الثمن لا يحسن من البائع أن يستردها منه، فإن فعل ذلك يكون منه ظمًا وجورًا، والله سبحانه وتعالى منزّه عن الظلم والجور.

وأما قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

قلنا: نعم، ولكن هو باقٍ لا يابقاء أحد، والخلق باقٍ بإبقاء الله تعالى، فظهرت التفرقة بين الخالق والمخلوق.

وأما معنى الخبر: قلنا: إذا خرج العصاة من النار وذهبوا إلى الجنة تبقي النار صحراء ليس فيها أحد، وهذا هو معنى الخبر^(١).



(١) ورد بالنسخة (ج) تعليق صورته: «وأما ما روي عن النبي عليه السلام أنه قال: «سيأتي على جهنم يوم يصفق فيه الرياح أبوابها وليس فيها أحد» استدل به الجهمية على فناء أهل النار، ففيه أن الحديث - على تقدير صحته - لا يعارض النصوص القاطعة مع أنه مأوّل أن المراد بجهنم طبقة من طبقاتها المختصة بعصاة المؤمنين، فإنهم إذا خرجوا منها وذهبوا إلى الجنة تبقى صحراء ليس فيها أحد». «شرح الفقه الأكبر لعلي قاري».

فصل

[في الكلام على القائلين بأن الرضا والسخط
ليسا من صفات الله تعالى]

قالت المعتزلة: الرضا والسخط ليسا من صفات الله تعالى؛ لأن الله تعالى لا يتغير عليه الأحوال، وكل موضع ذكر [فيه] (١) الرضا والسخط أراد به الجنة والنار.

وقال أهل السنة: الرضا والسخط من صفات الله أزلية بلا كيف وتشبيه، ولا يتغير من حال إلى حال، كسائر الصفات، مثل الإرادة والسمع والبصر والكلام.

فالدليل على أن الرضا غير الجنة قوله تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨] وكذلك قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١] وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَسْكَنَ طَيْبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢] وكذلك في طرف (٢) السخط قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] فصل بين الرضا والجنة، والنار والسخط.

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٢) كذا في جميع النسخ، وفي طبعة الشيخ الفرفور: «طريق».

وسئل الشيخ المفسر نصر بن ضريح الحنثلي (١): إن الله تعالى هل تتغير صفاته؟

فأجاب وقال: هذا السؤال محال، لأن الله تعالى بجميع صفاته واحد، وبجميع صفاته قديم، فلو غير شيء (٢) من صفاته تكون تلك الصفة محدثة مخلوقة، وصفات الله غير مخلوقة، وهذا كما يسألون أن الله تعالى هل يقدر على أن يخلق مثله؟

فالجواب عن هذا: أن السؤال محال؛ لأن الله تعالى قديم، فلو خلق شيئاً يكون ذلك مخلوقاً فكيف يكون مثله والله تعالى ما خلق شيئاً في الأزل، فوجب أن لا يكون غيره مثله (٣).



(١) في ب: الجلي. ولم أهتم إلى ترجمة مفصلة له.

(٢) في (ب): «غير شيئاً» بالبناء للفاعل.

(٣) ورد بهامش النسخة (أ) ما صورته: «وفي نسخة: والله تعالى كان شيئاً في الأزل، فوجب أن لا يكون غيره مثله».

فصل

وفي سؤال الجهمية: إنَّ الله تعالى هل يعلم عدد أنفاس أهل الجنة والنار أم لا؟ فإن قلت: لا، فقد وصفت الله تعالى بالجهل. وإن قلت: نعم، فقد قلت بأن أهل الجنة والنار يفنيان.

والجواب عنه أن نقول: إن الله تعالى يعلم أن أنفاس أهل الجنة والنار وليست بمعدودة ولا تنقطع^(١).

فإن قيل: إذا قلتم بأن أهل الجنة والنار لا يفنيان، فقد سوَّيتم بينهم وبين الله تعالى. قلنا: لا يكون تسوية بينهم وبين الله تعالى، لأنَّ الله تعالى أوَّل قديم بلا ابتداء، وآخر حكيم بلا انتهاء، وأهل الجنة محدثون، وإنما يبقون ولا يفنون بإبقاء الله تعالى إياهم، والله تعالى باقٍ لا يبايضاء أحد، فلا يكون تسوية بين الخالق والمخلوق.



(١) في (هـ): منقطعة.

فصل

[في ذكر أول من قال بالاعتزال]

قال الشيخ الإمام الأجل رحمه الله: [من] (١) أول من [ذهب و] (٢) تكلم في مذهب الاعتزال رجل يقال له واصل بن عطاء، وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري. فلما كان في زمن هارون الرشيد خرج أبو هذيل العلاف، وصنَّف لهم كتاباً (٣) وبيَّن مذهبهم وجمع علومهم، وسمَّى ذلك [الكتاب] (٤) الأصول الخمسة، وكلما رأوا رجلاً قالوا له [خفية] (٥): هل قرأت الأصول الخمسة؟ فإن قال: نعم، عرفوا أنه على مذهبهم. والأصول الخمسة: العدل، والتوحيد، والوعد والوعيد، ومسألة البين البين (٦).

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٣) في (أ): كتابين، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٦) لم يذكر المؤلف رحمه الله تعالى الأصل الخامس من أصول المعتزلة وهو: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ويرى المعتزلة أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية، إذا قام به بعض الناس سقط عن الباقي، ويجعلون الأمر بالمعروف على قسمين: الأول: ما يجب على الإمام مثل: حماية الثغور، وإقامة الحدود، وتدريب الجيوش، والثاني: ما يقوم به أفراد المسلمين. انظر «الأصول الخمسة» للقاضي عبد الجبار ص ١٤١ وما بعدها.

أما العدل: قالوا بأن الله تعالى لا يخلق الشر، ولا يقضي به؛ لأنه لو خلق الشر وقضى به ثم يعذبهم على ذلك يكون ذلك منه جوراً، والله تعالى عادل لا يجور.

وأما الثاني^(١): قالوا بأن القرآن مخلوق وكذا سائر صفاته؛ لأننا لو قلنا بأنه غير مخلوق لا يكون توحيداً.

وأما الثالث^(٢): قالوا بأن الله تعالى إذا وعد عباده ثواباً لا يجوز أن يخالف وعده؛ لأن الله تعالى لا يخلف الميعاد.

[والرابع: ^(٣)] وإذا أوعده وعيداً لا يجوز أن لا يعذبهم ويخالف وعيده؛ لأن الخلف في كلام الله تعالى لا يجوز.

وقال أهل السنة والجماعة: إن الله تعالى إذا أوعده وعيداً يجوز أن لا يعذبهم، ولكنه يعفو ويغفر لهم ولا يعاقبهم.

واحتجت المعتزلة بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عِدْوَانًا وُطْلَمًا فَسَوْفَ نَصْلِيهِ نَارًا﴾ [النساء: ٣٠].

والجواب عنه قلنا: ما ذكر الله تعالى من الوعيد صار مستثنى بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقولهم: «يكون خُلُفاً في الوعيد».

(١) يعني: الأصل الثاني وهو التوحيد.

(٢) يعني: الأصل الثالث وهو الوعد والوعيد، وقد فرّق المؤلف بين الوعد والوعيد فاعتبر الوعد أصلاً بمفرده، والوعيد أصلاً آخر بمفرده. والمعروف أن الوعيد والوعيد أصل واحد.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

قلنا: لا يكون ذلك خُلُفاً في الوعيد، بل يعفو^(١) عنه كرماء وفضلاً، بخلاف ما إذا وعد الثواب حيث لا يجوز أن يخلف وعده؛ لأن ذلك حق العبد؛ فلو جاز ذلك يكون لؤماً ولا يُعدُّ كرماء، وهذا لا يُظن بالله عز وجل.

والجواب عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾: أي جزاءه^(٢).

يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨] فسماه مؤمناً بعد قتل العمد، على أننا نقول: أراد به إذا استحل قتل المؤمنين.

[وقد روي أن الآية نزلت في حق مقيس بن صبابه^(٣) الكناني، حين قتل مسلماً من بني فهر بعدما قُتل أخوه هشام بن صبابه وارتدَّ ولحق بدار الحرب، والدليل على ارتداده قوله في شعره:

قتلتُ بني فهر، وجملتُ عقله
سراة بني النجار أرباب قارِع
شفيتُ به نفسي وأدركتُ مُنيّتي
وكنْتُ إلى الأوثانِ أوَّل راجِع

ومن قتل مؤمناً متعمداً واستحل قتله كما استحل مقيس بن صبابه يكون كافراً ويخلد في النار مع سائر الكفار^(٤).

(١) في (ج) و (د) و (هـ): يُعَدُّ ذلك منه.

(٢) في (ج) و (د) و (هـ): إن جازاه.

(٣) في (ج) و (د) و (هـ): صبابه.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

قلت: ومقيس بن صبابه، أحد النفر الذين أمر النبي ﷺ بقتله يوم الفتح، وقد ذكر الإمام =

وأما مسألة البين بين: قالوا بأن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر عندهم، بل يكون له منزلة بين المنزلتين، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨] فصل بين المؤمن والفاسق، فثبت أنه ليس من هذا ولا من ذلك.

والجواب عن قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨]: هذه الآية نزلت في حق وليد بن عتبة المنافق لعنه الله حين قال لعلي رضي الله عنه: «إن كان لك لسان وقوة ومنظرٌ فلي أيضًا لسان وقوة ومنظرٌ، فقال له علي رضي الله عنه: اسكت فإنك كافر» فأنزل الله تعالى هذه الآية موافقاً لقول علي رضي الله عنه.



= ابن الأثير في «أسد الغابة» (٥: ٣٤١) في ترجمة ثُميلة بن عبد الله ما صورته: «قال ابن إسحاق: ثُميلة بن عبد الله، قتل مقيس بن صبابه يوم الفتح، وكان من قومه، وكان النبي ﷺ أمر بقتله، وإنما أمر بقتله؛ لأن أخاه هشام بن صبابه كان مسلماً، فقتله رجلٌ من الأنصار في الحرب خطأ، ظنه كافراً، فقَدِمَ مقيسٌ يطلب بدم أخيه، فقال رسول الله ﷺ: قُتِلَ أَخُوكَ خطأً، وأمر له بديته فأخذها، ومكث مع المسلمين شيئاً ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ولحق بمكة كافراً، فأمر النبي ﷺ بقتله».

فصل

[في إثبات الشفاعة]

تفرقت المعتزلة في الشفاعة، منهم من أنكر الشفاعة أصلاً ورأساً، ومنهم من أثبت الشفاعة لثلاث فِرَقٍ، منهم: من اجتنب الكبائر، وارتكب الصغائر، فيحتاج إلى مغفرة الصغائر بشفاعة الأنبياء والملائكة صلوات الله عليهم.

ومنهم: من ارتكب الكبائر، ثم تاب عن ذلك، فيحتاج إلى قبول توبتهم بشفاعة الأنبياء والملائكة حتى يقبل الله تعالى توبتهم بشفاعتهم.

ومنهم: من اجتنب الكبائر والصغائر، فيحتاج إلى زيادة الدرجات على أعمالهم بشفاعة الأنبياء والملائكة، ولا شفاعة لغير هؤلاء.

والجواب عن الفصل الأول^(١): هذا على مذهبهم لا يصح؛ لأن عندهم أن من اجتنب الكبائر فواجب على الله تعالى أن يغفر ذنوبهم البتة بقوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] فلا يحتاج إلى الشفاعة.

وأما الثاني: قالوا: إن من ارتكب الكبيرة ثم تاب، فيحتاج إلى قبول توبته بشفاعة الأنبياء والملائكة.

(١) أي النوع الأول ممن له شفاعة، وليس كما في المطبوعة.

قلنا: هذا أيضاً على مذهبهم لا يصح، [لأن عندهم] ^(١) كل من ارتكب كبيرة ثم تاب فواجب على الله تعالى قبول توبته لا محالة، فإذا وجب على الله تعالى قبول توبته فلا يحتاج إلى شفاعته.

وقال أهل السنة والجماعة: الشفاعة حق، يدل عليه [قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾] ولا عزة ^(٢)، ومن رحمة الله وفضله أن يأذن بالشفاعة إلى الأنبياء والأولياء تكرماً لهم وتشهيراً لقدرهم عند الله وكذا ^(٣) قول النبي عليه السلام: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» ^(٤).

فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] ومرتكب الكبيرة ظالم قال الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

والجواب: قلنا: أراد به الكافر والمشرک، قال الله تعالى خبراً عنهم: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١] والشرك هو الظلم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

فإن قيل: روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا ينال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي» ^(٥).

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٢) كذا وردت في جميع النسخ، وفي (ب): ولا عز.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(و).

(٤) أخرجه أبو داود في «سننه» (٥: ٢٤٤)، والترمذي في «سننه» (٤: ٢٣١)، وأحمد في «المسند» (٣: ٢١٣) كلهم من حديث أنس بن مالك.

(٥) يقول الإمام الباقلاني في كتابه «الإنصاف فيما يجوز اعتقاده ولا يجوز الجهل به» ص ١٦٤ تعليقاً على هذا الحديث: «فإن قالوا: هذه الأخبار تعارض بمثلها، فإنه قد روى الحسن البصري وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي» فالجواب من وجهين: =

قلنا: قد ذكرنا قوله عليه السلام: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» فلو صح ذلك الخبر أراد به إذا استحل ذلك.

فإن قيل: أنتم أثبتتم الشفاعة للمؤمنين، ومرتكب الكبيرة خرج عن الإيمان؛ بقول النبي عليه السلام: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» ^(١).

= أحدهما: أن هذا عن الحسن لم يصح، ولم يرد في خبر صحيح ولا سقيم، وإنما هو اختلاق وكذب، ولا يعارض الآثار الصحاح المتفق على صحتها، ثم لو جاز أن يكون قد روي، فلم يسقط الصحيح المجمع على صحته، بالضعيف السقيم الذي لا أصل له، مع إمكان الجمع بين الكل واستعمال الجميع، فتحمل صحاح الأخبار على ما قلنا، ويحمل هذا الخبر على أنه أراد به الكبائر التي تخرج من الإسلام، نحو الكفر بعد الإيمان، أو استحلال ما حرم الله، أو تكذيب بعض الرسل أو بعض الكتب، ويصير هذا كما قلنا: إنا نجمع بين كل ما ذكر في القرآن، وإن كان ظاهره يناقض بعضها بعضاً عند الجهال مثلكم...، فإن قيل: هذا لا يصح مع قوله عليه السلام: «لا ينال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي» والكافر بما ذكر به ثم ليس من أمتي، قلنا: بل يصح ذلك من وجهين: أحدهما: أنه أراد بذلك من كان من أمتي ثم ارتد، أو نحو ذلك.

فقد يجوز أن يُسمى الشيء بما كان عليه أولاً، وإن كان في الحال لا يسمى به، ألا ترى إلى ما قال ﷺ في النبيذ: «ثمرة طيبة، وماء طهور» يعني كان ثمرة طيبة وماء طهوراً، لا يريد أنه في الحال ثمرة، وكذلك أمر ﷺ بلالاً: «ارجع فناد، ألا إن العبد نام» ولم يرو أنه الآن عبد، بل أراد أنه كان عبداً، لأن الصديق أعتق بلالاً قبل ذلك، يقال لعقيق الرجل: عبد بني فلان، أي كان عبداً لهم، ونحو ذلك كثير.

ويحتمل أن يكون ساءهم من أمتي، لأنهم كانوا في عصره ووقته وقرنه، وكل قرن يُسمى أمة، ويكون ذلك فيمن كان آمن به في وقته ثم ارتد، فمن ذكر من أهل الردة، أو كان في وقته ولم يؤمن، وسماه من أمتي لأنه في قرنه وعصره. فصح ما قلناه وبطل تعلقهم بما لا أصل له. انتهى بتصرف يسير.

(١) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (٨: ١٥٧)، ومسلم في «صحيحه» (١: ٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قلنا: أراد به أنه إذا استحلَّ ذلك، لما رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال لأبي ذر رضي الله عنه: «نادِ في الناس، مَنْ قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق»^(١).

* * *

فصل

[في إثبات الميزان والحساب والصراط والحوض والشفاعة]

قالت المعتزلة: لا ميزان ولا حساب، ولا صراط، ولا حوض، ولا شفاعة، والميزان يحتاج إليه العاميُّ والبقالون، وكل موضع ذكر الله تعالى الميزان والحساب أراد به العدل، لأن الميزان إنما يحتاج إلى معرفة قدر الحسنات والسيئات، والله تعالى عالمٌ بذلك كله، فمن كانت حسناته أكثر يؤمر به إلى الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر يبعث به إلى النار، ومن كان من أهل الجنة لا يوقف في القيامة ولا يحتاج إلى الشفاعة.

وقال أهل السنة والجماعة: كلُّ ذلك حقٌّ، والحوض في القيامة حقٌّ، والكوتر في الجنة حقٌّ، والصراط حقٌّ.

يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «الميزان له كفتان إحداهما بالشرق والآخر بالمغرب».

فإن قيل: أيُّس الحكمة في الميزان، ولماذا تُوزن الحسنات والسيئات، والله تعالى عالمٌ بذلك؟

قلنا: نعم، إن الله تعالى عالمٌ بذلك، ولكن العبد لا يعلم به، وإنما تُوزن الحسنات والسيئات حتى يعلم أنه من أهل الجنة أو النار.

(١) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (٨: ٩٥)، ومسلم في «صحيحه» (٧: ٤٥).

فإن قيل: قراءة الكتب أسبق أم الميزان أسبق؟

قلنا: ليس فيه نص، لكن استنبط العلماء على طريق الاستدلال أن قراءة الكتب أسبق، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢] وهذا يدل على أن لا يبقى عمل بعد الميزان.

فإن قيل: أين الحساب والميزان؟

قلنا: الميزان والحساب على الصراط، فتوزن حسنات كل واحد وسيئاته، فمن ثقلت موازينه يمضي إلى الجنة، ومن كان من أهل الشقاوة يسقط في النار، لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أمتي [من] يسقط في النار كالطير»^(٢).

وفي الخبر: «يوقف العبد على الصراط سبع مواقف، الموقف الأول: يُسأل عن الإيمان، والموقف الثاني: يُسأل عن الوضوء والاغتسال، والموقف الثالث: يُسأل عن الصلاة، والرابع: يُسأل عن الصوم، والخامس: يُسأل عن الحج، والسادس: يُسأل عن الزكاة، والموقف السابع: يُسأل عن برِّ الوالدَيْن»^(٣).

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٢) لم أجد النص الذي ذكره المؤلف رحمه الله تعالى، وأحاديث الصراط كثيرة ومشهورة أذكر منها ما رواه الإمام البخاري في «صحيحه» (٨: ١١٧) وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «... ويضرب جسر جهنم، قال رسول الله ﷺ: فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وبه كالليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ثم ينجو...» إلى آخر الحديث.

(٣) أخرج الإمام الطبراني في «المعجم الكبير» (٨: ١١٩) بسنده إلى سليمان بن حبيب المحاربي قال: «خرجت غازياً، فلما مررت بحمص، خرجت إلى السوق لأشتري ما لا غنى للمسافر عنه، فلما =

فإن قيل: ذكر الموازين^(١) بلفظ الجمع كيف يكون هذا؟

قلنا: لكل إنسان ميزان على حدة، فتوزن حسناته وسيئاته. [ولأن الجمع يذكر ويراد به الواحد كما في قصة زكريا ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩] والمراد من الملائكة جبريل عليه السلام، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] والمراد به محمداً ﷺ وحده]^(٢).

فإن قيل: كيف يُوزن؟

قلنا: قال بعضهم: يُوزن العبد مع عمله، لما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه صعد شجرة، وكان صغير الساقين، فتبسم أصحاب النبي عليه السلام، فقال النبي

= نظرت إلى باب المسجد، قلت: لو أني دخلت فركعت ركعتين، فلما دخلت نظرت إلى ثابت بن معبد، وابن أبي زكريا، ومكحول في نفر من أهل دمشق، فلما رأيتهم أتيتهم فجلست إليهم، فتحدثوا شيئاً، ثم قالوا: إنا نريد أبا أمامة الباهلي، فقاموا وقمت معهم، فدخلنا عليه، فإذا شيخ قد رقق وكبر، وإذا عقله ومنطقه أفضل مما نرى من منظره، وكان أول ما حدثنا أن قال: إن مجلسكم هذا من بلاغ الله، إياكم وحجته عليكم، إن رسول الله ﷺ بلغ ما أُرسل به، وإن أصحابه قد بلغوا ما سمعوا، فبلغوا ما تسمعون: ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل: رجل خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يدخله الجنة، أو بما نال من أجر أو غنيمة، ورجل دخل بيته بسلام، ثم قال: إن في جهنم جسراً له سبع قناطر على أوسطهن القضاء... إلى آخر الحديث.

وأخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥: ١٣١) في ترجمة الإمام الواعظ أيفع بن عبد الكلاعي، بسنده إليه قال: «سمعت أيفع بن عبد الكلاعي وهو يعظ الناس، قال: إن لجهنم سبع قناطر، فالصراط عليها... إلى آخر كلامه رضي الله عنه».

(١) في (ج) و(د) و(هـ): الميزان.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ وَإِنِّهَا لِأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ»^(١) فثبت أَنَّ الْعَبْدَ يُوزَنُ مَعَ عَمَلِهِ.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «تُكْتَبُ الْحَسَنَاتُ فِي صَحِيفَةٍ وَتَوْضَعُ فِي كِفَّةٍ، وَتُكْتَبُ السَّيِّئَاتُ فِي صَحِيفَةٍ، وَتَوْضَعُ فِي كِفَّةٍ أُخْرَى [وَتُوزَنُ]^(٢)».

وقال محمد بن علي الترمذي رحمه الله: «يُوزَنُ الْعَمَلُ مِنْ غَيْرِ الرَّجُلِ، فَيَرَى ذَلِكَ كَالنُّورِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَهَذَا لِلْمُسْلِمِ. أَمَّا عَمَلُ الْكَافِرِ كَظُلْمَةِ اللَّيْلِ، ثُمَّ إِنْ الْعَمَلُ وَإِنْ كَانَ عَرَضًا، فَاللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَصِيرَهُ بِحَالٍ يُمَكِّنُ أَنْ يُوزَنَ وَيُرَى».

وقال الشيخ الإمام المفسر رحمه الله: «إِنْ إِيْمَانُ الْعَبْدِ لَا يُوزَنُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ ضِدٌّ يُوضَعُ فِي كِفَّةٍ أُخْرَى؛ لِأَنَّ ضِدَّهُ الْكُفْرَ، وَالْإِنْسَانَ الْوَاحِدَ لَا يَكُونُ فِيهِ الْإِيْمَانُ وَالْكَفْرُ فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ».



(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» برقم ٧٠٩٨، وأحمد في «المسند» (١: ٤٢٠). بلفظ: «ما يضحكم من دِقَّةِ سَاقِيهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لِأَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ».

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

فصل

[في إثبات أن الجنة والنار مخلوقتان الآن]

قال بعض المعتزلة والجهمية: إن الله تعالى لم يخلق الجنة والنار بعد؛ لأنه لا يحسن من حكمة الحكيم أن يخلق دار النعمة قبل أن يخلق أهلها، ويخلق السَّجْنَ والحبس قبل أن يخلق أهلها؛ لأنها لو كانتا مخلوقتين لكانتا تفنيان بفناء السموات والأرض، لأنها كانتا في السماء والأرض وتفننى السموات والأرض، فكذلك الجنة والنار.

وقال أهل السنة والجماعة: إن الله تعالى خلق الجنة والنار، ولا تفنيان أبدًا لأنها ثَوَابٌ وَعِقَابٌ، وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ لَا يَفْنِيَانِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْتَشْنَاهُمَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنْظَرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] يعني الجنة والنار وأهلها من ملائكة العذاب والخور العين.

يدل عليه أن الإنسان إذا خلق ثوابه يكون أحرص على العبادة، وإذا خلق عقوبته يكون أخوف وأكثر امتناعاً عن المعاصي.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] فلو كانتا غير مخلوقتين، لكان ذلك منه كذباً، والله تعالى منزّه عن ذلك، ويدل عليه أن الله تعالى خلق الجنة فوق سبع سموات

لا في السموات فلا يقال بأنها يفنيان بفناء السموات والأرض، وكيف يقال بأنها في السموات وهي ألف ألف مرة مثل السموات.

قال الله تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٤-١٥] والسدرة فوق السماء السابعة، وكذلك جهنم تحت الأرض السابعة.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧] ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] والسجّين تحت الأرضين السبع، وأرواح الكفار يُذهب بها إلى سِجِّين، وأرواح المؤمنين والشهداء يُذهب بها إلى عليين.

والدليل على أن الجنة والنار خلقتا للجزاء ما رُوِيَ عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «رأيت ليلة المعراج في الجنة كذا وفي النار كذا»^(١) الحديث إلى آخره.

* * *

فصل

[في إثبات عذاب القبر]

قالت المعتزلة والنجارية والجهمية: عذاب القبر وسؤال منكر ونكير لا يقبله العقل والقياس، لأنه لو عذبه لا يخلو إما أن يُعذَّب اللَّحْمُ بغير الروح، أو يدخل فيه الروح ثم يعذبه، وباطل أن يُعذَّب اللَّحْمُ بغير الروح؛ لأن اللَّحْمَ بغير الروح لا يتألم، وباطل أن تدخل فيه الروح ثم يعذبه، لأنه لو دخل فيه الروح يحتاج إلى الموت.

ثانياً: وهذا لا يجوز؛ لأن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] أخبر أنهم لا يذوقون فيها الموت إلا مرة واحدة، فإذا بطل القسمان تعيّن القسم الثالث وهو أن لا يعذَّب في القبر.

وقال أهل السنة والجماعة: عذاب القبر حق، وسؤال منكر ونكير حق، وضيق^(١) القبر سواء كان مؤمناً أو كافراً أو مطيعاً أو فاسقاً، لكن إذا كان كافراً فعذابه يدوم في القبر إلى يوم القيامة، ويرفع عنهم العذاب يوم الجمعة، وشهر رمضان بحرمة النبي ﷺ، لأنهم ما داموا في الأحياء لا يعذبهم الله تعالى في الدنيا بحرمة النبي ﷺ، فكذلك في القبر يرفع عنهم العذاب يوم الجمعة وكل رمضان بحرمة الله فيعذب اللحم متصلاً بالروح، والروح متصلاً بالجسد، فيتألم الروح مع الجسد وإن كان خارجاً منه.

ثم المؤمن على وجهين، إن كان مطيعاً لا يكون له عذاب القبر، ويكون له ضغطته

(١) المثبت من (أ)، وفي سائر النسخ: ضغطة.

(١) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» برقم ٣٢٠٧، ومسلم في «صحيحه» برقم ١٦٤، والترمذي في «سننه» برقم ٣٣٤٦، وهو عند ابن حبان في «صحيحه» برقم ٤٨.

فيجد هَوَلٌ ذَلِكَ وَخَوْفَهُ؛ لما أنه كان تنعم بنعمة الله تعالى ولم يشكر النعمة، وإن كان عاصياً يكون له عذاب القبر وضغطة القبر، لكن ينقطع عنه عذاب القبر يوم الجمعة وليلته ثم لا يعود العذاب إلى يوم القيامة، وإن مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة يكون له العذاب ساعة واحدة وضغطة القبر ثم ينقطع عنه العذاب ولا يعود إلى يوم القيامة، ويكون الروح متصلاً بالجسد، وكذلك إذا صار تراباً يكون روحه متصلاً بترابه فيتألم الروح والتراب معاً.

يدل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال لعائشة رضي الله عنها: «كيف حالك عند ضيق القبر وسؤال منكر ونكير؟» ثم قال: يا حميراء، إن وضغطة القبر للمؤمن كغمز الأمل رجل ولدها بيدها، وسؤال منكر ونكير للمؤمن كالإثم للعين إذا رمدت^(١).

وكذلك روي عن النبي ﷺ أنه قال لعمر رضي الله عنه: «كيف حالك إذا أتاك فتانا القبر؟ فقال عمر رضي الله عنه: أنا أكون في مثل هذه الحالة ويكون معي عقلي؟ قال: نعم، فقال عمر رضي الله عنه: إذا لا أبالي^(٢).

والدليل على أن عذاب القبر مما يقبله العقل، ألا ترى أن النائم تخرج روحه ويكون روحه متصلاً حتى أنه يتألم في المنام، ويتوصل إليه الألم أو الاستراحة، وقد يتكلم في المنام؛ لأن روحه متصل بجسده، وعن النبي ﷺ أنه قيل له: «كيف يوجع اللحم في القبر ولم يكن فيه الروح؟ فقال ﷺ: «كما يوجع سنك وإن لم يكن فيه الروح»^(٣).

ألا ترى أن النبي ﷺ أخبر أن السن قد يوجع لما أنه متصل باللحم وإن لم يكن فيه

(١) لم أجده فيما بين يدي من كتب السنة، ولكنني وقفت على هذا الأثر في كتاب «بريقة محمودية في شرح الطريقة المحمودية» للشيخ أبي سعيد الخادمي المتوفى ١١٦٨ رحمه الله تعالى، ولم أعرف له سنداً ولا تخريجاً.

(٢) أورده البيهقي في «إثبات عذاب القبر» برقم ١٠٣.

(٣) لم أجده فيما بين يدي من مصادر.

الروح، فكذاك بعد الموت لما كان روحه متصلاً بجسده فيتوجع الجسد.

والدليل على أن عذاب القبر حق قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١] فقله: ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ أراد به عذاباً في الدنيا وعذاباً في القبر، ولا جائز أن يقال أراد به عذاباً في الدنيا وعذاباً في الآخرة، لأنه ذكر في الآية قوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ يعني عذاباً في القيامة وقوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦].

وحكي أن أبا حنيفة رحمه الله سأله ابنه حماد عن عذاب القبر فقال: «إنه حق، قال: بأي دليل تقول، فقال بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الطور: ٤٧] يعني عذاباً دون عذاب جهنم، وأراد به عذاب القبر.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «عذاب القبر ثلاثة أجزاء: ثلث من الغيبة، وثلث من النسيمة، وثلث من البول»^(١) [فقال عليه السلام: «استترهوا من البول، فإن عامة عذاب القبر منه»^(٢) وعن النبي عليه السلام: «القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران»^(٣) وروضة الجنة لا تخلو عن اللذات والراحة، وحفرة النيران لا تخلو عن المحنة والمشقة^(٤) فثبت بهذه الدلائل أن عذاب القبر حق، وهو للمسلم من الجائزات، وللكافرين من الواجبات والله الهادي.

(١) لم أجده، وورد بهامش النسخة (أ): «وقد جاء في الحديث عن النبي عليه السلام أنه قال: «استترهوا من البول، فإن عامة عذاب القبر منه».

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (١: ٢٨٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وأخرجه الدارقطني في «السنن» وقال بعده: المحفوظ المرسل منه.

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» (٤: ٢٤٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢: ٢٠).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

فصل

[في الكلام على الأرواح وبقائها ومكانها بعد الموت]

ثم الأرواح علي أربعة أوجه^(١):

أرواح الأنبياء: تخرج من جسدها وتصير صورتها مثل المسك والكافور، وتكون في الجنة وتأكل وتتنعم، وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش.

وأما أرواح الشهداء: تخرج من جسدها وتكون في أجواف طيور خضر في الجنة تأكل وتتنعم. يدل عليه قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠] وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش^(٢).

وأما أرواح المطيعين من المؤمنين: في رياض الجنة لا تأكل ولا تستمتع، ولكن تنظر في الجنة.

وأما أرواح العصاة من المؤمنين: فتكون بين السماء والأرض في الهواء.

وأما أرواح الكفار: ففي أجواف طيور سود في سجين وسجين تحت الأرض

(١) ورد بهامش النسخة (أ): «أقول: الظاهر أن يقول في خمسة أوجه، محرر».

(٢) وفي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (٣٨: ٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أرواحهم - أي الشهداء - في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تشرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل....» الحديث.

السابعة، وهي متصلة بأجسادها فيعذب أرواحها فيتألم ذلك الجسد كالشمس في السماء ونورها في الأرض^(١).

وأما أرواح المؤمنين في عليين ونورها متصل بالجسد، ويجوز مثل ذلك، ألا ترى أن الشمس في السماء ونورها في الأرض، وكذلك النائم تخرج روحه ومع ذلك يتألم إذا كان به ألم، وتصيبه راحة حتى يسمع منه الضحك في المنام. يدل عليه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢] [ولا يدري راحة النائم وألمه سواء ما لم يتنبه ويخبر عما رآه، وكذلك الميت لا يعلم عذابه وراحته في القبر إلا هو والله تعالى حتى يبعث يوم القيامة، ويخبر عما رآه في القبر، ومن هذا المعنى قيل: النوم أخو الموت]^(٢).

(١) راجع ما ذكره الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه «شرح الصدور بشرح أحوال الموتى والقبور» في باب مقر الأرواح ص ٤٢٣ حول مسألة مستقر أرواح المؤمنين والعصاة والمشركون، فقد بينها أتم بيان رضي الله عنه.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ). وورد تعليق في النسخة (و) صورته: «لأن للإنسان أنفوس: النفس الحيوانية: قالوا: هي الروح تفارق البدن بالموت، ونفس التمييز: تفارق البدن بالنوم وتبقى النفس الحيوانية. عن ابن عباس رضي الله عنه: فيقبض تعالى جميع الأنفس التمييزية والحيوانية حين وقت موتها لانقضاء أجلها، ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ﴾ أي والأنفس التي لم يحكم عليها بالموت يقبض نفسها التمييزية ﴿فِي مَنَامِهَا﴾ أي وقت نومها بأن تخرج عن جسدها وتبقى فيه الحيوانية، لأن النفس والحركة بها تكون، والنائم يتنفس ويتحرك بها ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ فلا يردها إلى جسدها ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾ يرد النفس التي لم يحكم عليها بالموت إلى جسدها وبعضهم يقول: الإنسان نفس واحدة وهي الروح.

عن علي رضي الله عنه: «إن الروح يخرج عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك يرى الرؤيا =

فصل

[في بيان حرمة دماء أهل القبلة]

قالت المعتزلة والخوارج: دماء أهل القبلة تحل^(١) بإحدى معانٍ أربعة:

أحدها: إذا ارتكب الكبيرة.

والثاني: إذا أحدث بدعة.

والثالث: إذا سلَّ سيفًا علي السلطان.

والرابع: إذا عطّل فريضة أي إذا تركها، أما إذا استحل تركها فيحل دمه بالإجماع.

وقال أهل السنة والجماعة: دماء أهل القبلة لا تحل إلا بإحدى معانٍ ثلاثة بالحديث، وهو ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يحل دمُ امرئٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاث معان: كفرٌ بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس بغير حق»^(٢).

وأما إذا خرج باغيًا على السلطان يجوز قتاله ما دام يقاتله، فإذا ترك يُترك لقوله

= فإذا انتبه عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة المعنى يتوفى الانفس التي حكم بموتها وقت الموت ويتوفى الأنفس التي لم يحكم بموتها وقت النوم، شبه النائم بالميت لعدم تمييزه. تلخيصه: يقبض جميع النفوس الميتة والنائمة فيرد النائمة إلى جسدها دون غيرها.

(١) في (ب): تحل دماء أهل القبلة.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (١٠٦: ٥)، والنسائي في «سننه» (٩٠: ٤)، وابن حبان في «صحيحه» برقم ٤٤٠٨ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

تعالى: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَنَوْا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ الآية^(١) [الحجرات: ٩].

وكذلك إذا وُجد منه الفساد في الأرض مثل اللصوص وقُطّاع الطريق بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ الآية [المائدة: ٣٣].

فنقول: دماء أهل القبلة لا تحل إلا بما ذكرنا، أو أن يوجد منه الفساد في الأرض، بأن كان خناقًا [غير مرة]^(٢) أو قصد مال غيره أو نفسه، أو كان مبتدعًا إمامًا في ذلك يدعو الناس إلى البدعة، ويتولد منه الفساد.



(١) ورد بالنسخة (و): «فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى بأن كانت الباغية مبطلّة والأخرى محقة فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله المذكور في كتابه من الصلح فإذا قوتلت الباغية فلا يجهز على جريحها ولا يقتل أسيرها ولا يطلبها ربه ولا يقسم فيئها فإن فاءت عن البغي فأصلحوا بينهما بالعدل والإنصاف.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ) و(ب).

فصل

[في الإمامة] (١)

قال أهل السنة والجماعة: الإمامة ليست بمنصوبة لعلي رضي الله عنه ولا لأولاده.

وقالت الرافضة: الإمامة منصوبة لعلي رضي الله عنه [وأولاده] (٢)، والنبي عليه السلام أوصى إليه فكان هو وصي رسول الله ﷺ.

وقال أهل السنة والجماعة: كان وصيًا في شيء مخصوص وهو قضاء ديونه، والوصي في شيء مخصوص لا يكون وصيًا في الأشياء كلها، وإنما يكون وصيًا في الأشياء كلها أن لو كان وصيًا مطلقًا، وعلي رضي الله عنه ما كان وصيًا مطلقًا.

قالت المعتزلة: الوصية فرض على كل من مات.

وعندنا إذا أصلح أموره، وقضى ديونه فالوصية ليست بفرض، وهو بالخيار إن شاء أوصى وإن شاء لم يوص، وإن لم يصلح أموره ولم يقض ديونه فالوصية فرض.

والدليل على أن الإمامة ليست بمنصوبة لعلي رضي الله عنه ولا الحسن ولا الحسين؛ لأنها لو كانت منصوبة لنقلها الصحابة إلى التابعين، والتابعون إلى الصالحين، والصالحون إلينا، ولا يُظنُّ بالصحابة أنهم قصروا في ذلك أن لو كان.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

ألا ترى أنهم نقلوا إلينا أحكام الاستنجاء، [مع إنه بالماء غير واجب] (١) وغيره من الشرائع، فهذا الذي تتعلق به أحكام الدين أولى أن لا يُقصر فيه.

ويدل عليه قوله عليه السلام لما توفي اجتمعت الصحابة رضي الله عنهم في سقيفة بني ساعدة وقالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «من مات ولم ير علي نفسه إمامًا مات ميتة الجاهلية» (٢).

فلا يجب (٣) أن يمضي علينا يوم، ولم نر علي أنفسنا إمامًا وهو الخليفة، لأن كل من كان لا يرى الإمام حقًا فإنه يكفر، لأن من الأحكام ما يتعلق بجوازه بالإمام، نحو الجمعة والعيدين ونكاح الأيتام، وكل من أنكر الإمام فقد أنكر الفرائض، ومن أنكر الفرائض فإنه يكفر.

فقام واحد من الأنصار فقال: «منا أمير ومنكم أمير» فقام أبو بكر رضي الله عنه وقال: «إني ظننت أن عليًا يصلح لذلك فأردت أن أبيعه»؛ فقام علي رضي الله عنه وسل سيفه وقال: «قم يا خليفة رسول الله، قدّمك النبي ﷺ فمن الذي يؤخرك؟ كنت عند رسول الله ولم يأمرني، فقال: «مرّ أبا بكر بأن يصلي بالناس» (٤) رضينا لأمر ديننا ما رضي رسول الله ﷺ لأمر ديننا» (٥).

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٩: ٤٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه مسلم في «صحيحه» (٦: ١٩)، والنسائي في «سننه» (٤: ١٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (ج) و(د) و(هـ): يجوز.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (١: ١٣٣)، والإمام مسلم في «صحيحه» (٢: ٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) لم يعرف أن عليًا عليه السلام كان ممن حضروا السقيفة، بل كان مشغولاً بجهاز رسول الله ﷺ، والمعروف أن قائل هذه العبارة هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وإنما سمّاه خليفة رسول الله؛ لأن النبي ﷺ استخلفه بأن يصلي بالناس في آخر عمره، فصلّى بالناس في رواية: سبعة أيام، وفي رواية: ثلاثة أيام، فبايعوه على ذلك جميعاً، وانعقدت البيعة، واشتغلوا بدفن رسول الله ﷺ.

فلما فرغوا من دفنه قام أبو بكر رضي الله عنه خطيباً وقال: «وليتكم وليتكم ولست بخيركم، أقيلوني أقيلوني، فقام علي رضي الله عنه وقال: نُقِيلُكَ [ونستعينك]»^(١) ولا نستقيلك، قدّمك النبي ﷺ فمن ذا الذي يؤخرك».

فوجدوه يوماً يبيع قميصاً لامرأته في السوق ليشتري به طعاماً، فقالوا: نجعل لك أجراً من بيت المال، فجعلوا له كل يوم درهمين، فقال لهم: إني رجلٌ ضعيفٌ لا أستطيع عمل درهمين فيكون حراماً، فجعلوا له كل يوم درهماً ودانقين، وكان يأخذه ويجعله في كوز، ويبيع متاع البيت سرّاً وينفق.

فلما كان اليوم الذي تُوفي فيه دعا بالكوز وصَبَّ ما فيه من الدراهم، وقال لابنته عائشة رضي الله عنها: «رُدِّيها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه» وأوصى بذلك.

وقال اكتبوا: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا ما أوصى به أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ في آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة وقال: إني لأستخلف عليكم عمر ابن الخطاب، فإن عدلَ فذلك ظني به، وإن فَجَرَ فلا يعلم الغيب إلا الله تعالى ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]».

فرضي كلهم بخلافة عمر رضي الله عنه، ورضي به علي رضي الله عنه، ذلك منه غاية الرضى، وإنما انعقدت البيعة على عمر رضي الله عنه وإنما اختاره أبو بكر رضي الله

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ج).

عنه؛ لأنه سمع من رسول الله ﷺ أنه قال: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»^(١).

وكان عمر رضي الله عنه يجهز الجيوش، ويفتح البلاد، وفتح خراسان، وبعث أحنف بن قيس إلى بلخ وفتحها صلحاً، قيل له: ألا تجاوز إلى ما وراء النهر؟ فقال: تلك ولاية عثمان، فانصرف أحنف ابن قيس من بلخ، وتوفي بمرو ديان^(٢).

وكانت خلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين، فقتله أبو لؤلؤة النصراني غلام المغيرة بن شعبة، وجعل الأمر شورى بين ستة نفر: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم.

وكان سعد غائباً؛ فاعتزل طلحة والزبير وقالوا: لا حاجة لنا فيها، فبقي عثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم.

فقال عبد الرحمن بن عوف: إني وهبتُ لكما نصيبي، فأذنا لي حتى أختار أحدكما، فقالا: نعم، وأجلّوه ثلاثة أيام، وكان يتبع الناس سرّاً وجهراً، فوجد رأيهم إلى عثمان رضي الله عنه أميل. فقال: إني اخترتُ عثمان بن عفان.

فبايعه علي رضي الله عنه وسائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فقتله الغوغاء.

وكانت خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهما اثنتين وعشرين سنة، وخلافة أبي بكر

(١) أخرجه الإمام الترمذي في «سننه» (٦: ٤٣)، والإمام ابن ماجه في «سننه» (١: ٣٧)، وأخرجه

الإمام ابن حبان في «صحيحه» برقم: ٦٩٠٢ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٢) المعروف أن الأحنف بن قيس رضي الله عنه توفي في ولاية مصعب بن الزبير بالبصرة سنة ٦٧ هجرية، أي بعد وفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأربع وأربعين سنة، ومن المعروف أيضاً أن «بلخ» لم تفتح إلا في زمن الأمويين في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي عام ٨٧ هجرية، لذا لزم التنبيه.

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَتَيْنِ، وخلافة علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ست سنين، فذلك كله ثلاثون سنة، وعن النبي ﷺ أنه قال: «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة، ثم تصير إمارة»^(١) ومُلْكًا»^(٢).

وبعد علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لا نقول بأن الإمامة منصوبة للحسن والحسين، وإنما الإمامة تثبت بإجماع المسلمين بعد أن [قال أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (٣) الأئمة من قريش (٤)].

وقالت الروافض: الإمامة [منصوبة] (٥) للحسن والحسين بعد علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنه.

وقالت الشيعة بأن علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان خليفة رسول الله ﷺ، والمهاجرون والأنصار كفروا بالله حين بايعوا أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الله عنه.

فنقول: انعقد الإجماع على إسلامهم قبل وفاة رسول الله ﷺ، فكل من يقول بأنهم كفروا بعد وفاة النبي عليه السلام فعليه الدليل.

(١) ورد بهامش النسخة (أ): الإمارة بكسر الهمزة، والأمانة بفتحها.

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في «سننه» (٥: ٢٠٦)، والإمام الترمذي في «سننه» (٤: ٨٢)، وكذلك أخرجه ابن حبان في «صحيحه» برقم: ٦٦٥٧، ٦٩٤٣ من حديث سفينة مولى رسول الله ﷺ.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٤) يقول المؤلف رحمه الله في كتابه «تبصرة الأدلة» (٢: ٨٣٤) ما صورته: «وذهب أبو الحسن الأشعري إلى أن إمامة المفضل لا تتعد مع وجود الفاضل، ويقول: إن من الأوصاف التي يصير بها الرجل أهلاً للإمامة أن لا يكون أحد من أهل زمانه أفضل منه، فإذا وجد الأفضل لم تثبت للمفضل أهلية الإمامة».

قلت: وقد أجيب عن هذا بأن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الله عنه قد جعل الخلافة شورى في ستة نفر مع ظهور فضيلة بعضهم على بعض، ولم يعين الأفضل منهم، بل فوّض إليهم ليختاروا من كانت المصلحة بإمامته أعم للخلق....، وإن كان غيره أفضل منه في نفسه.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

فصل

[في بيان أن أفضل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الله عنهم أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الله عنه]

يدل عليه أن علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الله عنه كان يخطب على منبر الكوفة، فقال ابنه محمد بن الحنفية: من خير هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ؟

فقال: أبو بكر، قال: ثم من؟ قال عمر، قال: ثم من؟ قال: عثمان، قال: ثم من؟ فسكت علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الله عنه. فقال: لو شئت لأبأتكم بالربع، فقال محمد بن الحنفية: أنت، فقال علي: أبوك امرؤ من المسلمين. وإنما سكت علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الله عنه؛ لأنه لم يرد أن يمدح نفسه.

ويدل عليه أن النبي ﷺ كان يجلس أبا بكر عن يمينه، وعمر عن يساره فلا يخلو إما أن جعل ذلك نفاقاً أو استحقاقاً، ولا يُظن بأن النبي ﷺ فعل ذلك نفاقاً، لأنه لا يخاف منهما، وكذلك كانا يقومان بحذائه، وكذلك استخلفه في آخر عمره.

فدل أنه فعل ذلك استحقاقاً، لأنه استخلفه بحضرة جميع الصحابة، بخلاف استخلاف ابن أم مكتوم^(١)، لأن الصحابة كانوا بالغزو مع رسول الله ﷺ، والله الهادي [إلى سبيل الرشاد]^(٢).

(١) ورد بالنسخة (أ): تعليق صورته: «اسمه أمية وهو عبد الله الأعشى» وفي (ج): «قيل: اسمه عمرو، وقيل: عبد الله وكلاهما قيل، وقد اختلف فقال أبو عمرو: وأكثر أهل الحديث تسميه عمراً، وكذلك اختلف في اسم أبيه وجده، فقيل: زائدة بن الأصم، وقيل: قيس بن مالك بن الأصم». «المشارك للقاضي عياض».

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

فصل

[في الرد على غلاة الشيعة]

القائلين بعودة الإمام علي عليه السلام]

فإن قيل: رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال لعلي رضي الله عنه: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى عليه السلام إلا أنه لا نبي بعدي»^(١) وخلافة هارون لم يكن لها تبديل فكذلك ههنا.

والجواب عنه أن نقول: فضيلته لم تكن من الوجه الذي توهمتم، لأن النبي ﷺ استخلفه على المدينة وخرج إلى بعض الغزوات، فقال المنافقون: النبي ﷺ أعرض عنه وحبسه في البيت، فاغتم بذلك علي رضي الله عنه، فقال له النبي عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى عليه السلام».

يدل عليه أن هارون مات قبل موسى عليه السلام، وإنما يصح هذا أن لو قال: أنت مني بمنزلة يوشع بن نون عليه السلام، وقد كان خليفة موسى عليه السلام [يومين]^(٢).

(١) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (٧: ١٢٠)، وأخرجه الإمام الترمذي في «سننه» (٦: ٩٠)، وأخرجه الإمام ابن حبان في «صحيحه» برقم: ٦٩٢٦ كلهم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٨: ٥٥٨) من حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

فصل

[في الرد على من قال]

بأن الإمام علياً عليه السلام يوحى إليه]

وصنّف من الروافض قالوا بأن الوحي كان لعلي رضي الله عنه، إلا أن جبرائيل عليه السلام غلط في الوحي.

وصنّف منهم قالوا بأنه كان شريكاً في النبوة، وهؤلاء كلهم كفّار، لأنهم أنكروا نص القرآن وإجماع الأمة، قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وبعضهم قالوا: إن علياً رضي الله عنه كان أعلم من النبي ﷺ وهو بمنزلة الخضر من موسى.

والجواب عنه أن نقول: ذلك العلم كان له بتعليم النبي ﷺ بقوله عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»^(١) والباب لا يكون أعظم من المدينة.

(١) ورد بالنسخة (و) تعلق صورته: «هذا الحديث ضعّفه علماء أهل السنة فليتبّه له، وأيضاً لو صحّ فحيث كان باباً للعلم لم يكن العلم فيه، بل يكون في المدينة، فتكون مخزن العلم لا بابها، فإنه ليس فيه شيء، فسقط ما استدل به الرافضة من أصله. فنسألك اللهم الهداية ونعوذ بك من الغواية». انتهى محمد عارف المنير الحسيني الدمشقي.

قلت: هذا الحديث أخرجه جمع من الأئمة منهم الحاكم في «المستدرک» (٣: ١٢٦) من حديث ابن عباس وجابر بن عبد الله وقال بعده: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه =

يدل عليه أن علياً رضي الله عنه كان ولياً، والرسول عليه السلام كان نبياً، ولا شك أن النبي أفضل من الولي، وأما الحضر كان له علمٌ لدني بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] وأراد به علم الإلهام، وموسى عليه السلام أفضل؛ لأنه صاحب شريعة وله كتاب، وصاحب الكتاب والشريعة أفضل كداود مع سليمان عليهما السلام، فداود أفضل [لأنه أنزل عليه الزبور] (١).



= الطبراني في «المعجم الكبير» (١١: ٦٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه الإمام الترمذي في «سننه» (٦: ٦٥) من حديث علي رضي الله عنه بلفظ: «أنا دار الحكمة وعلي بابها» وقال بعده: حديث غريب منكر. وقد أورد الحافظ السيوطي هذا الحديث في «اللائي المصنوعة» (١: ٣٢٨) وذكر طرقه، وتعقب ابن الجوزي في وضعه له، وأورد في تعقبه جواب الحافظ ابن حجر العسقلاني عن هذا الحديث وأنقله بنصه قال: «هذا الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک، وقال: إنه صحيح، وخالفه أبو الفرج ابن الجوزي فذكره في الموضوعات وقال: غنه كذب والصواب خلاف قولهما معاً، وإن الحديث من قسم الحسن لا يرتقي إلى الصحة ولا ينحط إلى الكذب، وبيان ذلك يستدعي طويلاً، ولكن هذا هو المعتمد في ذلك انتهى» ثم نقل السيوطي كلام الحافظ من لسان الميزان فيما يتعلق بحكمه على هذا الحديث فقال: «وهذا الحديث له طرق كثيرة في مستدرک الحاكم أقل أحوالها أن يكون للحديث أصل، فلا ينبغي أن يطلق القول بوضعه». قلت: وقد أفرد هذا الحديث بجزء الإمام الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري وسماه «فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي» والله أعلم.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

فصل: [في إثبات ختم النبوات والرسالات بسيدنا ونبينا محمد ﷺ]

وصنف منهم (١) قالوا: بأن الأرض لا تخلو من نبي، والنبوة صارت ميراثاً لعلي رضي الله عنه وأولاده، ويُفرض على المسلمين طاعة علي؛ وكل من لا يرى طاعته فريضة يكفر.

وقال أهل السنة والجماعة: لا نبي بعد نبينا محمد ﷺ يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وكذلك قوله عليه السلام: «لا نبي بعدي».

فمن قال: بعد نبينا نبي فإنه يكفر لأنه أنكر النص، وهو قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾.

وروي عن أبي يوسف (٢) رضي الله عنه أنه قال: «إذا خرج المتنبى وأدعى النبوة فمن طلب منه الحجة فإنه يكفر؛ لأنه أنكر النص وكذلك لو شك فيه [لأن الحجة تطلب لتبيين الحق من الباطل، ومن ادعى النبوة بعد محمد ﷺ لا تكون دعواه إلا باطلة] (٣)».

(١) أي من الروافض.

(٢) في (ب): أبي هريرة.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

فصل

[في جمع القرآن]

قالت الرافضة: الإمامُ القرآنُ الذي جمعه القرآنُ عليٌّ رضي الله عنه.

وقال أهل السنة والجماعة: الإمام الذي جمعه عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ لأن النبي ﷺ لما توفي جمع أبو بكر رضي الله عنه القرآن، وكان يقرؤه فلم يتفرغ لإظهاره، لأنه كان مشغولاً بقتال أهل اليمامة، وكان أبو بكر رضي الله عنه في الخلافة سنتين، فلما توفي لم يظهره عمر رضي الله عنه، لأنه كان مشغولاً بفتح خراسان وغيره. فلما كان في زمان عثمان رضي الله عنه اختلفوا في القرآن.

قال عثمان رضي الله عنه: إنكم اختلفتم فمن بعدكم أشدَّ اختلافًا، فجلس عثمان رضي الله عنه، وأخرج الذي جمعه أبو بكر رضي الله عنه، فأظهره على الصحابة إلا أنه يُنسب إلى عثمان رضي الله عنه، لأنه هو الذي أظهره، واتفقت الصحابة رضي الله عنهم على ذلك.

فكلُّ من أنكر آيةً من مصحف عثمان رضي الله عنه فإنه يكفر، لأن مصحف عثمان رضي الله عنه هو الذي أجمعت^(١) عليه الصحابة رضي الله عنهم [أجمعين]^(٢).

(١) في (د) و(هـ): اجتمعت.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

فصل

[في الكلام على الكتب المنزلة]

يجب أن تعرف أن جميع الكتب التي أنزلها الله تعالى على الأنبياء والرسل كلامُ الله غيرُ مخلوق، وذلك مئة صحيفة وأربعة كتب، خسون منها أنزلها الله تعالى على شِيث بن آدم عليهما السلام، وثلاثون صحيفة علي إدريس صلوات الله عليه، وعشر مصاحف علي إبراهيم عليه السلام، وعشر مصاحف علي موسى عليه السلام قبل نزول التوراة، وتُسَمَّى كتاب^(١) الستة، وكان قبل غرق فرعون عليه اللعنة.

ثم أنزل الله تعالى التوراة بعد غرق فرعون، ثم أنزل الله تعالى الزبور على داود عليه السلام، ثم أنزل الله تعالى الإنجيل على عيسي عليه السلام، وهو آخر الأنبياء من بني إسرائيل، ثم أنزل الفرقان علي محمد ﷺ وهو آخر الرُّسل.

فكل من أنكر آيةً من هذه الكتب فإنه يكفر، وإذا قال: آمنت بجميع الرسل ثم أنكر واحدًا من الرسل الذي ليس بمنصوص عليه، وقال: هذا ليس منهم لا يكفر ويكون مبتدعاً^(٢)، هذا إذا لم يدخل في دين من الأديان، أما إذا دخل في دين من الأديان يكون مرتدًا فيقتل.

(١) في (هـ): كتب.

(٢) ورد بالنسخة (د) تعليق صورته: «يجري فيه التفصيل في المبتدع بأن يقال إن كان إمامًا في بدعته يدعو الناس إليها يقتل، وإلا فلا يقتل». «مصطفى عبيد».

والدليل على أن [الإيمان بجميع الكتب شرط قال الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] الآية^(١) والإيمان بجميع الرسل شرط، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَلْبَسَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

* * *

فصل

[في عدد الأنبياء والرسل]

ثم اعلم أن الأنبياء عليهم السلام مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والرسل منهم ثلثمئة وثلاثة عشر برواية أبي ذر مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ^(١).

وفي بعض الأخبار: إن الأنبياء ألف ألف ومائتا ألف، والسلامة في هذا أن نقول: آمنت بالله، وبجميع ما جاء من عند الله على ما أراد الله تعالى به، وبجميع الأنبياء والرسل، حتى لا تعتقد ما ليس بنبي نبياً، ولا تعتقد من يكون نبياً غير نبي.

* * *

(١) يعني بحديث أبي ذر رضي الله عنه ما أخرجه ابن حبان في «صحيحه» برقم ٣٦١، والطبراني في «مسند الشاميين» (٣: ١٥٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه باللفظ مختلفة، واللفظ هنا لابن حبان وهو حديث طويل، وفيه قال أبو ذر رضي الله عنه: «يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: مئة ألف نبي وأربعة وعشرون ألفاً، قلت: يا رسول الله، كم الرسل؟ قال: ثلاثمئة وثلاثة عشر جم غفير».

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ب).

فصل

[في الرد على غلاة الشيعة]

القائلين بعودة الإمام علي عليه السلام

وصنف من الروافض قالوا: إن علياً رضي الله عنه وأصحابه يرجعون إلى الدنيا فينتقمون من أعدائهم فيملاؤ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وقال أهل السنة والجماعة: كل من مات لا يرجع إلى الدنيا إلى يوم القيامة؛ لأنه لا يُقام الدليل عليه.

ويدل على صحة ما قلنا قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥] ولم يقل مرتين، وكذلك قوله تعالى: ﴿الْمُرِيرُوا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١] وكذلك قوله عليه السلام: «ليس بعد الموت إلا الجنة والنار»^(١).

(١) هو جزء من حديث أورده البيهقي في «شعب الإيمان» (٧: ٣٦٠) عن الحسن البصري قال: طلبت خطب النبي ﷺ في الجمعة فأعيتني، فلزمت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فسألته عن ذلك فقال كان يقول في خطبته: «أيها الناس إن لكم معالم فانتبهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتبهوا إلى نهايتكم، وإن المؤمن بين مخافتين، بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة للهرم، ومن الحياة قبل الموت، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعجب وما بعد الدنيا دار إلا الجنة =

فصل

[في الرد على الإباحية]

وصنف من الشيعة قالوا بأن الخمر ليس بحرام، لكنه مكروه. قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣] وكذلك قالوا: بأن اللواط حلال؛ لأن الله سهاها منكراً ولم تحرم في كتابه نصاً. قال الله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَكَاحِكُمُ الْمُنْكَرَ﴾^(١) [العنكبوت: ٢٩].

وكذلك الرقص والغناء والشعر حلال. وقالوا: هذا قول مالك بن أنس رضي الله عنه إمام المدينة.

وقال أهل السنة والجماعة: كل ذلك حرام لقوله عليه السلام: «كل لعب [ولهو]^(٢) حرام إلا ثلاث، رمية من قوسه، وتأديب فرسه، وملاعبة الرجل مع أهله»^(٣) وقال الله

= والنار» وأورد هذا الحديث من طريق ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه للنبي ﷺ محمد بن ودعان في «الأربعين الودعانية».

(١) ورد بالنسخة (ج) ما صورته: «في مجالسكم العامة، ولا يقال النادي إلا لما فيه أهل المنكر كالجماع والضراط وحل الإزار وغيرها من القبائح وعدم المبالاة بها».

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٣) أخرجه الإمام النسائي في «السنن الكبرى» (٨: ١٧٥) من حديث جابر بن عمير الجهني، =

تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وأما قولنا: الخمر حرام؛ لأنه ورد بها الخبر، وهو قوله ﷺ: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْخَمْرُ قَلِيلُهَا وَكَثِيرُهَا وَالسُّكْرُ مِنْ كُلِّ شَرَابٍ»^(١).

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] والإثم هو الخمر، يدل عليه قول القائل:

شربت الخمر^(٢) حتى ضلَّ عقلي كذاك الإثم تذهب بالعقول

والجواب عن احتجاجهم بالآية، قلنا: الآية نزلت في قوم شربوا الخمر بعد نزول آية التحريم قبل بلوغ الخبر إليهم، فاعتموا بذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وأما ضَرْبُ الدُّفِّ، قلنا: أباحه الإمام الشافعي رضي الله عنه في التزويج للإعلام لا للعب.

فإن قيل: إباحة الخمر والمتعة كانت [حلالاً]^(٣) في الابتداء، فلو قلنا بجواز النسخ يكون ذلك رجوعاً عن الأول، ويصير كأن الله تعالى أمر بأمر، ثم بدا له الرجوع عن ذلك،

= وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٥: ٣٣٢) من حديث عقبة بن عامر الجهني بلفظ قريب منه، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١: ١٩٣) من حديث جابر بن عمير الأنصاري.

(١) أخرجه الإمام النسائي في «سننه» (٨: ٧٢٤)، وابن أبي شيبه في «المصنف» (١٢: ٢٦٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢: ١١٣) موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما، ولم أجد من رفعه إلى النبي ﷺ.

(٢) في (ب): الإثم.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

والبداء والرجوع من الله تعالى لا يصح؛ لأن البداء والرجوع إنما يكون ممن كان جاهلاً ولا يعرف عواقب الأمور.

والجواب عنه أن نقول: لا نُسَلِّمُ بأن في النسخ بداءً ورجوعاً، بل هو انقضاء حكم أول وانتهاؤه، واستئناف حكم آخر؛ لأنه قد ظهر لنا أن الحكم الأول [قد انتهى]^(١) لم يكن مؤبداً، لكنه مؤقتٌ إلى ذلك الوقت، إلا أننا لا نعرف ذلك، فظهر لنا أن الحكم الأول قد انتهى وانقضى.

يدل عليه أن الله تعالى يحشر الموتى يوم القيامة، ولا يقال بأن فيه بداءً ورجوعاً، بل فيه انتهاء حكم الموتى، ويستأنف حكماً آخر، كذلك ههنا ولا يقال بأن في النسخ بداءً ورجوعاً، بل فيه انتهاء حكم المنسوخ في الموتى، واستئناف حكم الناسخ.

فإن قيل: أيش الفائدة في النسخ^(٢)؟

قلنا: الفائدة في النسخ التحنن [أو الشفقة]^(٣) والتخفيف والرحمة على عباده، كما أن الله تعالى أمر المسلمين في الابتداء بأن يقاتل منهم كل واحدٍ العشرة من الكفرة والفجرة بقوله تعالى: ﴿إِن يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبَرُوا وَيَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ [الأنفال: ٦٥] ثم خفف بعد ذلك وأسقط عن كل عشرة ثمانية بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا جَعَلْنَا نِسَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا نِسَاءً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: ٦٦] سماً تخفيفاً، كذلك ههنا النسخ أنفع في الحال؛ لأنه يوجب العمل به في الحال، والإيمان به واجب، والمنسوخ لا يجب العمل به في الحال، ولكن يجب الإيمان به.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٢) في (ب): ما الحكمة، ما الفائدة في النسخ؟

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

فصل

[في وقوع النسخ في الشريعة]

قالت اليهود [لعنهم الله] ^(١): نَسَخُ الشريعة لا يجوز.

وعند أهل السنة والجماعة يجوز.

واحتجوا وقالوا: لأن الأمر بالشيء يقتضي المصلحة، والنهي عن الشيء يقتضي المفسدة، وإذا كان كذلك فالله تعالى لما أمر في التوراة ونهى، دلّ ذلك على أنه مصلحة، فلو جاز أن ينهى ما أمر به في التوراة يؤدي إلى أن الله تعالى أمر في التوراة بالمفسدة وهذا لا يجوز؛ لأن الله حكيم عالم بعواقب الأمور، ولا يجوز أن يوصف فعله بالسفاهة.

والجواب عنه قلنا: لأن الله تعالى إذا أمر بأمر يقتضي المصلحة في وقت، ولا يقتضي المصلحة في جميع الأوقات كالطعام والشراب، يقتضي مصلحة في حالة الجوع، ولا يقتضي مصلحة في حالة الشبع، وكالطبيب يأمر المريض بأدوية مختلفة في أوقات مختلفة، ولا يكون ذلك بداءً، بل لتحقيق المصلحة في ذلك الوقت، كذلك هنا الله تعالى أرحم على عباده من الطبيب الشفيق، وحين جعل التوراة شريعة في زمن موسى عليه السلام؛ كان ذلك مصلحة إلى انقضاء زمن موسى عليه السلام، ثم صارت المصلحة في الزبور إلى انقضاء زمن داود عليه السلام، ثم صارت المصلحة في الإنجيل إلى انقضاء زمن عيسى عليه السلام، ثم صارت المصلحة في القرآن في عصر نبينا محمد ﷺ.

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

فصل

[في الرد على من قال بإباحة زواج المتعة]

وصنّف من الروافض قالوا بأن المتعة حلال ^(١)، وهو استئجار المرأة للوطء. قال الله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤] أوجب الأجرة بمجرد الاستمتاع دون النكاح.

وقال أهل السنة والجماعة: المتعة حرام كالخمر، إلا أنها أبيحت في سفر واحد للضرورة ثم نُسخت بقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

وأما الآية قلنا: الآية نُسخت بقوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣] ^(٢) وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ [النور: ٣٢].

وصنّف منهم قالوا: إذا مات الرجل وصار رميمًا يخلق الله تعالى له جسداً آخر تدخل فيه الروح، وقالوا بأن الجسد للروح كالجثة للبدن، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَفِثَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

قلنا: أراد به تبديل هيئاتها وصفاتها، لا تبديل عينها، يدل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ

(١) المثبت من (أ) وفي (ج) و(د) و(هـ): «قالت الروافض بأن المتعة حلال».

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

تُبَدِّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ [إبراهيم: ٤٨] وأراد به تبديل صفتها لا تبديل عينها [كذلك ههنا] ^(١).

* * *

فصل

[في الرد على من قال بسقوط التكاليف الشرعية]

قال أهل الإباحة: إذا بلغ العبد في الحب غاية المحبة تسقط عنه العبادة الظاهرة نحو الصلاة والزكاة والحج وغير ذلك، وكانت عبادته بعد ذلك التفكير، ويصعد بنوره إلى السماء، ويدخل الجنة ويعانق الحور العين ولا يدخل القصور ^(١) ويباضعهن ^(٢).

وقال أهل السنة والجماعة: من اعتقد هذا يكفر؛ لأن الأنبياء عليهم السلام لم يصعدوا بأنفسهم إلى السماء كما قال الله تعالى [في حق نبيينا محمد ﷺ] ^(٣): ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] الآية، وفي حق عيسى عليه السلام: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وفي حق آدم عليه السلام: ﴿أَسْكَنْ أَنتَ وَزَوْجَكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] وفي حق إدريس عليه السلام: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] فغيرهم أولى أن لا يصعدوا.

ومنهم من قال: إن الله تعالى خلق النساء والمال وذلك مباح فيما بينهم، حتى إن من احتاج إلى مال غيره فله أن يأخذه، وكذلك إذا احتاج إلى نسوة غيره فله أن يأخذها، لأن آدم وحواء عليهما السلام ماتا وبقي ما لهما بيننا ^(٤) على السواء ^(٥).

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٢) ورد تعليق في النسخة (أ): أي يجامعهم.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٤) في (ج) و(د) و(هـ): بينهما.

(٥) في (ز): السوية.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ب).

وقال أهل السنة والجماعة [كثّرهم الله تعالى إلى يوم القيامة]^(١): لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبه من نفسه.

قال الله تعالى: ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَتْ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] والأحاديث الواردة في هذا الباب كثيرة منها قوله عليه السلام: «البينة على المدعي واليمين على من أنكر»^(٢).

ومنهم من قال: إذا بلغ العبد في الحب غاية المحبة تحل له نساء الغير وإماء الغير، فهن كالرياحين له أن يشمهن، لأن هذا حبيب الله والنساء إماء الله، والحبيب لا يمنع حبيبه عما يريد.

وقال المسلمون وهم أهل السنة والجماعة: لا تحل النساء إلا بالنكاح، والإماء إلا بالملك [وبالنكاح أيضًا إذا زوجها المولى من غيره تحل له وهي أمته يدل عليه]^(٣) قال الله تعالى: ﴿الرَّانِيَةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢] ولأن ما عزا زني فرجهم، فلو كان حلالا لما استحق الرجم.

ومنهم من قال: إذا بلغ العبد في الحب غاية المحبة إذا ارتكب الكبيرة لا يدخله الله تعالى النار، لأن كل من دخل النار لا يخرج [كداخل الجنة]^(٤)، وهذا مذهبهم^(٥) [الباطل]^(٦).

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ز).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في «سننه» (٣: ١٨) من حديث عمرو بن شعيب عن أبي عن جده، وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» برقم ١٥١٨٤، وابن عدي في «الكامل» (٦: ٢٣١٢).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٥) في (ب): وهذا مذهب باطل.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ز).

والجواب عنه قلنا: إذا أذنب [العبد ذنبًا]^(١) - وليا كان أو غير ولي - فهو في مشيئة الله تعالى، إن شاء غفر له بفضلله، وإن شاء عذبه بعدله، قال الله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [الفتح: ١٤] وإذا عذبه بقدر ذنوبه [ثم يخرج من النار برحمته أو بشفاعة الأنبياء، كالذهب يدخل النار ليزول عنه غشّه، فإذا زال عنه يخرج منها ولا يترك فيها، بخلاف الكافر لأنه كالخطب أعد لإيقاد^(٢) النار والإحراق فيها لا لمعنى آخر، بخلاف أهل الجنة لأنه لا يدخل في الجنة إلا الطاهر من الوسخ والحوبة^(٣) إما برعاية النفس أو بالتوبة.

ألا يرى أن النبي ﷺ قال: «أتحسبون أن الجنة مرابض الغنم والله لن يدخلوها حتى يصيروا كالبردة^(٤)»^(٥).

والنار تحرق نجاسة الذنوب وتزيلها عن المؤمن العاصي فيخرج منها بعد زوالها، بخلاف الجنة لأنها لا تزيل طهارة الداخل ليخرج منها^(٦) [ويدخلها ثانية برحمة الله تعالى وشفاعة الأنبياء عليهم السلام]^(٧).

ومنهم من قال: إذا بلغ العبد في الحب غاية المحبة سقط عنه الأمر والنهي ويحل

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٢) في (ج) و(د) و(هـ): لوقود.

(٣) في (ز): وسخ حوبته.

(٤) في (ج) و(د) و(هـ): كالمرد.

(٥) لم أجده فيما بين يدي من كتب السنة.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ). والنص في (أ): بعد قوله: «وإذا عذبه بقدر ذنوبه» قال: «ثم يخرج بعد ذلك برحمته أو بشفاعة الأنبياء».

(٧) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

له ما اشتهى، وحبیب الله تعالى لو خیر بین الكفر والقتل یختار قتل نفسه، فهو حبیب غاية المحبة، وكل من لم یكن منافقاً فهو حبیب الله.

وقال أهل السنة والجماعة: العبد لا یسقط عنه الأمر والنهي، وكل من كان أقرب إلى الله تعالى یكلف بأشد التكليف كالنبي ﷺ، كان حبیبه وصفیه وقام [إلى الصلاة] (١) حتى تورمت قدماه [وقد أمره بأوامر منها قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١] وقوله تعالى: ﴿فَرَأَيْتُ لَآلِئًا قَلِيلًا * يَصْفَهُ أَوِ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ [الزمل: ٢-٣] وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] (٢). وكذلك آدم عليه السلام كان حبیبه وصفیه [ونهاه عن أكل الشجرة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥] فلما أكل منها عاتبه] (٣) وأخرجه من الجنة.

وكذلك داود عليه السلام لما نظر إلى امرأة أوريا عاتبه الله بذلك، ورؤي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما شبع آل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متواليات من خبز بر مرتين حتى قبض» (٤).

كذلك روى عن النبي ﷺ أنه قال: «مات سبعون نبياً في يوم واحد من الجوع والقمل» (٥).

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ز).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٤) أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (٧: ٧٥) والإمام مسلم في «صحيحه» (٨: ٢١٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أورده أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣: ٣٦٢) في ترجمة ابن شهاب الزهري.

[ولأن التمتع بلا تحمّل عناء التكليف موعود^(١) في الجنة كما قال الله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] [أي صُمْتُمْ في الأيام الخالية] (٢) (٣).

وقد أمر الله تعالى عباده بالصوم حيث قال: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَلَكُمْ تَنَقُّونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] فما دام العبد مؤمناً عاقلاً بالغاً لا يسقط عنه الصوم وكذا سائر الفرائض كالصلاة والزكاة بقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ١١٠] بخلاف المريض والمسافر حيث أٌبيح لهما الأكل والشرب.

والصوم أفضل لقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤] بخلاف الحائض والنفساء حيث لا تصوم ولا تصلي وتقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؛ لأن في قضاء الصلاة حرجاً لتضاعفها ولا حرج في قضاء الصوم.

فمن قال: إذا بلغ العبد في الحب غاية المحبة يسقط عنه الأمر والنهي ولم يسقط عن الأنبياء عليهم السلام فقد رأي درجة الولي أعلى من درجة النبي عليه السلام، ومن رأي الولي أفضل من النبي فهو كافر بالله العظيم وله عذاب من رجز أليم^(٤).

* * *

(١) في (ج) و(د) و(هـ): موجود.

(٢) في (ب): الحارة.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(و).

فصل

[في الرد على أهل النجوم]

قال أهل النجوم: أمور أهل الأرض متعلقة بالبروج الاثني عشر وبالنجوم السبعة [وهي: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، والشمس، وعطارد، والقمر]^(١).

وقالوا بأن هذه البروج والنجوم مدبرات لأهل الأرض، فكل من علم [النجوم]^(٢) يعرف صلاح نفسه ويمكنه أن يميل إلى ما هو خير له، ويحترز عما هو شر له، ويعلم متى يموت.

وقال أهل السنة والجماعة: هذه البروج والنجوم والشمس والقمر وجميع النيرات مسخرات ليس لها من التدبير شيء، ومدبر الأمور^(٣) هو الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ﴾ [النحل: ١٢].

فإن قيل: علم النجوم كان حقاً في زمن إدريس عليه السلام، ومن قال بأنه نسخ فعليه الدليل، يدل عليه قوله تعالى خبراً عن إبراهيم عليه السلام ﴿فَنَظَرَنَّا فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٨-٨٩] استدلالاً بالنظر إلى النجوم أنه سقيم.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ) و(و).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٣) ورد بالنسخة (أ) تعليق صورته: أي النجوم المسخرات.

الجواب [عنه]^(١) قلنا: إن إبراهيم عليه السلام علم أنه سيسقم^(٢)، [ويجوز كونه سقيماً كما قال النبي ﷺ: المؤمن لا يخلو من قلة أو علة أو زلة]^(٣).

وأما في زمن إدريس عليه السلام. قلنا: ليس التدبير بالنجوم، ولكن الله تعالى أخبرهم في كتابهم أن نجم كذا إذا بلغ موضع كذا فاعلم أنه يكون كذا وكذا، فعرفوا ذلك بتعريف الله تعالى إياهم، ثم نسخ من وقت سليمان عليه السلام حين عادت الشمس بعدما دخل الليل فتشوش عليهم ذلك الحساب، والله الهادي.

[وقال عليه السلام: «إن لله تعالى عادة جميلة في تكذيب المنجمين»]^(٤). وقد قيل: المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر، والساحر كالكاfer، والكاfer في النار. والدليل على بطلان علم النجوم [والطب]^(٥) قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١] لأن العلم لا يحصل إلا بشيئين: إما المعاينة، أو بخبر المخبر الصادق، والنبي ﷺ ما أخبر عنها^(٦) والناس في المعاينة كلهم سواء إلا أن بعض الناس وكلوا بأرائهم وخذلوا بعقولهم فضلوا ضلالاً بعيداً وخسروا خسراً مبيناً.

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ب).

(٢) في (ب) و(ج) و(د) و(هـ) و(ز) كالتالي: «قلنا: إن إبراهيم عليه السلام علم أنه يموت، وكل من علم أنه يموت علم أنه سقيم». وفي (و) باختلاف يسير.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٤) لم أجده فيما بين يدي من كتب السنة.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ز).

(٦) في (ج): عنهما وورد تعليق عليها صورته: أي البروج والنجوم.

وقد قيل: من اعتصم بهاله قل، ومن اعتصم بعقله ذل، ومن اعتصم بخلق ذل،
ومن اعتصم بربه جل، ومن ضل شقي.
إن المنجم كم يهذي^(١) وليس له
عن حال حبيبه في بيته^(٢) خبر^(٣).

* * *

فصل

[في محل الأفلاك في السموات]

قال أهل النجوم: الشمس والقمر والنجوم في السماء الرابعة.
وقال [أهل السنة والجماعة و]^(١) أهل التفسير: في السماء الدنيا.
يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصفاء: ٦] وقوله:
﴿وَلَقَدْ زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ﴾ [الملك: ٥].
وكذلك قوله تعالى في قصة ذي القرنين: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي
عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٥٨] وهو لم يبلغ إلى السماء الرابعة، والله الهادي إلى سبيل الرشاد.
آخره. الحمد لله وصلى الله على محمد^(٢).

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ).

(٢) ورد بآخر النسخة (أ) هذان البيتين:

أحكام النجوم أحلتونا	على علم أرق من الهباء
فعلم الأرض لم تصلوا إليه	فكيف وصلتوا علم السماء

وهما مما يُنسب للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب
للسفارياني الحنبلي.

قيد الفراغ للنسخة (ب): تمت الرسالة الموسومة ببحر الكلام في أصول الدين لأبي المعين النسفي
تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته، وكان الفراغ من نسخها على يد كاتبها هو الفقير أحمد =

(١) في (ز): يهذي.

(٢) في (هـ): علمه.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(و).

= الدلنجاوي المالكي الأشعري غفر الله له ووالديه والمسلمين.

قيد الفراغ في (ج): تمَّ أصول أبي المعين بن محمد المكحولي النسفي المسمى ببحر الكلام نور الله مضجعه بفضلته وصلى الله على سيدنا محمد الذي أرسله رحمة وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين قد تم الكتاب بعون الملك الوهاب على يد العبد الفقير عبد القادر بن قاسم كمال إدلبي سنة ١١٥٤ هجرية انتهى.

قيد الفراغ في (د): تمَّ أصول أبي المعين بن محمد المكحولي النسفي المسمى ببحر الكلام نور الله مضجعه بفضلته وصلى الله على سيدنا محمد الذي أرسله رحمة وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

قيد الفراغ في (هـ): تمَّ أصول أبي المعين بن محمد المكحول النسفي نور الله مضجعه بفضلته وصلى الله على سيدنا محمد الذي أرسله رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين. تم الكتاب. قيد الفراغ في (و): تمَّ بتوفيق الله تعالى من شهر رجب المرجب في «قَصَبَة ولجترين» وكتبه الفقير وتراب الأقدام عبد الغني الهندي الحنفي مذهباً القادري مشرباً، وفقه الله توفيق العارفين بحق محمد وآله وأصحابه أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين.

قيد الفراغ في (ز): والله الهادي لا إله إلا هو الحي القيوم تم كتاب الأصول المسمى «بحر الكلام» تأليف النسفي رحمه الله تعالى وعلى نبيه الصلاة والسلام تمَّ.

ثبت المصادر والمراجع

- ١- الإبانة عن أصول الديانة، للأشعري، دار البصرة ١٩٩٢.
- ٢- أجوبة الغيطي والزرقاني، إعداد ربيع شعبان عبد الحميد، دار البصائر ٢٠٠٩.
- ٣- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي، بريل ١٩٠٦.
- ٤- أحكام القراءان، لابن العربي المالكي، دار التراث ١٩٦٠.
- ٥- الأدب المفرد، للبخاري، دار السلام القاهرة ١٤٢٥.
- ٦- إشارات المرام من عبارات الإمام، للبيضاوي، المكتبة الأزهرية للتراث ٢٠٠٦.
- ٧- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر بيروت ١٤٢١.
- ٨- أصول الدين، للبزدوي، المكتبة الأزهرية للتراث ٢٠٠٥.
- ٩- أصول الدين، للبغدادي، مصورة دار البصائر ١٩٢٨.
- ١٠- الاقتصاد في الاعتقاد، للإمام الغزالي، طبعة الحلبي ١٩٥٥.
- ١١- إيضاح المكنون، لإسماعيل باشا البغدادي، مصورة دار الكتب العلمية ١٤١٣.
- ١٢- بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية، طبعة مجمع الملك فهد ٢٠٠٧.
- ١٣- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، دار المعارف (د ت).
- ١٤- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٩٣.
- ١٥- التاريخ الكبير، للبخاري، مصورة دار الكتب العلمية (د خ).
- ١٦- تبصرة الأدلة في أصول الدين، للإمام النسفي، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية ١٩٩٠.
- ١٧- تبين كذب المفتري، لابن عساكر، مصورة دار الفكر سوريا ١٣٩٩ هجرية.
- ١٨- تثبيت دلائل النبوة، للقاضي عبد الجبار، دار المصطفى ٢٠٠٦.
- ١٩- تقريب الأصول لتسهيل الوصول، لأحمد بن زيني دحلان، مؤسسة الكتب الثقافية ١٩٩٩.

- ٢٠- تلخيص الأدلة لقواعد التوحي، للصفار، دار السلام بالقاهرة ٢٠١٠.
- ٢١- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للباقلاني، مؤسسة الكتب الثقافية ١٩٩٣.
- ٢٢- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، لابن عراق،
- ٢٣- الجامع الصغير، للسيوطي، مصورة دار الفكر بيروت (دخ).
- ٢٤- الجواهر المنيفة شرح وصية أبي حنيفة، لملا حسين بن إسكندر الحنفي، دار البصائر ٢٠٠٩.
- ٢٥- حاشية على أم البراهين، لابن عرفة الدسوقي، مطبعة البابي الحلبي ١٩٤٨.
- ٢٦- حاشية على جوهرة التوحيد للقي، للباجوري، مطبعة البابي الحلبي ١٩٤٨.
- ٢٧- حاشية على جوهرة التوحيد للقي، محمد الأمير، مطبعة البابي الحلبي ١٩٤٨.
- ٢٨- حاشية على شرح السنوسية، للباجوري، مطبعة البابي الحلبي ١٩٥٥.
- ٢٩- الحواشي البهية على العقائد النسفية، مصورة دار البصائر (د ت).
- ٣٠- الحواشي الكبرى على السنوسية، لإسماعيل الحامدي، مطبعة البابي الحلبي ١٩٣١.
- ٣١- سنن ابن ماجه، مصورة المكتبة العلمية (د خ).
- ٣٢- سنن أبي داود، دار المنهاج ١٤٣١.
- ٣٣- سنن الترمذي، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤١٧.
- ٣٤- سنن النسائي، دار الريان للتراث ١٤٠٧.
- ٣٥- سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة بيروت.
- ٣٦- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، مكتبة وهبة ١٩٩٦.
- ٣٧- شرح العالم والمتعلم، لابن فورك، مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٩.
- ٣٨- شرح العقيدة الطحاوية، للغزنوي، دار الكرز، ٢٠٠٦.
- ٣٩- شرح العقيدة الطحاوية، للميداني، دار البصائر ٢٠٠٩.
- ٤٠- شرح الفقه الأكبر، للمغنيساوي، دار البصائر ٢٠٠٩.
- ٤١- شرح وصية الإمام أبي حنيفة، للباربرقي الحنفي، دار الفتح ٢٠٠٩.
- ٤٢- شعب الإيمان، للبيهقي، مكتبة الرشد السعودية ١٤٢٣.

- ٤٣- صحيح ابن حبان، دار المعرفة بيروت ١٤٢٥.
- ٤٤- صحيح البخاري، مصورة دار المنهاج للطبعة السلطانية ١٤٢٩.
- ٤٥- صحيح مسلم، مصورة دار المودة ١٤٣٠.
- ٤٦- صلاة فتوح الجوارح، لمحمد بن عبد الكبير الكتاني، دار الكتب العلمية ٢٠٠٥.
- ٤٧- فردوس الأخبار، للدليمي، دار الفكر بيروت ١٤١٨.
- ٤٨- الفرق بين الفرق، للبغدادي، مصورة دار الجيل ١٩٨٧.
- ٤٩- الفوائد المجموعة، للشوكاني، المكتب الإسلامي ١٣٩٢.
- ٥٠- القول الفصل شرح الفقه الأكبر، لبهاء الدين زاده، دار المنتخب العربي ١٩٩٨.
- ٥١- الكامل في الضعفاء، لابن عدي، دار الكتب العلمية (د خ).
- ٥٢- كتاب الأسماء والصفات، للبيهقي، المكتبة الأزهرية للتراث، (د ت).
- ٥٣- كتاب التمهيد لقواعد التوحيد، للإمام اللامشي، دار الغرب ١٩٩٥.
- ٥٤- كتاب التمهيد لقواعد التوحيد، للإمام النسفي، دار الطباعة المحمدية ١٩٨٦.
- ٥٥- كتاب التوحيد، للإمام الماتريدي، دار صادر ٢٠٠٧.
- ٥٦- كشف الخفا ومزيل الإلباس، للعجلوني، مصورة دار التراث (د خ).
- ٥٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، مصورة دار الكتب العلمية (د ت).
- ٥٨- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، دار الرسالة ١٤٠٥.
- ٥٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، مؤسسة المعارف ١٤٠٦.
- ٦٠- مداوي لعلل الجامع الصغير وشرحي المناوي، للغماري، دار الكتيب ١٤١٦.
- ٦١- المسامرة شرح المسامرة في علم الكلام، للكمال ابن الهمام، دار البصائر ٢٠٠٦.
- ٦٢- مسائل الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية، لابن كمال باشا، دار الفتح ٢٠٠٩.
- ٦٣- المستدرك على الصحيحين، للحاكم، دار الفكر بيروت ١٤٢٢.
- ٦٤- مسند البزار، مؤسسة علوم القرآن ١٤٠٩.
- ٦٥- مسند الشافعي، دار الفكر بيروت ١٤٢٠.

- ٦٦- مسند الشاميين، مؤسسة الرسالة ١٤٠٩.
- ٦٧- مسند الشهاب، للقضاي، عالم الكتب ١٤٠٨.
- ٦٨- مسند الطيالسي، دار هجر ١٤١٩.
- ٦٩- المسند، للإمام أحمد، دار الحديث ١٤١٦.
- ٧٠- المصنف، لابن أبي شيبه، مؤسسة علوم القرآن ١٤٢٧.
- ٧١- المعجم الأوسط، للطبراني، دار الحرمين ١٤١٥.
- ٧٢- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر ١٣٩٧.
- ٧٣- المعجم الصغير، للطبراني، مصورة دار الكتب العلمية ١٤٠٣.
- ٧٤- المعرفة والسلطة، لعبد المجيد الصغير، الهيئة العامة المصرية للكتاب ٢٠١٠.
- ٧٥- المقاصد الحسنة، للسخاوي، مكتبة الخانجي ١٤١٢.
- ٧٦- مقالات الإسلاميين، للأشعري، جمعية المستشرقين الألمانية ١٤٠٠.
- ٧٧- مقالات الإمام الأشعري، لابن فورك، مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٩.
- ٧٨- مناقب الإمام الشافعي، للبيهقي، مصورة دار التراث ١٩٩٠.
- ٧٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقرئ، مكتبة الثقافة الدينية (د ت).
- ٨٠- الموضوعات، لابن الجوزي، دار الكتب العلمية ١٤١٥.
- ٨١- الموطأ، للإمام مالك، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤١٧.
- ٨٢- النجوم الزاهرة، تغري بردي، دار الكتب العلمية ١٤١٣.
- ٨٣- هدية العارفين، لإسماعيل باشا، مصورة دار الكتب العلمية (د ت).
- ٨٤- وفيات الأعيان، لابن خلكان، دار صادر بيروت ١٣٩٧.
- ٨٥- يتيمة الدهر، للثعالبي، دار الكتب العلمية ١٤٠٣.

* * *

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
مدخل	٥
الفصل الأول: علم الكلام بين الدراسة المنهجية والتأثيرات التاريخية	١١
دفع شبهات حول علم الكلام	١٦
معنى قول الشافعي: «لو عَلِمَ الناسُ ما في الكلام من الأهواء لفرُّوا منه كما يفرون من الأسد»	١٧
معنى قولهم: «عليكم بدين العجائز»	١٩
بين الماتريدية والأشعرية	٢٣
الفصل الثاني: ترجمة المؤلف	٣٣
الفصل الثالث: نسبة الكتاب للمؤلف، ووصف النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق، وعملي في التحقيق	٣٥
النص المحقق	٧٥
مقدمة المؤلف	٧٧
الكلام على الوحدانية	٧٧
معنى الاستواء على العرش	٧٨
تفسير سورة الإخلاص	٧٩
شرح معنى المعرفة والتوحيد والإيمان والإسلام والدين	٨٠
فصل: في بيان حكم المناظرة والجدل في الدين	٨٣
بيان حد العلم والكلام على علم الله تعالى	٨٣
بيان حكم المعلوم	٨٣
وجوب الاستدلال على الصانع لكل عاقل بالغ	٨٥
بيان أن العمل لا يدخل في أصل الإيمان	٨٥

٩١	بيان معنى الإيمان وشرائطه
٩١	بيان مصدر الخير والشر
٩١	بيان الاستطاعة
٩١	بيان فعل العبد والرد على الجبرية
٩٤	فصل: في بيان أن الله لما خلق الخلق لم يكونوا مؤمنين ولا كافرين
٩٥	بيان قدرة العبد واستطاعته والرد على الجبرية
١٠٢	فصل: في بيان حكم من لم يعرف شرائط الإيمان
١٠٢	الرد على الطبايعيين في قولهم بقدوم العالم
١٠٤	فصل: في معرفة الصفات الإلهية
١٠٤	بيان صفات الذات وصفات الفعل
١٠٥	بيان الدليل على قدم الصفات الإلهية
١٠٧	فصل: في بيان معنى القدم والحدوث
١٠٨	فصل: في معنى الوحدانية
١١٠	فصل: في بيان هل يقال إن الله نفساً؟
١١٢	فصل: في بيان هل يقال إن الله تعالى نور؟
١١٣	فصل: في بيان هل يقال لله يد؟
١١٣	بيان معنى اليد والساق وغيره
١٢٠	فصل: لا يجوز وصف الله تعالى بالمجيء والذهاب
١٢٠	شرح حديث النزول والرد على المجسمة والمشبهة
١٢٣	بيان حقيقة رؤية الله تعالى
١٢٥	فصل: في بيان معنى الاستواء على العرش
١٢٩	فصل: في إثبات أن الله موجود بلا مكان ونفي الجهة عن الله تعالى
١٣١	فصل: في إثبات رؤية الله تعالى
١٣٥	فصل: في بيان أن القرآن كلام الله تعالى وفيه الرد على المعتزلة
١٤٢	فصل: في بيان حقيقة الاسم والمسمى
١٤٤	فصل: في الكلام على الرزق

١٤٥	مطلب: في رؤية الشفاعة من الدواء أو من الطبيب
١٤٦	فصل: في بيان استطاعة العبد
١٤٧	فصل: في إبطال قول المعتزلة بخلق أفعال العباد
١٤٩	فصل: في بيان حقيقة الإيمان
١٥٣	فصل: في بيان زيادة الإيمان ونقصانه
١٥٦	فصل: في بيان حكم مرتكب الكبيرة
١٥٩	فصل: في بيان أنواع الذنوب والمعاصي
١٦٠	فصل: في بيان الخاطر وهل العبد مأخوذ به
١٦٢	فصل: في إبطال قولهم: «الإيمان هو المعرفة بالقلب دون الإقرار باللسان»
١٦٣	فصل: في الرد على المرتجة وبيان فساد مذهبهم
١٦٥	فصل: في الرد على من يقول: «ليس في النار عذاب»
١٦٨	فصل: في حكم أطفال المشركين
١٦٩	فصل: في بيان أنواع المخاطبين بالدين
١٧٢	فصل: في المفاضلة بين الغنى والفقر
١٧٦	فصل: في بيان حقيقة الكسب وطلب المال وبيان حقيقة التوكل
١٧٩	فصل: في بيان الحساب والعرض
١٨٠	فصل: في الرد على المفروغية القائلين إن الله خلق كل الأشياء ولم يبق شيء لم يخلقه
١٨٢	فصل: في إثبات كرامات الأولياء
١٨٥	فصل: في إثبات عمل الشياطين على بني آدم وتسلطهم عليهم
١٨٧	فصل: في إثبات إمكانية إرسال الرسل
١٩٠	فصل: في إثبات بقاء نبوة ورسلنا محمد ﷺ
١٩٢	فصل: في إثبات المعراج
١٩٣	فصل: في رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المعراج
١٩٥	فصل: في الكلام على العرش والكرسي
١٩٧	فصل: في الكلام على الحفظة من الملائكة
١٩٩	فصل: في الكلام على النفع والبعث والنشور

٢٠٠	فصل: في الرد على القائلين بفناء الجنة والنار.....
٢٠٢	فصل: في الكلام على القائلين بأن الرضا والسخط ليسا من صفات الله تعالى.....
٢٠٥	فصل: في ذكر أول من قال بالاعتزال.....
٢٠٩	فصل: في إثبات الشفاعة.....
٢١٣	فصل: في إثبات الميزان والحساب والصراط والحوض والشفاعة.....
٢١٧	فصل: في إثبات أن الجنة والنار مخلوقتان الآن.....
٢١٩	فصل: في إثبات عذاب القبر.....
٢٢٢	فصل: في الكلام على الأرواح وبقائها ومكانها بعد الموت.....
٢٢٤	فصل: في بيان حرمة دماء أهل القبلة.....
٢٢٦	فصل: في الإمامة.....
٢٣١	فصل: في بيان أفضل الصحابة.....
٢٣٢	فصل: في الرد على من قال بوجوب الإمامة للإمام علي عليه السلام.....
٢٣٣	فصل: في الرد على من قال بأن الإمام علياً عليه السلام يوحى إليه.....
٢٣٥	فصل: في إثبات ختم النبوات والرسالات بسيدنا ونبينا محمد ﷺ.....
٢٣٦	فصل: في جمع القرآن.....
٢٣٧	فصل: في الكلام على الكتب المنزلة.....
٢٣٩	فصل: في عدد الأنبياء والرسل.....
٢٤٠	فصل: في الرد على غلاة الشيعة القائلين بعودة الإمام علي عليه السلام.....
٢٤١	فصل: في الرد على الإباحية.....
٢٤٤	فصل: في وقوع النسخ في الشريعة.....
٢٤٥	فصل: في الرد على من قال بإباحة زواج المتعة.....
٢٤٧	فصل: في الرد على من قال بسقوط التكاليف الشرعية.....
٢٥٢	فصل: في الرد على أهل النجوم.....
٢٥٥	فصل: في محل الأفلاك في السموات.....
٢٥٧	ثبت المصادر والمراجع.....
٢٦١	الفهرس.....